

ISSN 0258 - 1094



مجلة

مجمع اللغة العربية الأثري

مجلة عليّ بن محمد بن نيشري الجوث والدراسات في اللغة العربية

السنة الأربعون

العدد الواحد والتسعون

ربيع الآخر ١٤٣٨هـ - كانون الأول ٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٦/٢٢٦/د)

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر  
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هيت التحرير

الاستاذ الدكتور  
خالد الكري  
مدير التحرير

الاستاذ الدكتور  
اسحق احمد فحان

الاستاذ الدكتور  
محمد عدنان الحجيت

الاستاذ الدكتور  
محمد حور

الاستاذ الدكتور  
سعيد التل

الاستاذ الدكتور  
عبد المجيد نصير

الاستاذ الدكتور  
سمير استيتي

الدكتور  
محمد سليمان السعودي  
الأمين العام للمجتمع

الإخراج الفني

خساره أبو حليما

التحرير  
نادور رزة  
عزلة ويا محيون  
عبد الله محافظ



## مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

### مجلة متخصصة محكمة

#### شروط النشر:

١. تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج قضايا اللغة العربية وآدابها.
  ٢. يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
  ٣. يشترط في البحث أن يكون خاصاً بمجلة المجمع، وأن لا يكون قد نشر أو قدم لأي جهة أخرى لغايات النشر، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك، ولا مانع من أن يكون البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة.
  ٤. أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الموضوعي.
  ٥. يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقاً لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.
  ٦. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.
  ٧. يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه على بريد المجمع الإلكتروني بعنوان:
- ([jaa@ju.edu.jo](mailto:jaa@ju.edu.jo)) أو على موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت)
- ([www.majma.org.jo](http://www.majma.org.jo)) باستخدام البرنامج الحاسوبي (Ms word) بحجم خط (١٤) للمتن و (١٢) للهوامش على وجه واحد من الورقة حجم (A 4).

٨. لا تزيد صفحات البحث على ثلاثين صفحة، بمعدل (٣٠٠) ثلاثمئة كلمة للصفحة الواحدة.

٩. يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراء التحكيم في حال سحبه بحثه أو الرغبة في عدم متابعة إجراءات التحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.

١٠. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً، وتحتفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

١١. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطاً بذلك.

١٢. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.

١٣. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجمع.

١٤. يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

١٥. يكون توثيق البحوث كما يأتي:

أ- المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره لأول مرة على النحو الآتي:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان متوفى، واسم المصدر كاملاً بالحرف الغامق، إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت ٤٠٠هـ، ١٠١٠م)، كتاب الأفعال، ج ٣، تحقيق د. حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٨٥.

ب- المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي، إن كان متوفى، ثم اسم المرجع كاملاً بالحرف الغامق إن كان عربياً وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن سعيد الكرمي (ت ١٤٣٨هـ/٢٠٠٧م)، الهادي إلى لغة العرب، ٤ ج، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٩١م، بيروت، ج ١ ص ٢٣٩.

ج- محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي اقتباس، هكذا " " ويذكر عنوان الكتاب كاملاً، واسم المحرر أو المحررين ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين على أن تذكر أسماءهم جميعاً في قائمة المراجع، واسم دار النشر، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

شكران خربوطلي، "أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها في العصر الأموي"، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام، تحرير الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٣-٢٧.

## د- المجالات:

يذكر اسم صاحب البحث أو المقالة كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا " " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحروف مائلة للمجلات الأجنبية، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

### مثال:

حسن حمزة، "الوضع والاشتقاق والدلالة"، مجلة المعجمية، تونس، ٢٠٠٢م، العدد ١٨، ص ٨١-٩٨.

١٦- يراعى عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي، ما يأتي:

- يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصدر أو المرجع عربياً والحرف (p) للصفحة الواحدة، و (pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.

- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث، وبرسمها القرآني.

- يذكر الحديث النبوي الشريف ومطائنه ومصادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقاً كاملاً.

- عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر والبحر ومصادر تخريجه.

- يذكر اسم المؤلف كاملاً عند الاستشهاد بمخطوط، ويذكر عنوان المخطوط كاملاً، ومكان وجوده، وتاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.

١٧. تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) على أن يذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.

تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.

توضع أرقام التوثيق بين قوسين، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره. يقدم كل صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وعنوان بريده الإلكتروني. يقدم إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) مستلة من بحثه.

ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب ( ١٣٢٦٨ ) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس) ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٧٠٦٤

البريد الإلكتروني: [jaa@ju.edu.jo](mailto:jaa@ju.edu.jo)

موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت) [www.majma.org.jo](http://www.majma.org.jo)



## الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
<b>أولاً: البحوث</b>	١٥
١- المنهج الإحصائي الاستكشافي في ..... د. إدريس ولد عتيه	١٧
المعاجم العربية (موسوعة المستكشف نموذجاً)	
٢ - عينية ابن سينا: أثرها ومعارضاتها في ..... د. عبدالحميد بدران	٨٩
الشعر العربي	
٣- التراجمة العرب والاصطلاح الطَّبِّي ..... د. نشأت حمارنة	٢٠١
في القرن التاسع الميلادي	
٤- اقتراح أساليب تعليمية تهدف إلى ..... د. سفيان موسى حامد	٢٣٥
تنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى النشء العربي	
٥- الدلالة الوظيفية لـ "لعل" في القرآن ..... د. مراد حميد عبدالله	٢٧١
الكريم ودور السياق في توجيه معانيها	
<b>ثانياً: أخبار جمعية</b>	٣١١



# البحوث



## المنهج الإحصائي الاستكشافي في المعاجم العربية (موسوعة المستكشف نموذجاً)

الدكتور إدريس ولد عتية

جامعة قطر

تسعى هذه الدراسة إلى إمطة اللثام عن الطريقة المنهجية التي اتبعتها في تأليني لموسوعة "المستكشف" المعجمية، واعتمدت فيها \_أساساً\_ المقاربة الإحصائية؛ لما أراه ضرورة ملحة تُوفِّرها هذه المقاربة لكشف طاقات الفصحى وقدراتها الكامنة، ودون الخوض في تفاصيلٍ نظريةٍ مطولة، تمكن الإشارة إلى أن المنهج الإحصائي هو منهج علمي، تُبنى نتائجه على معطيات واستقراءات محددة نتيجة اعتماده على لغة الأرقام، ذلك أنه: (إذا كانت العلوم الصحيحة كالفيزياء والكيمياء مثلاً تعتمد على التجربة المخبرية لوصف الظواهر الطبيعية، فإن الإحصاء يعد مختبر العلوم الإنسانية؛ إذ لم يعد يلقي القول لهذه العلوم على عواهنه إلقاء، إذ لا بد من إعطاء الدليل والبرهان على كل ما يقال، وهذا لن يتأتى إلا باتخاذ الإحصاء أداة وسبيلاً، بل إن هذه العلوم نفسها لا تستطيع الاستغناء عن الإحصاء).<sup>(١)</sup>

ولئن كان الهاجس الذي حركني في تأليني موسوعة "المستكشف" هو محاولة استكشاف وتنقيح وتنقيب \_ إضافةً إلى أمور أخرى في المعاجم

---

١. الإحصاء التطبيقي الحديث والاحتمال، للدكتور حلمي فضل كتانة، جامعة قطر، قسم الرياضيات.

المُتَضَمَّنَةِ في هذه الموسوعة\_ عن "المكنوز الوصفي التفصيلي للحقول الدلالية في اللغة العربية" الذي تُخفي معظمه الطريقة الترتيبية الهجائية، فإن إسهام بعض الباحثين في إحصاء الجذور التي تضمنتها معاجم عربية من شأنه أن يسهم في هذا الجهد الإحصائي المطلوب، وإن كنت أرى أن الإحصاء الدلالي أولى من الإحصاء الجذري الصرفي، لما للإحصاء الدلالي من قيمة تَقْوِي قِيَمَةَ الإحصاء الجذري، إذ لا يقدم هذا الأخير إضافة تصويرية وصفية، بقدر ما يقدم توصيفاً صرفياً بحتاً (فأمّا عن ميدان اللغة فقد تحقق له الحلم الذي طالما تمناه دارسوها بفضل صدور ثلاثة كتب عن: إحصاءات جذور معجم (الصحاح)، وجذور معجم (لسان العرب) باستخدام الكمبيوتر، وبذلك أصبح أمام دارسي اللغة \_أول مرة\_ معلومات وافية ودقيقة، عن هذا المجال المترامي الأطراف المتراحم الأبعاد، ميدان الإحصاء اللغوي).<sup>(١)</sup>

كما أن المعطيات الإحصائية تجعل الباحث واثقاً من دقة النتائج ومن إحكام الربط بين المادة المحصاة والاستخلاص الأمثل للنتائج المترتبة عنها في أكثر من بُعدٍ (يشعر الباحثون في التربية والعلوم الإنسانية أنهم بحاجة إلى من يساعدهم في اختيار الطرق الإحصائية التي تناسب البيانات البحثية، وتجيب عن أسئلة بحوثهم أو فحص فرضيتها. كما أنهم يشعرون في خطوة

---

١. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)، للدكتورين: علي حلمي موسى، وعبدالصبور شاهين، ص٦، مطبوعات جامعة الكويت.

لاحقة بالحاجة إلى من يساعدهم في وصف وتفسير نواتج التحليلات الإحصائية سواء تم إجراؤها يدوياً أو آلياً.<sup>(١)</sup>

وبعد إنعامي النظر في الطريقة التي أُلّفَ بها كثير من معاجم العربية، وما استبان لي من طرائق الائتلاف والاختلاف بين كيفيات تأليفها، أكاد أزعمُ أن كثيراً من هذه الطرائق التأليفية المعجمية \_طريفها والتالِد\_ إنما اعتمد طريقة اعتبارية في الترتيب وهو الترتيب الهجائي، وإن كان بعض هذه الطرائق التأليفية المعجمية قد اتبع طريقة التصنيف الموضوعي، مما كشف بعضاً من طاقات الفصحى وإمكاناتها التعبيرية الواصفة، ولعل تأريخ نشأة المعجم العربي يصور المراحل التي مرت بها الصناعة المعجمية قبل أن تنضج وتَسْتَوِي على سؤوقها؛ ولسنا هنا في وارد تقليل شأن بعض المعاجم العربية القديمة أو الحديثة التي عُنت بجمع اللغة وشرحها وحفظها وهي مهمة أساسية اضطلعت بها هذه المعاجم، بيد أن ذلك لا يمنعنا من القول إن طريقة الجمع المعجمي نفسها هي طريقة تراكمية اعتبارية لا تجعل القارئ المتوسط يحصل على بغيته اللغوية بيسر؛ لذا كان معظم معاجم العربية المتبعة نظامَ الترتيب الهجائي مخازنَ لغويةً زاحرة، تجعل هذا القارئ المتوسط يُعوِّمها دون أن يجيد السباحة في بحرها المتلاطم.

بل إن الأدهى أن كثيراً من طاقات العربية التعبيرية وقدراتها الوصفية بقيت مطمورةً في هذه الإضبارات والمخازن اللغوية (في بعض المعاجم على الأقل ولا يعني التعبير قليلاً من قيمتها) دون أن تُقدَّم إلى القارئ تقديماً تصنيفياً \_حسب حاجته واختصاصه\_، مما أشاع وهماً منتشراً عن قصور العربية في

---

١. الإحصاء للباحث في التربية والعلوم الإنسانية، ص ٥، للدكتورين: أحمد سليمان عودة، وخليل يوسف الخليلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

بعض المناحي الوصفية التفصيلية؛ لذا استحضرت بعض هذه المآخذ والهئات وصُغت سؤالاً مركزياً كان محركي في تقسيم موسوعة "المستكشف" إلى ستة معاجم فرعية، ويعد معجم "الحقول الدلالية" أكبرها، ويتضمن هذا السؤال المركزي إشكالية واضحة: ما هي الحقول الدلالية الغالبة على المعجم العربي؟ ولأن هذا السؤال المركزي لا بد أن يكون أكثر تحديداً في مصدر معجمي كبير ومتواضع على الثقة به وعلى شموله، فقد جعلت (القاموس المحيط للفيروز آبادي) مادة لمحاولة الإجابة عن ذلك السؤال المركزي، لتوصلني الدراسة الاستقرائية لمتن هذا المعجم إلى تسعة وخمسين وأربعمئة حقلٍ دلالي هي الغالبة على هذا المعجم، وقبل استعراض نماذج من موسوعة المستكشف توضح المنهج التصنيفي والإحصائي الجديد الذي اتبعته في معجم "الحقول الدلالية" وبقية معاجم هذه الموسوعة الأخرى، يجدر بنا من الناحية المنهجية التساؤل عن مفهوم الحقل الدلالي نفسه عند الأوروبيين وتحليلاته في رسائلٍ وكتبٍ لغوية عربية: (ففي المصادر باللغة الإنجليزية، يعرف الحقل الدلالي أنه عبارة عن اصطلاح فني يستخدم في علم اللسانيات لوصف مجموعة من الكلمات المجمعة حسب المعنى بطريقة معينة كما يستخدم هذا الاصطلاح في جملة من العلوم الأخرى مثل الإترولوجيا وعلم السيمياء الحاسوبية)<sup>(١)</sup>.

---

١. انظر بحثنا الموسوم "ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي"، للدكتور إدريس ولد عتيه - المؤتمر الثاني للغة العربية بتاريخ ٧-١٠ مايو ٢٠١٣ في دبي، كتاب المؤتمر، المجلد الثاني، ص ٤٤٨، ٤٤٩، والمرجع الذي عاد إليه:

(Howard Jackson, Etienne Zé Amvela, Words, Meaning, and Vocabulary, Continuum, 2000, p14)

ولئن كان للمدرسة اللسانية الإنجليزية السكسونية تعريفها السابق للحقل الدلالي المعتمد على مُجمَع من الكلمات المربوطِ بعضها ببعض، فإن المدرسة الفرنسية اللسانية تربط الحقل الدلالي بخيط ناظم هو الفكرة إذ تُعرَفُ موسوعة "لاروس" الفرنسية الحقول الدلالية: (أنها "مجموعات كلمات تتعلق بفكرة واحدة". ويمكن أن نأخذ مثلاً لذلك الحقل المعجمي لدلالة "العطلة" \_ **vacances** \_ لنجده يتضمن الكلمات التالية مثال: الرمال والشمس والشاطئ والجبل والهواء الطلق... الخ).<sup>(١)</sup>

ولا يتعد "برنتون" في تعريفه للحقل الدلالي عن التعريفين السابقين، وإن كان يضيف عليه أبعاداً لسانية تتجسّد في المجال الدلالي أو في الاشتراك الترادفي<sup>(٢)</sup>. ويمكن أن نستخلص من التعريفات المختلفة للحقل الدلالي أنه "مجال دلالي معين" يتقاطع فيه أكثر من عنصر لغوي وثقافي ليمثل مجمل الأنظومة الدلالية.<sup>(٣)</sup>

- 
١. انظر البحث السابق نفسه، الصفحتين السابقتين نفسيهما.
  ٢. يعرف برنتون "الحقل الدلالي" بأنه "مجال دلالي" ويرتبط المفهوم اللغوي أو اللساني بمفهوم "تعدد الدلالات/الأسماء: hyponymy" (أو ما يشبه الاشتراك في العربية)، انظر البحث السابق نفسه.
  ٣. ورد في بحثنا المجال إليه سابقاً مجموعة من المفاهيم من المهم إيرادها ومنها: (يرتبط بمفهوم hyponymy، وإن كان تعريفه أقل دقة، بمفهوم الحقل أو المجال الدلالي. ويعني الحقل الدلالي جملة من الحقائق يرمز إليها بمجموعة من الكلمات المترابطة/ المتقاربة. وتشارك الكلمات داخل الحقل الدلالي الواحد في خاصية/ ميزة دلالية مشتركة.

(Brinton, Laurel J. (2000). The structure of modern English: a linguistic introduction. Illustrated edition. John Benjamins Publishing Company (accessed: Sunday May 2, 2010), p.112)

والكلمات المنتمية إلى حقل دلالي ما ليست مترادفات، ولكنها تتحدث عن وصف الظاهرة نفسها. ويرتبط ويخضع معنى الكلمة بعلاقتها بغيرها من الكلمات في المجال التصوري نفسه، وتختلف أنواع الحقول الدلالية من ثقافة لأخرى.

(Jaakko Hintikka, Aspects of Metaphor, Springer, 1994, p41)

وقد أطلق عليها بعضهم اسم المعاني المعجمية Lexical meanings. والآخر يهتم ببيان معاني الجمل والعبارات، أو العلاقات بين الوحدات اللغوية مثل المورفيمات والكلمات والجمل، وذلك

ولقد مر مسار التأليف المعجمي العربي بقناطرٍ متعددةٍ وكان في بدايته أقرب إلى شكل حقول دلالية معينة في رسائل لغوية (وكانت بداية معاجم المعاني مما أُلّف في الرسائل التي جمع فيها الرواة الألفاظ التي تمحض بعضها لموضوع واحد مثل اللبن والمطر والشجر لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥ هـ والنبات والشجر وخلق الإنسان للأصمعي ت ٢١٦ هـ، والخيل والغنم والوحوش والسباع والطيور لأبي عبيد ت ٢٢٤ هـ، وفي اللباس والطعام والمعدنيات والأنواء والسحاب والبئر)<sup>(١)</sup>.

وقد كانت هذه الرسائل اللغوية بدايةً تلتها معاجم معانٍ وموضوعات منها: ("الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ت ٢٤٤ هـ، والنبات لأبي حنيفة الدينوري ت ٢٨٢ هـ، والألفاظ الكتابية للهمداني ت ٣٢٧ هـ، وفقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي ت ٤٢٩ هـ، والمخصص لابن سيده ت ٤٥٨ هـ، وكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ لابن الأجدابي ت نحو ٤٧٠ هـ، ونظام الغريب في اللغة للربيعي ت ٤٨٠ هـ، وأساس البلاغة للزمخشري ٥٣٨ هـ)<sup>(٢)</sup>.

---

حين تقوم العناصر اللغوية بدور الرموز لعلاقات بين عناصر لغوية أخرى. وقد سماها بعضهم المعاني النحوية (grammatical (or syntactic) meanings

١. انظر بحثنا: "ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي".
٢. قُصِّلت مسار حركة التأليف المعجمي العربي القديم في بحثي "ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي"، للدكتور إدريس ولد عتيه - المؤتمر الثاني للغة العربية بتاريخ ٧-١٠ مايو ٢٠١٣ في دبي - كتاب المؤتمر - المجلد الثاني - الصفحة ٤٤٨، ٤٤٩، إذ أوردت بعض تسلسل تأليف هذه الرسائل والكتب المعجمية (ولم تقف هذه الكتابات بل استمرت مريتها لأهميتها للباحث والمتعلم، فقد أُلّف الزجاج (ت ٣١٠ أو ٣١١ هـ) كتاباً عن خلق الإنسان، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ) عن السرج واللجام، والمطر والسحاب، وابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) عن الشجر، وغيرهم كثير، ممن أُلّف في الموضوع نفسه مثل أحمد

لقد أسلفنا أن بعثرة المادة المعجمية \_ نتيجة للترتيب الهجائي الاعتباطي\_ أذهب كثيراً من الإفادة من الثراء الدلالي للغة العربية وفرقه أيادي سبياً مما جعل المادة المعجمية مُراكمةً ركاماً يُذهل القارئ العادي، ويُعثر كثيراً من الطاقات اللغوية، ويجعل البحث عن جوانب معينة من "حقل دلالي" أشبه بالتنقيب عن قشة وسط كومة من التُّفّيات، ولقد كان لهذا السؤال المركزي مسأغُه ومصاغُه الآتي:

ما هي القدرات الوصفية التحليلية التي تمتلكها الفصحى لوصف محيطها والوجود وحقائق الكون والإنسان والحياة؟

وما الزاد الدلالي الذي يمتلكه مستعمل العربية المتوسط؟ وهل حقاً معظم مستعمليها لا يعرفون إلا أمَّ الحقل الدلالي وبعض مساقاته الأساسية، دون أن يدركوا جزئيات الحقل وتفصيله الدقيقة (ماذا نعرف مثلاً عن حقيقة النمل وأنواعه وحركاته ومساكنه؟) وماذا نعرف مثلاً عن حقيقة الماء وجريانه وأنواعه وكُدْرته وصفائه إلى آخره؟ (وما هي الآثار المترتبة على انتقاص هذه القدرة الوصفية اللغوية عند المستعملين المتخصصين بِلغة المستعملين المتوسطين؟).

كل هذه الأسئلة تُلقَى مسوغاتها الموضوعية في ظلال تطور الدراسات الدلالية<sup>(١)</sup>، وما يمكن أن نفيد منه تطويراً وتجديداً لمعاجم العربية في ضوء النظريات الدلالية الحديثة وقيام علم الدلالة على ساقيه (لم يعد علم الدلالة

---

بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ومن المتأخرين الصاغاني (ت ٦٥٠ هـ)، وشرف الدين علي بن يوسف بن حيدرة الطيب (ت ٦٦٧ هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ وغيرهم).  
١. على الرغم أنه لا مندوحة للباحثين عن الاطلاع على أحدث الدراسات اللسانية والدلالية العربية والأجنبية، بيد أنه يجب توخي الحذر في إسقاط كثير من المفاهيم اللسانية والدلالية على دراسة لغتنا، يقول الدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري وهو يتحدث عن الحقول الدلالية وإشكال تعريف الدلالة نفسها: (عملية الترجمة لها أبعاد دلالية أكثر إشكالاً من الأبعاد السابقة، في مرحلة أولى، لا بدّ من معاينة الحقول الدلالية في كل من اللغتين، وإقامة ما يمكن إقامته من مناسبات، وفرز ما ليس له مقابل في اللغة الهدف ويحتاج إلى الوضع والتوليد. (اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، ص ٤٠٠، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء/المغرب، منشورات عويدات - بيروت/ باريس).

الآن في حاجة إلى من يدافع عن وجوده، أو يبرر الاهتمام به، فقد تخطى هذه المرحلة منذ نصف قرن أو يزيد، وصار الآن يلقي من الاهتمام والدراسة في كل أنحاء العالم ما يلقاه سائر فروع علم اللغة.<sup>(١)</sup> إن ذلك ما دعاني إلى أن أستثمر معطيات إحصائية محددة للاستقراء والقياس والاستنتاج والاستنباط متمنياً في القريب العاجل أن تكون هذه الموسوعة أساساً لمعجم تفاعلي إلكتروني، لما توفره تقانة الحاسوب من إمكانيات لا محدودة للمعطيات اللغوية المصنفة: (لقد استطاعت التقنية الحديثة أن تقدم للعلماء والباحثين هذا الحاسب الآلي: (الكمبيوتر) ليقوم عنهم بما كان يستنفد جهودهم من محاولات العد، والحصص، والتصنيف، وهي العمليات الضرورية لبلوغ أية نتيجة علمية أو عملية، من أجل حل المشكلات التي تواجه العقل الإنساني، عن طريق التقدم)<sup>(٢)</sup>.

وكما أسلفت كانت حصيلة هذه المنهجية الإحصائية اجتهادي في مفهوم جديد للحقل الدلالي أكثر حصراً وتمحضاً من المفهوم الأوروبي للحقل الدلالي، ومن تصور ينطلق من بعض التعريفات لمعاجم المعاني: (المعاجم الموضوعية أو المعنوية: وهي التي ترتب الألفاظ اللغوية حسب معانيها أو موضوعاتها، ففي مادة "لون: نجد فيها كل ما تضمه اللغة من أسماء الألوان بدرجاتها المختلفة، ومن المعاجم العربية الموضوعية القديمة "المخصص" لابن سيده الأندلسي؛ فهو يرتب الألفاظ التي جمعها لا بحسب لفظها بل بحسب معناها).<sup>(٣)</sup>

فرؤيتنا للحقل الدلالي لا تُؤسّر بتعريفات جاهزة بل تستأنس بما تراه ملائماً للحقائق الميدانية التي نزعُم أننا نكتنّب ما تيسر لنا من تجلياتها

- 
١. علم الدلالة، للدكتور أحمد مختار عمر، ص ٥، ط الثانية، ١٩٨٨، عالم الكتب، القاهرة.
  ٢. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)، للدكتورين: علي حلمي موسى، وعبدالصبور شاهين، ص ٥، مطبوعات جامعة الكويت.
  ٣. المعاجم اللغوية العربية (بدايتها وتطورها)، للدكتور إميل يعقوب، ص ١٧، دار العلم للملايين، بيروت.

وتشعباتها المعجمية متتبعين ما نسميه "الحقل الدلالي الاجتهادي" انطلاقاً من أمّه، في تناسل مادته اللغوية لتكون الحصيلة التي حصدناها هي أن معظم الحقول الدلالية الغالبة على المعجم العربي (القاموس المحيط نموذجاً)<sup>(١)</sup>.  
هي في حدود تسعة وخمسين وأربعمئة (٤٥٩) حقل دلالي<sup>(٢)</sup> - كما أسلفنا -، جمعُها وعرفُتها وصنفتُها وبوّتُها حسب الموضوعات المختلفة (مثل الطبيعيتين: الجماد والحية من أرض وجبال وسماء وبحار وأنهار وإنسان

١. يعد القاموس المحيط للفيروز آبادي من معاجم اللغة العربية الكبرى، كما يعد أيضاً قنطرة وسطى بين المراحل المعجمية القديمة والحديثة بحكم كون المؤلف عاش في القرن الثامن الهجري (٧٢٩هـ - ٨١٧هـ)، بيد أن الطريقة المعجمية التي اتبعها لا تختلف عن طرائق المعجميين السابقين في مراكمة المادة المعجمية وبعثرتها؛ لا يتقيد إلا بالترتيب الهجائي وبذكر مختلف معاني المادة المشروحة، وعلى الرغم من ذلك ولرعاية مادته المعجمية العلمية اعتمدت "قاموسه" مادة لهذه الموسوعة، لأتصرف في هذه المادة حسب المنهج الذي شرحته سابقاً في هذا البحث، وإيراداً وتمثيلاً لمادة من القاموس المحيط قبل أن أتصرف فيها أذكر مثلاً النموذج الآتي، وأسأل القارئ أي رابط بين شروح المادة المعجمية إلا رابط الترتيب الهجائي الاعتباطي يقول الفيروز آبادي: ((حزب) كفرح ورم أو سمن حتى كأنه وارم والجلد تهيج كحزب والناقعة ورم ضرعها وضاق إحليلها أو ييس وقل لبنه وناقعة خزبة كفرحة وخزباء وارمة الضرع أو في رحمها تأليل تتأذى بها وذلك الورم خوزب وقد تحزب ضرعها والحزب محرقة الخزف وجبل باليامامة أو أرض أو هي بها والخيزبان اللحم الرخص اللين كالخيزب، والذكر من فراخ النعام واللحمة خيزبية ومعدن الذهب خزبية كجهينة وخزبي كحبلي منزلة كانت لبني سلمة فيما بين مسجد القبليتين إلى المذاد وغيرها - صلى الله عليه وسلم - وسماءها صالحة تفأولاً بالحزب الخزبية اختلاط الكلام وخلطه، الخزبية القطع السريع). القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، ص ٦١، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢. كثرت شروح المعاجم العربية القديمة وإيراد محاسنها ومخاطبها، وعلى الرغم من أهمية تلك الشروح وإيراد تلك المحاسن والمخاطب أرى أن الأنجع الآن هو البحث عن المسائل الأعمق بدل الانشغال بالحزبيات، وأعني بذلك كيفية خلق صناعة معجمية جديدة تتوكل على التراث المعجمي الزاخر وتنكئ على أحدث النظريات المعجمية نظرية وتطبيقاً، ومن الأمثلة على الانشغال بتلك المسائل الحزبية بدل التركيز على البدائل نورد النموذج الآتي: (ومن خلل القاموس أيضاً أن مصنفه يذكر ما يعد من قبيل الفضول واللغو إما لضرورة العلم به والاستغناء عنه أو لعدم تحققه، فمن ذلك إيراده الفعل المجحول بعد الفعل المعلوم كما بينته في النقد الثالث وكقوله انطلق ذهب وانطلق به للمجهول ذهب به، وقوله في هرق وأصل أراق: أَرَيْقُ وأصل يُرَيْقُ يُرَيْقُ وأصل يريق يُرَيْقُ) الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس الشدياق، ص ٣٠٣، المكتبة الكويتية الثقافية - الكويت.

وحيوان ونبات وغير ذلك...) (١) لتستبين القدرة الهائلة للفصحى للتعبير عن هذا الكون وقصور معظم مستعملها عن الغوص إلى أسرارها واكتناه حقائق دقائقها.

مما يجعلني أزعم أن موسوعة "المستكشف" قدمت -أول مرة- في تاريخ العربية معجماً دلاليّاً يكشف ما استطعنا كشفه من قدرات الفصحى ويقدمها لمختلف قرائها ومستعملها تقدماً إحصائياً تصنيفياً تعريفياً سهلاً. (٢)

١. انظر المعجم الدلالي لموسوعة "المستكشف"، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم .٢٠١١.

٢. لا يمكن إغفال أن رسائل ومعاجم المعاني (أو الدلالات أو الموضوعات) ليست وليدة اليوم في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى أيضاً، وقد أشرت إلى ذلك أعلاه في البحث خاصة معاجم المعاني والرسائل اللغوية مثل المخصص لابن سيده... إلخ، ولكن طريقة "المستكشف" ربما تتميز عن الطرائق الأخرى بالاستقراء الأقرب إلى الاستقصاء وتعريف أم الحقل الدلالي تعريفاً علمياً وترتيبه حسب أجزائه وتشعباته وتصنيفه وتمحيض المادة اللغوية للحقل نفسه، لاستيضاح ما يمكن أن يزعم تميزاً "للمستكشف" في هذا المجال (قارن بين مواد من المعجم الدلالي لهذه الموسوعة ومواد من الرسائل اللغوية ومعاجم المعاني فيما أشرنا إليه (أمثلة من المخصص: الإبل في المخصص، والإبل في "المستكشف" (وتبلغ دلالاتها سبعا وثمانين وألف (١٠٨٧) دلالة)، والمرأة في المخصص والمرأة في "المستكشف" (وتبلغ دلالاتها أربعاً وثمانين وسبعمئة (٧٨٤) دلالة)، والرجل في المخصص والرجل في "المستكشف" (وتبلغ دلالاته مئة وألف (١١٠٠) دلالة).

قارن بين طريقة المستكشف التي وضحناها آنفاً وهذه الفقرة من المخصص لابن سيده، وفيها يتناول موضوع الرضاع (تداخل المعاني، والميل إلى التعميم دون التخصيص وخلوها من أي ترتيب أو تعديد أو تصنيف):

يقول ابن سيده: (الرضاع والفظام والغذاء وسائر ضروب التربية).

\*أبو عبيد\* رضع الصبي أمه ورضعها يرضعها وأنشد الأصمعي قال أنشدنا عيسى بن عمر لهمام ابن مرة: ودوموا لنا الدنيا وهم يرضعونها \*\* أفأويق حتى ما يدر لها ثعل

الثعل - الزيادة في ضرع الشاة\* ابن دريد\* رضعها رضعاً\* ابن السكيت\* هو الرضاع والرضاع والرضاعة والرضاعة\* قال أبو عبيدة\* إذا أدخلت الهاء فلا يكون إلا بالفتح وهو الرضع\* غير واحد\* أرضعته أمه وهي مرضع على النسب، وأما قوله تعالى: ((تَذَهَّلْ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)) على الفعل وسبأني ذكر مثل هذا مستقصى في فصل المذكر والمؤنث من هذا الكتاب إن شاء الله.

لقد كنت أعتزم \_أول الأمر\_ أن أؤلف معجماً عربياً حديثاً على الطريقة المعهودة (مثل طريقة الآباء اليسوعيين اللبنانيين: المعاجم اليسوعية، أو طريقة المعاجم المجمعية الحديثة) بيد أنني صرفت النظر عن ذلك لأمر متعددة حرصاً مني على الاستجابة لإكراه تأليف موسوعة معجمية تماشي روح العصر وتحاول جاهدة تجاوز التحديات وتسهم في حل المشكلات الحقيقية للفصحى، نظقاً لحروفها (المعجم الصوتي)، واستثماراً لثرائها (معجم الحقول الدلالية)، ومعرفةً لتطور جوانب من سيفسائها الدلالية والثقافية عبر بعض العصور (معجم الشواهد)، وتداركاً لبعض الثغرات الاستعمالية والنواقص التعبيرية (المعجم الإحيائي)، ومعرفةً لجوانب من بنيتها الصوتية مربوطةً بالبنييتين: الدلالية والتركيبية (معجم المتقارب الصوتي) و(معجم المستغرب) وهما معجمان صوتيان ودلاليان معاً.

إن هذه الطريقة المعجمية التأليفية الجديدة اقتضتها إكراهات متعددة منها:

- جسامة التحدي اللغوي الراهن (تأثر العربية بالانتكاسة الحضارية المعيشة المستتعبة للتخلف والتراجع العلميين الحاصلين).
- اختلاف الظروف الموضوعية التي تعيشها اللغة العربية اليوم عن كل ما سلف من ماضيها التاريخي الطويل.
- انفصام حلقات وقناطر الاستعمال اللغوي، أقصد مراحل الفصحى المعروفة بدءاً من المرحلة الجاهلية ومروراً بمرحلتي صدر الإسلام،

---

(السفر الأول من كتاب المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي واللغوي الأندلسي (ابن سيده)، ص ٢٥، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت).

والمرحلة العباسية، وانتهاء بالمرحلة الحديثة والمعاصرة (مما وُلد واقعين مختلفين: واقع عربية الاستعمال الحديث والمعاصر، وواقع عربية المعاجم التي تسجل معظم ثروة هذه اللغة المعروفة حتى الآن).  
 ● احتياجنا إلى طرائق معجمية جديدة تكشف مستور الطاقات اللغوية العربية (تكشف طريقة "المستكشف" مجمل هذه الطاقات باتباعها طريقة أمّ الحقل الدلالي الاجتهادي وتناسله اللغوي المربوط بأم الحقل).

لهذه الأسباب وغيرها ارتأيت أنه لا بد أن تُثَوِّر طرائق التأليف المعجمي، وبدأت صورة هذه الموسوعة وإكراهات تأليفها تتناسل في ذهني منذ أكثر من ثلاثة عقود، وسعيًا إلى الوصول إلى لب الموضوع ومربط الفرس أورد النماذج الآتية، لتكوين تصوّر معين من نماذج مختارة من هذه الحقول الدلالية من موسوعة "المستكشف"<sup>(١)</sup>:

١. يقول الثعالبي: كلُّ ما غلاك فأظلك فهو سماء، كلُّ أرض مُسْتَوِيَةٍ فهي صَعِيد، كلُّ حاجزٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ فَهُوَ مُؤَبِق، كل بناء مُرْبَعٌ فَهُوَ كَعْبَةٌ، كلُّ بِنَاءٍ عَالٍ فَهُوَ صَرْخٌ، كلُّ شَيْءٍ دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَهُوَ دَابَّةٌ، كلُّ ما غَابَ عَنِ الْعُيُونِ وَكَانَ مُحْصَلًا فِي الْقُلُوبِ فَهُوَ غَيْبٌ، كلُّ ما يُسْتَحْيَا مِنْ كَشْفِهِ مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ فَهُوَ عَوْرَةٌ، كلُّ ما أُمْتَبِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالخَيْلِ وَالْحَمِيرِ فَهُوَ عَيْر. (فقه اللغة للإمام أبي منصور الثعالبي، ص ١، الدار العربية للكتاب بدون تاريخ).

الواضح أن بعض كتب اللغة التي عنيت بحقول المعاني ومعجم الدلالات (مثل هذا النموذج) وسم عمّالها غير قليل من التعميم، وتجاوز الفوارق بين الكليات التي أشار إليها الثعالبي، فإذا كنا نتفق معه في كلياته التيسيرية الأنفة الأقرب إلى المنطق الصوري (كلية موجبة: في قوله: كل ما)، فإننا نختلف معه في طريقة الاستنتاج التي نرى أنها يجب أن تمر بجزئيات الحقل الدلالي وتشعباته، حتى نعطي القارئ ذخيرة اللغة الأقرب إلى الكمال عن الحقل الدلالي ليجوز لنا السؤال عن الفوارق بين هذه الكليات التي ذكر (مثلاً: السماء، والأرض والدابة والخيل والحمير) عن أي سماء أو أرض أو دابة أو خيل أو حمير معنية بهذا التعميم؟ لن تتحلى الإجابة إلا بتمييز الفروق من خلال الحقل الدلالي للكلمات المذكورة (انظر النماذج المنتقاة

## ١. المعجم الدلالي

جدولة لنماذج من الحقول الدلالية لموسوعة المستكشف:

- بإنعام النظر في هذا الجدول يتضح للقارئ جملة من الأمور منها:
- أمُّ الحقل الدلالي (وأقصد بها مُرْتَكِزَ الحقل الأساسي ومحورهُ الذي تتشعب منه شُعْبُ الحقل وجزئياته).
- شعب الحقل الدلالي (وأقصد بها تشعباته وجزئياته الفرعية المنبثقة عن أمُّ الحقل الدلالي).
- تمحيض الحقل وإيلاءُ العناية اللغوية للروابط الداخلية بين عناصر الحقل، وتمثيلاً لما نقول نورد النماذج التالية<sup>(١)</sup>:

نماذج للحقول الدلالية	أمُّ الحقل الدلالي	عدد الحقل الدلالي	مميزات الحقل الدلالي
نموذج الطبيعة الحماد	الجبل	وتبلغ دلالاته اثنتين وثمانين ومئتي دلالة (٢٨٢) - مرادفاته	

من الحقول الدلالية المتبعة هذا النظام المعجمي الصارم في التعامل مع الحقل الدلالي)، أو موضوعات اللغة أو المعاني المشتركة بين الكلمات، (مثلاً في تعميمات الثعاليبي يمكن أن يُتَعَقَّبَ من خلال الحقول الدلالية لأُمَّاتِ الحقول التي ذكرها (حقل السماء في موسوعة "المستكشف": وتبلغ دلالاتها إحدى وسبعين (٧١) وحقل الأرض في الموسوعة ذاتها: وتبلغ دلالاتها خمساً وتسعمئة (٩٠٥)، وحقل الدابة في موسوعة "المستكشف": وتبلغ دلالاتها ثلاثاً وسبعين ومئتين (٢٧٣)، وحقل الخيل في "المستكشف" وتبلغ دلالاتها خمساً وخمسين ومئتين (٢٥٥)، والحمار في المستكشف وتبلغ دلالاته تسعاً وخمسين ومئة (١٥٩).

١. انظر نماذج من هذه الحقول الدلالية في موسوعة المستكشف الجزأين الأول والثاني ص ٥٥،

٥٩، ١٤٠، ٦٠٠، ٦٥٠.

	<ul style="list-style-type: none"> <li>- صفاته</li> <li>- مقاسمه</li> <li>- صعوده</li> </ul>		
	<p>وتبلغ دلالاته ثلاثاً وثمانين وأربعمئة (٤٨٣) تتوزع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- بِلَاةُ</li> <li>- اتساعه</li> <li>- أنواعه</li> <li>- صفات أخرى له</li> <li>- مقاسمه</li> <li>- خياطته</li> <li>- صباغته</li> <li>- تزيينه</li> <li>- لبس الثوب</li> <li>- خلعه</li> <li>- ما يلحقه من عوارض أخرى</li> </ul>	الثوب	نموذج الملبوسات
	<p>وتبلغ دلالاته إحدى وتسعين ومئة (١٩١) تتوزع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أنواعه</li> <li>- صفاته</li> <li>- إعداده</li> <li>- تناوله</li> <li>- أقسامه</li> </ul>	اللحم	نموذج الأطعمة
	<p>وتبلغ دلالاته سبعاً وستين وخمسمئة (٥٦٧) وتتوزع كما يأتي:</p>	الماء	نموذج السوائل

	<ul style="list-style-type: none"> <li>- أنواعه</li> <li>- متعلقاته</li> <li>- مشريه</li> <li>- عذوبته</li> <li>- ملوحته</li> <li>- لونه</li> <li>- جريانه</li> <li>- حريره</li> <li>- كدرته</li> <li>- كثرته</li> <li>- قلته</li> <li>- برودته</li> <li>- حرارته</li> </ul>		
	<p>وتبلغ دلالاته ثلاثاً وثلاثين (٣٣)</p> <p>تتوزع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أنواعه</li> <li>- امتلاؤه</li> <li>- الشرب فيه</li> <li>- مقاسمه</li> <li>- صفات متفرقة له</li> <li>- مناشطه</li> </ul>	الإناء	نموذج الآلات
	<p>وتبلغ دلالاته تسعاً وأربعين ومئة (١٤٩): ويتوزع الحقل كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أسماؤه وصفاته: (ضخمه وصغره وقيامه وفضسه)</li> <li>- أقسامه</li> <li>- مناشطه</li> </ul>	الأنف	نموذج الجسم

	- سوائله		
نموذج الأمراض	الحمى	(انظر مادة المرض والعللة) وتبلغ دلالاتها تسعاً وأربعين (٤٩) تتوزع كما يأتي: - أنواعها - مقاسمها - سَوْرَتُهَا - انكسارها	
نموذج المغروسات	النخل	وتبلغ دلالاته تسع عشرة وثلاثمئة (٣١٩) تتوزع كما يأتي: - أنواعه - صفاته - لقاحه - إثماره - ييسه - أجزاءه - غرسه - تهيئته	
نموذج الإنسان	المرأة	وتبلغ دلالاتها أربعاً وثمانين وسبعمئة (٧٨٤) دلالة تتوزع كما يأتي: - صفاتها - المرأة والجنس - مشاعرها - ولدها	

	<ul style="list-style-type: none"> <li>- زيتتها</li> <li>- لباسها</li> <li>- بيتها</li> <li>- حيضها</li> <li>- حملها</li> <li>- نفاسها</li> <li>- إنجابها</li> <li>- إرضاعها</li> </ul>		
	<p>وتبلغ دلالاته اثنتي عشرة وخمسمئة (٥١٢) تتوزع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أنواعه</li> <li>- مناشطه</li> <li>- طيرانه</li> <li>- حركته الأخرى</li> <li>- ذرقه</li> <li>- سفاده</li> <li>- حسوه</li> <li>- زقزقته</li> <li>- انتظامه</li> <li>- زجره</li> <li>- تعشيشه</li> <li>- بيضه</li> <li>- مقاسمه</li> </ul>	الطير بأنواعه	نموذج الطيور

<p>نموذج السباع</p>	<p>الأسد</p>	<p>وتبلغ دلالاته أربعاً وستين وثلاثمئة (٣٦٤) وتتنوع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أسماؤه</li> <li>- صفاته</li> <li>- صيده</li> <li>- مجسمه</li> <li>- أجمته</li> <li>- ولده</li> </ul>
<p>نموذج الحشرات</p>	<p>الجراد</p>	<p>وتبلغ دلالاته ستاً وتسعين (٩٦) وتتنوع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أنواعه</li> <li>- مقاسمه</li> <li>- مناشطه</li> <li>- بيضه</li> <li>- أكله</li> <li>- صوته</li> <li>- رزؤه في الأرض</li> </ul>
<p>نموذج السوام</p>	<p>الحية</p>	<p>وتبلغ دلالاتها سبعاً وثلاثين ومئة (١٣٧) تتوزع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أسماؤها</li> <li>- صفاتها</li> <li>- أقسامها</li> <li>- مناشطها</li> </ul>
<p>نموذج المناخ</p>	<p>الرياح</p>	<p>وتبلغ دلالاتها إحدى وتسعين ومئة (١٩١) تتوزع كما يأتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> <li>- أسماؤها</li> </ul>

	- أنواعها		
	- شماليها		
	- جنوبيها		
	- غربيها		

## ٢- المعجم الصوتي للحروف العربية:

لقد تناولتُ بعضَ التناوُلِ جوانبَ من المعجم الدلالي من موسوعة "المستكشف" وسأتطرق للمعجم الثاني من هذه الموسوعة وهو ما سميتُه الدليل الصوتي لنطق حروف العربية مُخْرَجاً\_ على ضبط سيويه\_ وصفةً وكيفيةً نطقي، فما هو هذا المعجم الصوتي إذاً؟

لا يخفى أن علماء السلف اللغويين عُنُوا بدراسة أصوات العربية وحروفها، مدفوعين إلى ذلك بعواملٍ عِدَّةٍ منها: الديني والعلمي والثقافي والسلالي وغير ذلك، وارتبطت دراسة أصوات العربية بأكثرَ من علم من علومها أو العلوم الشرعية مثل النحو والصرف والأداء... إلخ، وهكذا ظهر الدرس الصوتي مبكراً عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (نحو ١٧٤ هـ) وسيويه ت (١٨٠ هـ) وغيرهما (لا بد لنا من تأصيل نشأة الدراسة قبل البدء بالحديث عنها، فالدراسات الصوتية منشؤها العرب المسلمون؛ إذ يطالعنا العالم العربي المسلم الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة كتابه (العين)، التي تُعد مرجعاً صوتياً مهماً للدارسين، وما نقله عنه تلميذه النابه سيويه في مؤلفه (الكتاب) من جهود صوتية لا تزال محط إعجاب العلماء عرباً وغربيين لدقة الوصف، وشموله، واتساعه وما كتبه ابن جنّي ت (٣٩٢ هـ) في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) و(الخصائص) من معلومات صوتية مهمة جداً، ورسالة ابن سينا ت

(٤٢٧ هـ) المسماة (أسباب حدوث الحرف) إلى غير ذلك من الدراسات الأخرى).<sup>(١)</sup>

ولقد تناول علماء العربية دراسة أصوات حروف العربية مُخرجاً وصفة وكيفية نطق، ومنهم ابن جنى إذ يقول مفرقاً بين الصوت والحرف: (اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطعٌ تُثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطعُ أيّما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفتنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أيّ المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه، أو متجاوزاً له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول).<sup>(٢)</sup>

وواضح أن ابن جنى قد تتبع الصوت تتبعاً فيزيقياً (هوائياً) في أحيازه النطقية ليصل إلى مقطعية الحرف التي تستبين عندما يتحيز الحرف في مخرجه قارناً ذلك بأجراس الحروف ومخارجها، ولئن كان هذا التفريق لا يخلو من عمق علمي، فإن منطقة ضبابية بقيت عالقة من هذا التفريق،

---

١. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين للدكتور علي حسن مزبان، الصفحة ١٣، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا.

٢. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جنى، تحقيق لجنة من الأساتذة، الصفحة ٦ من المقدمة، الجزء الأول، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤.

ويتجلى ذلك في عدم رصف ابن جني الحدود الفعلية بين الصوت والحرف، لينبهم الأمر، ولتبقى القضية عالقة أساساً بما يسميه بالصدى الأول، وليس ابن جني يبذع من قدماء اللغويين ومُحدّثيهم في تصديهم لبحث الدرس الصوتي واختلافهم في أمور كثيرة منها: تعريف مخارج الحروف إذ (اختلف القدماء والمحدثون في تعريف (المُخرج) أو (المُخرَج) كما سمّاه سيبويه في الكتاب بضم الميم وسكون الخاء، فهم يطلقون (المخرج) على مكان النطق، وقد سماه ابن دريد (المجرى) وأطلق عليه ابن سينا (المحبس)، وعرفه الأستاذ محمد المبارك ((هو الموضع الذي يكون فيه انجباس الهواء وحجزه من المرور كلياً أو جزئياً بأحد الحواجز الموجودة في الحلق أو الفم كاللهاة أو اللسان أو الشفتين)) واعترض الأستاذ محمد الأنطاكي على مصطلح (مخرج) واستعمل مصطلح (محبس) بدلاً منه.<sup>(١)</sup>

ولا يبخس جُهد اللغويين الأوّل كون كثيرٍ مما تواضعوا عليه محلّ نقاش وامتراء اليوم في الدراسات الصوتية الحديثة، ويقتضي الإنصاف تقبل سيرورة الزمن وصورته المؤذنتين بتغير النطق مما يجعل التوصيفات الصوتية في زمن معين قد لا تكون من الدقة في زمن آخر نتيجة نظام التغير الصوتي (لم يبق من صفات سيبويه الخاصة بصفات الحروف إلا وصفه لبعض الأصوات على أنها مجهورة، والبعض الآخر على أنها مهموسة، وقد تبين لنا أن تلك التي سماها بالمجهورة هي التي يسميها الأوروبيون الآن Voiced فيما عدا القاف والطاء، فقد اعتبرهما من المجهورات، في حين أن تجارنا

١. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين للدكتور علي حسن مزبان، الصفحة ٢٣، الطبعة الثانية

٢٠٠٩، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا.

الحديثة تبرهن على أن هذين الصوتين كما نطق بهما الآن خاليان من صفة الجهر، وقد تحدثنا عن هذا آنفاً، أما ما سماه بالحروف المهموسة فهي كلها ينطبق عليها تمام الانطباق اصطلاح الأوروبيين (Voiceless).<sup>(١)</sup>

ولئن كنا لا يمكننا أن نكابر في تأثير التعاقبات الزمنية على التغييرات التي تلحق أصوات أي منظومة لغوية وما وصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة، إلا أننا لا نستطيع إلا أن نتفق مع الرأي القائل إن أوائل اللغويين بنوا توصيفاتهم الصوتية على تطبيقات نطقية دقيقة، فكانت ألسنتهم مخابرتهم الصوتية؛ لذا (ليس مهماً اتفاق ما توصل إليه الخليل وسيبويه مع ما توصل إليه الدرس الحديث، ولكن المهم أنهما تناولا الأصوات اللغوية من مبدأ صحيح، وهو دراستها دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظة الذاتية وبعيدة عن الافتراض والتأويل، وكان حرياً بهذا الذي قدماه أن يؤدي إلى تطور كبير في الدرس اللغوي للعربية، وأن يغير كثيراً من شكل هذا الدرس على ما عرفناه في عصوره المتأخرة).<sup>(٢)</sup>

أضف إلى ذلك أن محاذير الوقوع في أفخاص التحديدات والتعريفات الصوتية النابتة في غير البيئة الصوتية العربية قائمة اليوم، ولا يغض من قيمة الانفتاح على الدرس الصوتي الأوروبي الحديث الملحوظ السابق الذي هو اقتضاء منهجي، قبل أن يفهم تحجراً أو اعتداداً زائداً بلغة معينة، بل إن محاذير الوقوع في التعميمات والتعريفات الصوتية الجاهزة نبتة عليها أكثر من

---

١. الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس، الصفحة ١٢٠، الطبعة الرابعة ١٩٧١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة .

٢. فقه اللغة في الكتب العربية للدكتور عبده الراجحي، ص ١٣٢، دون تاريخ.

واحد حتى بين اللغات الأقرب نسباً إلى بعضها ثقافَةً وفصيلاً لغوياً (وفي حقل النطق الذي تُمَيِّزُ بداخله اللغة الفرنسية بين حرفين صائتين هما: الحرف أوالحرف e تميز اللغة الإنكليزية بالمقابل بين ثلاثة نماذج من الصوائت، وهي التي نجدها في الكلمات الثلاث *biat, bit, beat* ولا يمكن مطابقة هذه النماذج الثلاثة بحال من الأحوال مع الصوتين *á* و *é* أما الحرف الصامت الذي تعكسه طريقة الكتابة الإسبانية في صورة *s* الذي ينطقه أهالي قشتالة بطريقة تذكرنا ولو قليلاً بحركة الأولى من كلمة *chien* هذا الصوت لا يطابق في حقيقة لا *s* ولا *ch* بالفرنسية).<sup>(١)</sup>

لقد حرصنا على إيراد مجمل من القواعد والآراء والتصورات عن واقع الحروف العربية وجملة من المقارنات الصوتية مع لغات أخرى ماضياً وحاضراً، ولقد شغلني واقع الحرف العربي اليوم وما يتهدده من طوفان صوتي ينوء به كوكبنا، إذ احتشدت ألوف مؤلفة من اللغات في صعيد واحد بفعل ثورة الاتصالات والمواصلات، فكيف نحفظ للغة العربية هُويَةً حروفها وانسياب نطقها وجريان الأداء الصوتي للناطقين بها أو غيرها دون أن تكدره عواصف دهرٍ صوتي فُلب، أو تذهب بريح حروف العربية مخرجاً وصفةً وكيفيةً نطقٍ ألسنة أممٍ ملياريةً يهدرُ صوتها كالرعد، لِيَصْطَلِمَ \_ بفعل الكثرة الكاثرة للانتشار اللغوي \_ كل المنظومات الصوتية المغايرة.

لقد مال بعض الباحثين (ممن أوردت بعض آرائهم) إلى الانشغال بمجموعة من التصورات المنهجية والمضمونية ذات القيمة، ولكن الأولى \_ كما أرى اليوم \_ هو العودة إلى منابع الصوتية الأولى لإنقاذ صورة وصوت الحرف العربي، لذا عدت في "المستكشف" إلى مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية، ومنها صُغت دليلاً صوتياً لحروف العربية التسعة

١. مبادئ اللسانيات العامة تأليف: أندريه مارتينييه، ترجمة: الدكتور أحمد الحموي، إشراف

الدكتورين: عبدالرحمن الحاج وفهد عكام، ص ٦١، المطبعة الجديدة، دمشق.

والعشرين، زاعماً ومتصوراً أن هذا الدليل الصوتي يمكن أن يُحوَّل بوسائط تقنيّة معينة إلى ما يسمى النطق "النموذج" إذا ما توافرت شروط منها:

- إشراف مجموعة من كُفّاة الأساتذة والقراء على تطبيق هذا الدليل تطبيقاً صوتياً لحسر الهوة بين النظرية الصوتية والواقع النطقي.

- استلزام قواعد التجويد القرآنية في نطق حروف العربية اعتماداً على هذا الدليل الصوتي، بما توفره من تأصيل لا غنى عنه للنطق الصحيح للحرف العربي.

- تنوع النطق النموذجي على المجموعات الإقليمية الصوتية في الوطن العربي ومنها (الأقاليم الشامية والخليجية والمغربية... إلخ).

- إلزام المؤسسات الدراسية والجامعات العربية بتأسيس مختبرات صوتية.

- تطبيق النموذج النطقي الصوتي من خلال تسجيلات صوتية في هذه المختبرات.

ولا أنكر أن الاصطلاحات والتوصيفات التي أوردتها في هذا الدليل الصوتي هي مستقاة - كما أسلفت - من المصادر والمراجع الأدائية، ولكن ما أدّعيه هو أن صياغة هذا الدليل الصوتي قصدت منها مرونته وقابليته لأن يحول إلى تطبيق عملي نطقي نموذجي، وسعيّاً إلى تعريف القارئ بهذا الدليل أورد النموذجين الآتيين دون أن أستفيض في الشرح أو التعليل أو التحليل تاركاً للقارئ حظّ القراءة الهادئة المباشرة ليحكم بنفسه على هذا الدليل الصوتي<sup>(١)</sup>:

الحرف	المخرج	الصفات	كيفية النطق	القيمة بحساب الجُمْل
حرف الباء	شفوية، تخرج من بين الشفتين، مع انطباق الشفتين انطباقاً أقوى من	مجهورة شديدة مستقلة منفتحة مذلقة مقلقلة	إفغال الشفتين ثم فتحهما فتحاً فجائياً بصوت	(٠٢)

١. انظر معجم الدليل الصوتي من موسوعة المستكشف، ص ٢٠ - ٣٣.

	انطباق الميم.	مرققة.	انفجاري.	
حرف التاء	نطعية، تخرج من طرف اللسان مع أصلي الثنيتين العليين، مع إصاق طرف اللسان بأصلي الثنيتين المذكورتين مصعداً إلى الحنك الأعلى.	مهموسة شديدة مستقلة منفتحة مصمتة مرققة.	النطق بصوت انفجاري من المخرج المذكور.	(٤٠٠)

### ٣- معجم المتقارب الصوتي:

سعيت في "معجم المتقارب الصوتي" إلى جمع وجدولة وتصنيف زهاء ثمانية آلاف مادة لغوية، حصل تقارب صوتي بينها في عائلات صوتية مختلفة<sup>(١)</sup> في المادة الثلاثية<sup>(٢)</sup> هي:

١. إضافة إلى التقارب الصوتي في المادة الثلاثية بين الحرفين واختلاف الحرف الثالث عنهما. عني بعض اللغويين بالكلمات المثلث أولها والمتماثلة كُله حروفها، وقد أدخلنا هذا النوع في التقارب الصوتي مع الإشارة إلى أن الذي اختلف هو ترتيب الحروف فقط، والواضح أيضاً أن الفروق بين هذه الكلمات المثلثة هي فروق في المعنى فقط، وهي داخلية في الأنظومة الصوتية من ذلك مثلاً: (الخرة والخرة والخرة، فأما الخرة فهي الرمل فيها الحصى والحجارة البيض والسود قال الشاعر:

ترى الخرة السوداء يحمر لونها \*\* ويغير منها كل ربع وفدغد

وأما الخرة فالعطش الشديد، قال الشاعر الكمي:

والبحور التي بها تكشف الخرة \*\* والداء من غليل الأوسام

وأما الخرة فهي الخرة من النساء) مثلثات فُطرب (تحقيق ودراسة ألسنية)، للدكتور رضا السويسي، ص ٣٧، الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس.

٢. المرجح أن أفعال اللغة العربية ثلاثية وليست ثنائية وإن كان بعض الدارسين من عرب (مثل الأب أنستانس ماري الكرمل) ومستشرقين قد ذهبوا إلى افتراض ثنائية الفعل قبل ثلاثيته: (لقد ذهب مثلاً بلاك Blake إلى أن الفعل المعتل في العربية، إنما كان في الأصل فعلاً ثنائياً تطور عن طريق إشباع صوت المد القصير إلى فعل ثلاثي عوض فيه صوت المد الطويل عن العنصر

- ١ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والحلقية).
- ٢ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والنطعية).
- ٣ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والذلقية).
- ٤ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والشفوية).
- ٥ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والشجرية).
- ٦ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والثوية).
- ٧ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والذلقية).
- ٨ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والأسلية).
- ٩ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية ومتفرقات من عائلات صوتية مختلفة).
- ١٠ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والنطعية).
- ١١ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والشجرية).
- ١٢ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والذلقية).
- ١٣ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والأسلية).
- ١٤ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والحاقية).
- ١٥ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والثوية).
- ١٦ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الاختلاف في ترتيب الحروف نفسها فقط).

---

الثالث) في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، للدكتور غالب فاضل المطليبي،

ص ١٩٣.

١٧ - المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (متفرقات من عائلات صوتية مختلفة). وقد تمثل هذا التقارب الصوتي كما يأتي خاصة في المادة الحرفية الثلاثية:

- تماثل حرفين واختلاف حرف واحد وتقارب المعنيين: (زَعَب: نَعَب: نعب الغراب: صَوَّت) بَتَأً: أقام، بَتَأً: بَتَأً: أقام) هَجَأً: (هجأ جوعه: سكن وذهب)، هَدَأً: سكن).

- تماثل حرفين واختلاف حرف واحد وتقابل المعنيين (تَمَع: تَمَع رأسه بالحِئَاءِ: غَمَسَهُ وأكثر)، غَمَسَ: (غَمَسَهُ في الماءِ يَغْمِسُهُ: مَقَلَهُ)، عَمَجَ: (أَسْرَعَ في السَّيْرِ، وَسَبَحَ في الماءِ)، عَامَ: (العَوْمُ: السَّباحَةُ وَسَيَّرُ الإِبِلَ والسَّفِينَةَ)).

- تماثل حرفين واختلاف حرف واحد وتضاد المعنيين (نَفَخَ: نَفَخَ الطَّيْبُ: فَاخَ)، لَفَخَ: (لَفَحَتِ النَّارُ بِحَرِّهَا: أَحْرَقَتْ)، حَبَأَ: (حَبَأَ فُلَانًا: أَعْطَاهُ بِلا جَزَاءٍ وَلَا مَنٍّ، أَوْ عَامًّا)، حَفَأَ: (حَفَأَ زَيْدٌ فُلَانًا: مَنَعَهُ)، حَفَّتْ: (الحَفْتُ: إِسْرَارُ المُنْطِقِ)، حَفَأَ: (حَفَأَ الشَّيْءُ: ظَهَرَ))<sup>(١)</sup>.

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن التقارب الصوتي في اللغة العربية ظاهرة عني بها اللغويون العرب القدامى والمعاصرون، ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن فارس، وابن دريد<sup>(٢)</sup>، وابن جنبي وغيرهم، كما نالت هذه

١. انظر موسوعة المستكشف، للدكتور إدريس ولد عتيه، ص ١٨٠١ - ١٨٥٩، نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، عام ٢٠١١، الرباط، المغرب.

٢. حاول ابن دريد أن يربط بين أسماء القبائل واشتقاق ذلك إذ يقول: (منهم: بنو الكُبَّاس، وبنو الحُمَّرة، وبنو جعفر، فأما جعفر كُبَّاسا. واشتقاق (جعفر) من النهر الصغير، يقال للنهر الصغير جعفر. ورأس كُبَّاس، إذا كان عظيماً.

ومن رجال الحُمَّرة: الأسود بن أوس، كان علمه النجاشي دواء الكلب، فهم يداوون به العرب إلى اليوم. وقد صار منهم اليوم إلى بني المحل، فهو فيهم أيضا) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن

الظاهرة قسطاً من العناية والبحث في الدراسات اللغوية العربية الحديثة، بيد أن ما أزعج أن معجم المتقارب الصوتي من موسوعة "المستكشف" قد تميّز به هو هذا الجمع والتصنيف والإحصاء غير المسبوق \_ حسب علمي المتواضع \_ في التراث اللغوي العربي والدراسات اللغوية العربية الحديثة.

لقد كان مَشْغَلِي البحثي هو مقارنة ظاهرة التقارب الصوتي في المادة الثلاثية \_ أساساً \_ برقم معين، أدعي أنه شمل مجمل المادة اللغوية في المعاجم العربية القديمة (القاموس المحيط للفيروز آبادي نموذجاً).

ولعل من المفيد التنويه أنه من اللغويين البارزين الذين أشاروا إلى ظاهرة التقارب الصوتي (المسماة اشتقاقاً أكبر)، ومن الذين ذكروا طرائق معينة لتعليلها وتفسيرها صوتاً ودلالةً: ابنُ جنّي إذ استعرض نماذج معدودة من هذه الظاهرة ومن ذلك قوله: (ألا تراهم قالوا قَضَمَ في اليابس وخَضَمَ في الرطب؛ وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف).<sup>(١)</sup>

وعلى الرغم من الإلماعات الذكية لابن جنّي وتوظيفه البعدين: الصوتي والدلالي في تفسير هذا التقارب الصوتي، فإن عملنا في موسوعة "المستكشف" يختلف في مقصده عن مجرد الاكتفاء بذكر أمثلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة (كما فعل ابنُ جنّي)، وإنما يتجاوز ذلك، ليؤصل الظاهرة نفسها اتكاءً على مادة لغوية كبيرة، وجدولة وتصنيف تلك المادة دلالةً وصوتاً وتصوراً<sup>(٢)</sup>.

---

الحسن ابن دريد، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ص ٢٢٥، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، مطبعة السنة المحمدية.

١. ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط. ٢، بيروت، (د. ت)، ج ٢، ص ١٦٥.

٢. انظر نماذج من جداول المتقارب الصوتي في موسوعة المستكشف البالغ ثمانية آلاف مادة في ست عشرة عائلة صوتية، ص ١٨٠١ - ١٨٥٩.

لم أسارع بعد عملي في معجم المتقارب الصوتي إلى استنتاجات أو مسارات معينة لحروف المادة اللغوية المجموعة صوتاً ودلالة<sup>(١)</sup>، نظراً لتوحي الحذر من الاستنتاج العَجَلِ \_على الرغم من ضخامتها النسبية\_، وإنما أكتفي في هذه المرحلة أن أقدم هذا المتقارب الصوتي، لتُعرف أمور أساسية منها:

- إحصاء يقارب الاستقصاء لمادة المتقارب الصوتي في القاموس المحيط للفيروز آبادي (بوصفه واحداً من أكبر معاجم العربية وأرصنها مادةً علمية).

- تعريف القراء بالعائلات الصوتية لهذا التقارب الصوتي في عدد قارب أن يشمل جميع حروف العربية في المادة المجموعة (ست عشرة عائلة صوتية ضمت مُخْتَلِفَ الحروف العربية).

- تقريب ظواهر العربية المميزة (مثل ظاهرة التقارب الصوتي) بلغة الأرقام، بعيداً عن التخمين المبني على الافتراض، أو التمثيل المحدود المبني على القياس غير المتكئ على مادة لغوية محصاة.

- تسهيل مواكبة هذا المتقارب الصوتي وتذوقه؛ لما يوفره التجانس الصوتي بين حروفه من جرس واستمتاع يسهل الأصعب بالتقارب مع الأسهل.

---

١. يميل بعض الدارسين في هذا السياق إلى الربط بين الأداة المعنوية والاشتقاق الفعالية أكثر من ميله إلى التقارب الصوتي فيرى (أن النواة المعنوية الواحدة لفعل الرؤية، لم تمنع الصيغ الفعلية والاستعمالات الاشتقاقية المختلفة من تنويع الدلالات، حتى تراوحت بين إدراك عام عبر البصر وبين إدراك مخصوص لحال معينة، والملاحظ أن اختلاف المرثيات (أي مفاعيل الرؤية = من تقع الرؤية عليهم؛ من حيث الجنس والعدد) يسهم في تغيير المعنى إسهاماً أساسياً) تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، للدكتور صابر الجباشة، ط ١، ٢٠١١، الحامد.

وعودةً وتوضيحاً لما أسلفت ذكره، فإن وصف الظاهرة وإحصاءها وتصنيفها من شأنه أن يمنح الباحثين والمهتمين مهاداً بحثياً مكيناً، يمكن الرجوع إليه، واستنباط ما يمكن أن أسميه فلسفة اللغة في هذا التقارب الصوتي، هل هو اعتباراً ومصادفة صوتية؟ أو أنه تداعي الدلالات أدى إلى تداعي الأصوات؟

لا أريد الإهطاع إلى صبغ الحروف بصبغ الدلالات؛ لأن هذه الحروف من حيث المخارج والصفات أعقد من أن تُرصفَ في اصطباغ دلالي مبني على صفة أو مخرج صوتيين<sup>(١)</sup>.

ولئن كان تصوير ابن جنّي الصوتي للمادة التالية: (فالحضرم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبر "قد يدرك الخضم بالقضم"، أي قد يدرك الرحاء بالشدّة، واللين بالشطف)<sup>(٢)</sup>.

لا يخلو من قوة نتيجة اتكائه على بعض خواص الحروف مخرجاً وصفة، فإنه لا يمكن أن يعمم إطلاقاً<sup>(٣)</sup>، وإنما ينظر إليه فقط في سياق أمثلة محدودة، ما تلبث أن تنقضها نماذج أخرى<sup>(١)</sup>.

---

١. انظر نماذج من المعجم الصوتي في موسوعة "المستكشف" ص ١٨٠١ - ١٨٥٩، ينطبق عليها توصيفنا القائل إنه يصعب أن تصطبغ الحروف بدلالات معينة حسب صفاتها ومخارجها حصراً، وإنما يمكن أن يكون ذلك في حالات معينة.

٢. ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط ٢، بيروت، (د. ت)، ج ٢، ص ١٥٧ - ١٥٨.

٣. من الأمثلة التي ساقها ابن جنّي والفلسفة المزجية الصوتية للغة كما يراها ناسباً إلى بعض الحروف خاصيات دلالية معينة يقول: (فقالوا: بحث: فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالبا الأسد ويراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والباء للنفث والباء للتراب، وهذا أمر تراه محسوساً محصلاً) ابن جنّي: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط ٢، بيروت، (د. ت)، ج ٢، ص ١٦٣.

وسعيًا إلى التمثيل وإشراك القارئ في التطبيقات العملية والإحصائية أورد

النموذج الأول: المتقارب صوتاً ودلالة:

المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الشفوية والحلقية)<sup>(١)</sup>

النموذجين التاليين من معجم المتقارب الصوتي في المنحنيات الدلالية الثلاثة  
وعدد مختلف من العائلات الصوتية:

١	وباه: عباه.	عباً الأمر: هياه.	وبأه: عبأه.	ب (شفوية)، أ (حلقية)
٢	بتاً بالمكان: أقام.	بتأً: أقام.	بتا بالمكان: أقام	ب (شفوية) أ (حلقية) "منقلة"

ومن ذلك أيضاً قوله في السياق السابق نفسه معللاً الفرق بين القَدِّ والقَطِّ: (ومن ذلك القَدَّ طولاً، والقَطَّ عرضاً. وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً من الدال. فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض، لقربه وسرعته، والدال المماثلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولاً) ابن جنى: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، ط. ٢، بيروت، (د. ت)، ج ٢، ص ١٦٣.

١. لعل العلامة ابن جنى معذور فيما ذهب إليه، إذ إلى أستاذه أبي علي الفارسي وإليه يعود قصب السبق في تناول ظاهرة التقارب الصوتي، بيد أن احتياجه إلى مقارنة حجم الظاهرة - وهذا زعمي - هو ما ألجأه إلى ضروب من التعميمات مطبقة على نماذج محدودة، مصداقاً لهذا انظر التقارب الصوتي في العائلة الصوتية المتضمنة للخاء والباء ومنافاة كثير من أمثلتها لما ذهب إليه ابن جنى.

٢. انظر موسوعة المستكشف ص ١٨٠١ - ١٨٥٩.

عن الواو" (شفوية)					
أ (حلقية)، و (شفوية)			وَطَأَةٌ: هَيَاةٌ، وَدَمَّتُهُ وَسَهْلَةٌ.	أوكأه: نصب له متكأ.	٣
هـ (حلقية)، أ (حلقية)			هَذَا: سَكَنٌ.	هجا جوعه: سكن وذهب.	٤
و (شفوية)، هـ (حلقية)			الموماة: الصحراء التي لا أنيس بها.	البوية: الفلاة.	٥
ج (شجرية)، أ (حلقية)			الملجأ: المعقل والملاذ.	المحجأ: الملجأ.	٦
أ (حلقية) و ا "منقلبة عن الواو" (شفوية)			سَخَا النَّارَ: جَعَلَ لَهَا مَذْهَبًا تَحْتَ الْقَدْرِ.	سَخَا النار: جعل لها مذهباً تحت القدر.	٧
ف (شفوية)، أ (حلقية)			تَفَشَى: انتشر.	تفسأ فيهم المرض: انتشر	٨
ف (شفوية)، أ (حلقية)			النفطس: تَطَامُنُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ وَاتِّشَاؤُهَا، أَوْ انْفِرَاشُ الْأَنْفِ فِي الْوَجْهِ.	النفطأ: دُخُولُ الظَّهْرِ وَخُرُوجُ الصَّدْرِ.	٩
خ (حلقية)، ب (شفوية)			خدبه بالسيف: قطع اللحم دون العظم.	خدبعه: قطعه.	١٠
خ (حلقية) ١١، ب (شفوية)			تخرب الجلد: تهيج.	تخرب الجلد: تهيج.	١٢
ب (شفوية) ع (حلقية)			وَالتَّرْيُدُ: وَتَكَلَّفُ الرِّيَاذَةَ فِي الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ.	التريب: التزيد في الكلام.	١٣
ع (حلقية) ب (شفوية)			نعب الغراب: صوت.	زعب: نعب.	١٤
					١٥
خ (حلقية)، ب (شفوية)			الصَّخَبُ: شِدَّةُ الصَّوْتِ.	السخب: الصخب.	١٦
هـ (حلقية) ب (شفوية)		كلُّ مَوْضِعٍ تَحْتَى عليه الشمس حتى يُنشَوِي اللَّحْمُ	الصَّيْهَبُ:	الصَّيْهَبُ: لِمَشْوِي اللَّحْمِ.	١٧

		عليه.			
و (شفوية) ر (حلقية)			(التورية) وِرَاةٌ: أخفاه.	والتَّوْرِيْبُ: أن تُوَرِّيَ عَنِ الشَّيْءِ بِالْمَعَارِضَاتِ الْمُبَاحَاتِ.	١٨
هـ (حلقية) ب (شفوية)			الهِيْدِي: الهَيْدِي: الهَيْدِي.	الهِيْدِي: جِنْسٌ مِنْ مَنَسِي الْخَيْلِ، فِيهِ جِدٌّ.	١٩
ب (شفوية) ع (حلقية)			(المبعوث) بَعَثَهُ: أَرْسَلَهُ.	المَبْعُوثُ: المَبْعُوثُ.	٢٠
ح (حلقية) ف (شفوية)			الْحَفِثُ: القَيْبَةُ.	الْحَفِثُ: الحَفِثُ.	٢١
خ (حلقية) ب (شفوية)			(خَبَثٌ) الخَبِيثُ: ضِدُّ الطَّيِّبِ وَالرِّدْيَةُ الخَبْثُ	الخَبِيثُ: الشَّيْءُ الخَقِيرُ والخَبِيثُ.	٢٢
خ (حلقية) ا (منقلبة عن واو)			(حان) الخَوْنُ: أَنْ يُؤْتَمَرَ الْإِنْسَانُ فَلَا يَنْصَحَ.	حَاتَ الرَّجُلُ: نَقَصَ عَهْدَهُ وَأَخْلَفَ وَعْدَهُ.	٢٣
غ (حلقية) م (شفوية) غ (حلقية) ط	عَطَاةٌ: سَرَّهُ وَعَلَاةٌ.	عَطَطُ فِي الْمَاءِ: عَطَطْتَهُ.	عَمَّةٌ فَاعْتَمَّ وَانْعَمَ: حَزَنَتْهُ.	عَمَمَتْهُ الطَّعَامُ يَغْمِئُهُ: تُثْقَلُ عَلَى قَلْبِهِ فَصَيْرُهُ كَالسُّكْرَانِ فَعَمَتِ.	٢٤
أ (حلقية) ب (شفوية)			الأَبْدُ: الدَّهْرُ.	الأَبْيَحُ: الأَبْيَحُ.	٢٥
ع (حلقية) م (شفوية)			عام: العَوْمُ: السَّبَاحَةُ وَسَيْرُ الإِبِلِ وَالسَّفِينَةِ.	عَمَّحَ: أَسْرَعَ فِي السَّيْرِ، وَسَبَّحَ فِي الْمَاءِ.	٢٦
ف (شفوية) ا (منقلبة عن واو) و (شفوية)			فَاحِ الْمِسْكُ: انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ، وَلَا يُقَالُ فِي الْكِرِيهِةِ، أَوْ عَامًّا.	فَاحِ الْمِسْكُ: فَاحٍ.	٢٧

٢٨	التَّدْبِيخُ: التَّدْبِيخُ.	التَّدْبِيخُ: . دَبَّحَ: بَسَطَ ظَهْرَهُ، وَطَأَطَأَ رَأْسَهُ.	ب(شفوية) ح(حلقية)
٢٩	فَصَّحَكَ الصُّبْحُ: فَصَّحَكَ.	فَصَّحَكَ الصُّبْحُ: بَانَ لَكَ وَعَلَبَكَ صَوْبُهُ.	ف(شفوي) ح(حلقية)
٣٠	التَّفْقُحُ: التَّفْتِيحُ.	(فَتَحَ) التَّفْتِيحُ: ضَيْدُ الإِعْلَاقِ.	ف(شفوي) ح(حلقية)
٣١	الإِبِلُ تَتَمَتَّخُ فِي سَبِيلِهَا: تَتَرَوَّخُ بِأَيْدِيهَا.	تَتَرَوَّخُ: وَتَرَوَّخْنَا: سَرْنَا فِي الرَّوَاحِ أَوْ عَمِلْنَا.	ت(شفوي) ح(حلقية)
٣٢	فَحِيخُ الأَفْعَى: فَحِيخُهَا.	فَحِيخُ الأَفْعَى: صَوْتُهَا مِنْ فِيهَا.	ف(شفوي) خ(حلقية) ح(حلقية)
٣٣	المَخْرَجُ نَفْسُهُ (الحلق).	فَسَخَّ يَدَهُ: أزالَ المَفْصِلَ عَن مَوْضِعِهِ.	ف(شفوي) خ(حلقية)
٣٤	انْفَضَّحَتِ القَرَحَةُ وغيرُهَا: انْفَتَّحَتْ وَأَسْعَتْ.	انْفَتَّحَ سَخْرُهُ: عَدَا طَوْرَهُ وَجَاوَزَ قَدْرَهُ.	ف(شفوي) خ(حلقية)
٣٥	المَتَصِّخُ: المَسْخُ.	(المَسْخُ) مَسَخَهُ: حَوَّلَ صُورَتَهُ إِلَى أُخْرَى أَفْبَحَ.	م(شفوي) خ(حلقية)
٣٦	الْوَضِخُ: الوَسْخُ.	(الْوَسْخُ) أَسَخَ: عَلاهُ الدَّرْنُ.	و(شفوي) خ(حلقية)
٣٧	أَفَدَ: دَنَا وَأَرْفَ.	أَرْفَ التَّرْحُلُ: دَنَا.	أ(حلقية) ف(شفوي)
٣٨	(عَمَدٌ) تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ: عَمَّرَهُ بِهَا.	(عَمَرَ) عَمَّرَهُ المَاءُ: غَطَّاهُ.	غ(حلقية) م(شفوي)
٤٠	الحَوْطُ: الحَوْطُ.	الحَوْطُ: حَيْطٌ مَقْتُولٌ مِنْ لَوْثَيْنِ أَسْوَدَ وَأَحْمَرَ فِيهِ حَرَزَاتٌ وَهِلَالٌ مِنْ فِضَّةٍ تَشُدُّهُ المَرَأَةُ فِي وَسْطِهَا لِئَلَّا تُصِيبَهَا العَيْنُ.	ح(حلقية) و(شفوي)

٤١	حاذية: هُما يحاذية واحدة: بحالة.	الحالة: كَيْفَةُ الْإِنْسَانِ، وما هو عليه والوُثُّ الذي أَنْتَ فيه.	ح(حلقية) و(شفوي)
٤٢	العمارة: كلُّ شيءٍ على الرأس من عمامةٍ وقلنسوةٍ وتاجٍ وغيره.	العمامة: المِعْفَرُ والبَيْضَةُ وما يُلْفُ على الرأسِ.	ع(حلقية)م
٤٣	فَنَحَرَ: نَفَخَ مَنْخَرَهُ الواسِعَ.	نَفَخَ بِفَمِهِ: أَخْرَجَ منه الرِّيحَ.	ف(شفوي) خ(حلقية)
٤٤	(مَدَع) المَدْعُ: السَّيْلَانُ من الغُيُوبِ في شِعَابِ الجبالِ.	مَرَعٌ بِغَائِطِهِ أو يُوْلِيهِ: رَمَى به خَوْفًا.	م(شفوية) ع(حلقية)
٤٥	مَشَحَ بِمَيِّئِهِ أو يُوْلِيهِ: رَمَى به.	أَمْرَعٌ بِغَائِطِهِ أو يُوْلِيهِ: رَمَى به خَوْفًا.	م(شفوية) ع(حلقية)
٤٦	بَغَّ الدَّمُ: هَاجَ. الحَسَادِ.	بَنَعَ الدَّمُ به: هَاجَ.	ب(شفوي) غ(حلقية)
٤٧	نَمَعَ رَأْسَهُ بالحِنَاءِ: غَمَسَهُ وأكثرَ.	(غمس) غَمَسَهُ في الماءِ يَغْمِسُهُ: مَقَلَهُ.	م(شفوي) غ(حلقية)
٤٨	مَغَمَعَ اللَّحْمَ: مَضَعَهُ ولم يُبَالِغَ.	مَضَعَهُ: لَاقَهُ بِسِنِّهِ.	م(شفوي) غ(حلقية)
٤٩	تَحْسِيفُ الشَّارِبِ: حَلْفُهُ.	أَحْفَى شَارِبُهُ: بَالَعُ في أَخْبَرِهِ.	ح(حلقية) ف(شفوي)
٥٠	حَوَّفَهُ: جَعَلَهُ على الحَافَةِ.	حَرَفَ الشَّيْءَ عن وَجْهِهِ: صَرَفَهُ.	ح(حلقية) ف(شفوي)
٥١	تَحَوَّفْتُ الشَّيْءَ: تَنَقَّصْتُهُ.	تَحَوَّفَ الشَّيْءَ: تَنَقَّصَهُ. من حَيْفِهِ، أي:	ح(حلقية) ف(شفوي)

خ(حلقي) والصيغة نفسها (تفعل)		تواحييه.			
ع(حلقي) ف(شفوي)			عذف: أكل.	عَدَفَ: أكل.	٥٢
ع\ف			عَسَفَ عن الطَّرِيقِ: مأل، وعَدَلَ.	عَزَفْتُ نَفْسِي عنه: زَهَدْتُ فيه وأنصَرَفْتُ عنه، أَوْ مَلَّئْتُه.	٥٣
ع(حلقي) ف(شفوي)			عافَ الشَّرَابَ: كَرِهَهُ فَلَمْ يَشْرَبْهُ (وقد يقال في غيره).	(عنف) واغْتَنَفَ الطَّعَامَ والأَرْضَ: كَرِهَهُمَا.	٥٤
غ(حلقي) ف(شفوي)			(أغسف) أَعَسَفُوا: أَظْلَمُوا.	أَعَصَفَ اللَّيْلُ: أَظْلَمَ واسْوَدَّ.	٥٥
م(شفوي) أ(حلقي)			أَتَلَ مِنَ الطَّعَامِ: امْتَلَأَ.	امْتَلَأَ مِنَ الطَّعَامِ: شَبِعَ.	٥٦
و(شفوي) خ(حلقي) والصيغة نفسها (تفعل)			توخى رِضَاءً: تَخَرَّأَ	(توخن) التَّوَخَّؤُ: القَصْدُ إلى خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.	٥٧
ب(شفوي) و(شفوي) هـ(حلقي)			بال: أسال البول من ثيله.	بَاهَهَا: جَامَعَهَا.	٥٨
م(شفوي) هـ(حلقي)			ذَمَّة الحُرِّ: اشْتَدَّ.	الدَّمَّةُ: شِدَّةُ حَرِّ الرَّيْلِ.	٥٩
ب(شفوي) هـ(حلقي)			أبه له: فَطِنَ، أَوْ نَسِيَهُ ثُمَّ تَقَطَّنَ له. وهو لا يُؤْبَهُ له.	(وبه) هو لا يُؤْبَهُ له: لا يُبَالَى به.	٦٠
ح(حلقية) ب(شفوية)			واحتقَبَهُ واستَحَقَبَهُ: ادَّخَرَهُ.	احتطب عليه في الأمر: احتقب.	٦١



النموذج الثاني: المتقارب صوتاً والمتقابل والمتصاد دلالة:

المشترك الحرفي في العائلة الصوتية: (الحلقية والشفوية)

١.	نَفَخَ الطَّيْبُ: فَاخَ.	لَفَحَتِ النَّارُ يَحْرِقُهَا: أَحْرَقَتْ.	ح (حلقى) ف (شفوي)
٢.	مَا أَعْبَأُ بِفُلَانٍ: مَا أَبَالِي.	عَبَيْتُ: لَعِبْتُ.	ع (حلقى) ب (شفوي)
٣.	(حمر) أَحْمَرٌ: صَارَ أَحْمَرَ.	(سحم) السَّحْمُ: السَّوَادُ.	ح (حلقى) م (شفوي)
٤.	رَحِمَ الْكَلَامَ: لَانَ، وَسَهَّلَ.	(فخم) الْفَخْمُ مِنَ الْمُنْطِقِ: الْحَزْلُ.	خ (حلقى) م (شفوي)
٥.	(هانف) الْأَهْنَافُ: خَاصٌّ بِالنِّسَاءِ، وَهُوَ ضَرْحٌ فِي قُتُورِ كَضْحِكِ الْمُسْتَهْزِئِ.	(هاتف) هَتَفَ بِهِ: صَاخَ.	هـ (حلقية) ف (شفوي)
٦.	حَبَا فُلَانًا: أَعْطَاهُ بِلَا جَزَاءٍ وَلَا مَنٍّ، أَوْ عَائِماً.	حَفَا زَيْدٌ فُلَانًا: مَنَعَهُ.	ح (حلقى) و (شفوي)
٧.	(خفت) الْخَفْتُ: إِسْرَارُ الْمُنْطِقِ.	خَفَا الشَّيْءُ: ظَهَرَ.	خ (حلقية) ف (شفوي)
٨.	رَغَا الْبَعِيرُ وَالضَّبَّاعُ وَالنَّعَامُ: صَوَّتَتْ فَضَحَّتْ.	ضَعَا السِّنُّورُ وَنَحْوُهُ: صَاخَ.	غ (حلقى) و (شفوي)
٩.	عَوَى: لَوَى خَطْمَهُ، ثُمَّ صَوَّتَ، أَوْ مَدَّ صَوْتَهُ وَلَمْ يُفْصِحْ.	مَعَا السِّنُّورُ: صَوَّتَ.	ع (حلقى) و (شفوي)
١٠.	لَعَا: تَكَلَّمَ.	مَعَا السِّنُّورُ: صَاخَ.	ع (حلقى) و (شفوي) م (شفوي) و (شفوي)
١١.	رَحِمَ الْكَلَامَ: لَانَ، وَسَهَّلَ.	(فخم) الْفَخْمُ مِنَ الْمُنْطِقِ: الْحَزْلُ.	خ (حلقى) م (شفوي)
١٢.	وَعَا السِّنُّورُ وَنَحْوُهُ: صَاخَ.	ضَعَا السِّنُّورُ وَنَحْوُهُ: صَاخَ.	غ (حلقى) و (شفوي)
١٣.	(وحز) الْوَحْزُ: الطَّعْسُ بِالرُّمْحِ وَغَيْرِهِ، لَا يَكُونُ نَافِذاً.	وَحَفَ الْخِطْمِيُّ: ضَرَبَتْهُ حَتَّى تَلَزَجَ.	و (شفوي) خ (حلقى)

#### ٤ - معجم الشواهد الثقافية:

تجدر الإشارة إلى أن العربية المعروفة الآن وصلتنا بعد مسار تاريخي طويل، واعتُورتها تغيراتٌ وتطورات كبرى قبل أن ترسو على قنطرة الفصحى التي عرفت منذ العصر الجاهلي (العرب الباقية: وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أحواتها السامية والحامية، وانشعبت منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد الحجاز ونجد واليمن وما يتاحمها ويتصل بها من محميات وإمارات مستقلة في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان والعراق والكويت ومصر والسودان وبلاد المغرب العربي ومالطة).<sup>(١)</sup>

كما أنه لا سبيل إلى المعرفة الدقيقة لبداية اللغة العربية ومدى تأثيرها باللهجات اليمانية القديمة التي من ضمنها: اللهجات المعينية والسبئية والحميرية القديمة، واللهجات القتبانية واللهجة الحضرية، وإن كان الدكتور علي عبدالواحد وافي يصف كيف بدأت الفصحى تسود بقوله: (أتاحت مجاورة اللغة العربية للغات اليمنية القديمة فرصاً كثيرة للاحتكاك اللغوي، فاشتبكت معها في صراع استغرق أمداً طويلاً، وانتهى في المراحل الأخيرة من العصر الجاهلي بانتصار العربية على هذه اللغات في كثير من المناطق، وفقاً لقانون الصراع بالمجاورة).<sup>(٢)</sup>

ولعل انشغال المعجميين العرب الأوّل كان منحصرأ في أن يجعلوا معاجمهم عرائن للفصحى جمعاً لمادتها وشرحاً لكلماتها، وتهذيباً وتألفاً

١. فقه اللغة، للدكتور علي عبدالواحد وافي، ص ١٠٧، ط ٨، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

٢. السابق نفسه، ص ٧٩، ط ٨.

لوحشيتها وغريبها<sup>(١)</sup>، ولم يعنوا إلا لماماً بتأريخ تطور دلالاتها ووسم اصطلاحاتها بميسم الفسيفساء العلمية التي ترؤى منها كثير من اصطلاحات الفصحى عبر العصور، إلا أن تأثر العرب في العصور الحديثة بازدهار الحركة العلمية في أوروبا (ومنهما حركة الصناعة المعجمية التي تتضمن أنواع المعاجم الصغيرة والوسيلة ومعاجم الجيب ومعاجم الموضوعات والتخصصات والمعاجم التاريخية الكبرى)، جعل الحركة المعجمية العربية المعاصرة تشرئب إلى هذا الوافد المعجمي الجديد.<sup>(٢)</sup>

وكان من بواكير هذه الحركة المعجمية العمل المعجمي للمستشرق الألماني فيشر إذ حاول تأليف معجم تأريخي للغة العربية متبعاً منهجاً معيناً في ذلك (فالمعجم يتناول بقدر الإمكان بحث تأريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئاً بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة من

---

١. يميل بعض الباحثين إلى تناول اللغة العربية في سياق إدماجها في اللغات الطبيعية، راثياً أنها تشترك معها في كثير من الخصائص: (تصور خاطئ للغة العربية: فاللغة العربية بصفتها (لغة) تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية) وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات) اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، ص ٥٦، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء/المغرب، منشورات عويدات - بيروت/باريس.

٢. وعلى أساس من هذا التقسيم المعجمي المقتبس أساساً من الأورويين، والمستمد أيضاً من التراث المعجمي العربي أورد الدكتور حسين نصار تخطيط عبدالله العلايلي لأنواع احتياجاتنا من المعاجم:

- (١) المعجم المادي، ويبحث على سنة المعاجم القديمة.
- (٢) المعجم العلمي، ويبحث في الاصطلاحات موزعة على حسب الاختصاص بحيث يكون للقانون جزء يختص به، وللإجماع كذلك، وهكذا.
- (٣) المعجم الاصطلاحي، وهذا يكون من نسق الكليات لأبي البقاء والتعريفات للجرجاني.
- (٤) المعجم التاريخي أو النشوئي، ويبحث في نشوء المادة وتطوراتها الاستعمالية، وتراوجها بين الحقيقة والمجاز مقيدة بالعصور، ويكون على أسلوب مادي.
- (٥) المعجم المَعْلَمِي وهو يضم جميعها باختصار.

(المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار، الجزء الثاني، ص ٧٦٢، ط ٢، ١٩٦٨).

القرن الرابع الميلادي ومنتهاً بالعهد السابق ذكره (نهاية القرن الثالث الهجري) أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من كمال).<sup>(١)</sup> وقد حدد هذا المستشرق المادة العلمية التي يستقي منها بحثه قائلاً إن معجمه: (يتناول الكلمات الموجودة في القرآن والحديث والشعر والأمثال والمؤلفات التاريخية والجغرافية وكتب الأدب والكتابات المنقوشة والمخطوطات على أوراق البردي والنقود ... وقد استثنيت من ذلك في الغالب الكتب الفنية إلا أنني توسعت في أخذ المصطلحات منها).<sup>(٢)</sup>

ولئن كان بعض معاجم العربية القديمة لم يخلُ من بذرة المعجم التاريخي الذي يعنى بتاريخ تطور الدلالات عبر العصور، مما يعني أن عمل المستشرق فيشر لم يبدأ تماماً من فراغ، وإنما سبقته إرهاصات وتمكّات لها قيمتها وثقلها في مجمل خُطاطات المعجم التاريخي، ومنها ذكر بعض القصص والحكايات التي تسهم في "الوسم التاريخي" العام لألفاظ اللغة ومواطن الناطقين بها (وبعد؛ فإنني قصدت في هذا المجموع ذكر المواضيع المشهورة عند الناس من العربية والعجمية والأصقاع التي تعلقت بها قصة، وكان في ذكرها فائدة أو كلام فيه حكمة، أو لها خبر ظريف أو معنى يُستملح أو يُستغرب ويحسن إيرادها).<sup>(٣)</sup>

---

١. المعجم العربي نشأته وتطوره للدكتور حسين نصار، ج ٢، ص ٧٣٤، ط ٢، ١٩٦٨.

٢. السابق نفسه.

٣. الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهراس شاملة)، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان.

كما يمثل بعضُ إشارات التأريخ الدلالي والتصنيف القبلي للغة<sup>(١)</sup> مثل ما ورد في القاموس واللسان وأساس البلاغة بذراتٍ لهذا المعجم التأريخي.<sup>(٢)</sup>

إن اللغة العربية لم تعرف هذا النوع من المعاجم بسَمِّه الأوروبي، وارتبطت معرفتنا به بعد احتكاك العرب بالبلدان الأوروبية وأمريكا في العصر الحديث، ولقد جعل معظم مجامع اللغة العربية هدفاً له تأليف المعاجم التأريخية العربية دون أن نشهد — حتى اليوم — ميلاد معجم تأريخي عيَل صبر انتظاره وجاوزنا أُرُوفَ ساعة تأليفه.

١. من ذلك تسميات العرب لخيولها ووسمها بدلالات عربية تعطي الدارس تصوراً عن تطور دلالات المسميات في التراث اللغوي، أسماء الخيول نموذجاً: (أول من ارتبط فرساً في سبيل الله سعد بن أبي وقاص، وروى سفيان بن عيينة عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود. وكان للزبير بن العوام فرس يقال له: اليعسوب، وفرس شهد عليه خيبر يقال له: معروف، وكان له أيضاً فرس يقال له: ذو الخمار شهد عليه يوم الجمل) كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها، لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، ص ٨٢، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، ط ١، ١٩٨٤، مكتبة النهضة المصرية.

ومن ارتباط أسماء القبائل بدلالات الألفاظ نورد أيضاً: (بَهْلَةٌ: (بَهْلًا) مِنْ بَابِ نَفَعٍ لَعْنَةٌ وَأَسْمُ الْفَاعِلِ بَاهِلٌ وَالْأُنْثَى بَاهِلَةٌ وَبِهَا سُمِّيَتْ قَبِيلَةٌ، وَالْإِسْمُ الْبَهْلَةُ وَرَأَى عُرْفَةَ وَبَاهَلَهُ مُبَاهَلَةٌ مِنْ بَابِ قَاتَلَ لَعْنٌ كُلُّ مَنْهُمَا الْآخَرَ وَابْتَهَلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ضَرَعَ إِلَيْهِ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ج ١، ص ٦٤، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٢. ترسّم الزمخشري طريقة خاصة في معجمه أساس البلاغة، إذ تتبع مسار الكلمات من الحقيقة إلى المجاز دون أن يحدد طبعاً زمان المسار، ولكن ذلك كان بداية لجزء من تتبع مسار الكلمة الدلالي حقيقة (وضعها الأول) ومجازاً (مسارها الدلالي): ومن المجاز: (أذهن في الأمر، وداهن: صانع ولاين. ودهن المطر الأرض: بلها بلاً سيراً. وناقة دهن: قليلة اللبن. وما وردنا إلا المداهن وهي نقر الماء. وفي الحديث "نشِفَ المُدْهَنُ وَيَسَّ الْجَعِشَنُ". وذهن الأرض: دملها. ودهنه بالعصا، كما تقول: مسحه بالعصا. ومسحه بالسيف: ضربه. وما أدهنت إلا على نفسك أي ما أبقيت إلا عليك) أساس البلاغة، للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص ١٣٨، تحقيق الأستاذين: عبدالرحيم محمود، وأمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ولقد أمّضني فراغُ المكتبة العربية من هذا المعجم التاريخي أيما  
إمضاخ؛ لما يترتب على خلوّها منه من نقائص علمية وأدبية لا حصر لها،  
وهذا ما أثر في جوانب لغوية عديدة منها:

- كون معظم ألفاظ اللغة العربية واصطلاحاتها عُفلاً من أي ميسم  
تاريخي.

- افتقاد الباحثين والمهتمين لحلقات وقناطر الصيرورة الدلالية والسيرورة  
التاريخية اللغويتين العربيتين.

- انقطاع استحضار الحمولات العلمية والثقافية للكلمة أثناء سفرها  
اللامتناهي في الزمان والدلالة.

ولأن مشروع المعجم التاريخي هو مشروع أمة، وعمل ينوءُ به العصبَةُ  
أولو القوة من المجامع اللغوية جماعاتٍ، والمؤلفين المعجميين فرادى، لم  
أشأ إلا أن أرمي بحجري في هذا النهر الساكن الآسن، وأسهم -ولو بحبة  
خردل- في هذا المشروع الحضاري المُلحاح الأهمية، إذ بادرت إلى جمع  
ورصد بعض التحولات الدلالية الأساسية وتنويع حقول الاستشهاد والتدرج في  
التأريخ الدلالي للشاهد، وذلك لزهاء ثلاثة آلاف شاهد أزعَم أنها تصور  
جوانب مهمة من الفسيفساء العلمية والثقافية والحضارية للغة العربية منذ نزول  
القرآن الكريم إلى اليوم. لقد جمع "معجم الشواهد" في موسوعة  
"المستكشف" - أول مرة في تاريخ المعاجم العربية حسب علمي المتواضع -  
هذا العدد من الشواهد المتدرجة التأريخ والمختلفة الدلالة إذ جمعت هذه

الشواهد بين (الشرعي والأدبي والتأريخي والفلسفي والعلمي... إلخ)، مما يمكن عدّه تحوّلاً في إيراد الشاهد في المعاجم العربية (التحول من الشاهد القاعدي إلى الشاهد الثقافي التأريخي النسبي).

وإطلاعاً للقارئ على نماذج من هذه الشواهد، ومنهجي فيها أورد النماذج الآتية:

### الشواهد ذات الحمولة الشرعية<sup>(١)</sup>:

بَرَّ اللهُ الشَّيْءَ: خلقه، واستَبْرَأَ الرجل المَرْأَةَ: لم يَطَأْهَا حتى تَحِيضَ.

١- وقد نقل القرآن الكريم الكلمة من معناها الأصلي العام، إلى دلالة أرحب "البرء" (الخلق)، بما فيه اسم الله "البارئ"، يقول الله تعالى: (٤هـ- ٢٣هـ) (هُوَ اللهُ الَّذِي خَلَقَ الْبَارِيَّ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الحشر ٢٤، مدنية.

٢- ومع تطور الفقه الإسلامي ولا سيما في باب الطهارة والنكاح والطلاق، ظهرت دلالات جديدة للمادة (الاستبراء من البول)، يقول صلي الله عليه وسلم: "أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول... (البخاري).

٣- وفي دلالة (الاستبراء من الحيض)، يقول الشافعي (م و) في التحديد الشرعي لذلك: (قلت فتكون معتدّة لا بحيض ولا بشهور ولكن باستبراء قال نعم إذا أنست شيئاً تخاف أن يكون حاملاً، قلت وكذلك التي تعتدّ بالشهور وإن ارتابت كفت عن النكاح قال نعم قلت لأن البريئة إذا كنت مخالفة غير البريئة) الأم للشافعي الخاسي: حَسَأَ الكَلْبُ: طَرَدَهُ.

١. انظر موسوعة المستكشف، ص ١٧٢٠ - ١٧٩٩.

٤- وقد أضفى القرآن الكريم دلالة طرد وحسران أكبر على المادة ،  
عندما يواجه أهل النار بذلك الطرد ويقال لهم (٩-٢٣هـ) (قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا  
وَلَا تُكَلِّمُون) المؤمنون ١٠٨ - مكية.  
ساءة: فَعَلَّ بِهِ مَا يَكْرَهُ.

### الشواهد ذات الحمولة الثقافية الأدبية غالباً:

بدأ به: اِبْتَدَأَ، . و . الشَّيْءَ: فَعَلَهُ اِبْتِدَاءً.

١- ومع انبثاق التقعيد والتنظير لكلام العرب وظهور علم النحو والقواعد، اتخذت هذه المادة معنى جديداً (المبتدأ والابتداء)، وعن ذلك يقول سيبويه بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٤٨ - ١٨٠هـ/٧٦٥ - ٧٩٦م)

(واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والحار على المبتدأ) الكتاب.

٢- بيد أن تطور الدلالة وتشعبها، واكب تطور علوم ومعارف أخرى، وهكذا ظهر- مع تطور الفلسفة ونقل التراث الفلسفي الإغريقي وغيره إلى العربية، مفهوم معرفي ووجودي جديد (المعارف المبدئية/ مبادئ الوجود)، وهو ما يذكره الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ/٨٧٤ - ٩٥٠م).

(فعلى هذه المثال نرتقي من علوم الأشياء المتأخرة عن مبادئ الوجود إلى اليقين بالأشياء التي هي مبادئ أقدم وجوداً، فإن كان مبدأ الوجود الذي صرنا إليه بهذا الطريق له مبدأ آخر أعلى منه وأبعد من الأول جعلنا ذلك مقدماً وارتقينا منه إلى مبدأ لمبدأ) تحصيل السعادة الفارابي.

٣- ومع تراكم وتعمق الدراسات النحوية والتقعيدية العربية، نجد بعض المؤلفين يعود إلى الدلالة النحوية (المبتدأ) بمزيد من التفسير مشيراً إلى طريقة وسر اشتقاقها، يقول أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦ هـ/ ٩٢٩ محمد بن السري بن سهل): (المبتدأ: ما جردته من عوامل الأسماء ومن الأفعال

والحروف، وكان القصد فيه أن تجعله أولاً لثانٍ مبتدأ به دون الفعل يكون ثانيه خبره ولا يستغني واحد منهما عن صاحبه، وهما مرفوعان أبداً فالمبتدأ رفع بالابتداء والخبر رفع بهما) الأصول في النحو.

## ٥ - المعجم الإحيائي:

في هذا المعجم سعيت إلى تتبع ما أراه ثغراتٍ استعماليةً يحسها المستعمل المتوسط للفصحى المعاصرة، متبعاً منهجاً يعتمد الخطوات التالية:

- تحديد الثغرة الاستعمالية (تَبَيَّنُ طبيعة الثغرة من خلال سؤال افتراضي مؤداه: بماذا تعبر اللغة عن ثغرة استعمالية يجدها مستعمل الفصحى المتوسط).

- اقتراح سدّ الثغرة الاستعمالية (تصنيف الثغرة الاستعمالية وتشخيص الضعف التعبيري المحتمل للمستعمل المتوسط للفصحى المعاصرة).

- مراعاة سهولة سدّ الثغرة الاستعمالية (قصرأً وسهولةً نطق، ودقة وصف).

لقد سعيت في هذا "المعجم الإحيائي" إلى الابتعاد عن التنظير العام لغنى اللغة العربية المجسد في معاجمها؛ إذ جرت سنة اللغويين والكتاب على ذلك (هذه مقدمة الصحاح للجوهري، أول مقدمة من نوعها في تاريخ معجماتنا العربية، إذ لم يسبق تقديم معجم عربي بمقدمة مثلها في استقصائها لتاريخ المعجمات في لغتنا، وإمامها بتاريخ المعجمات في اللغات الأخرى، وقد أفرد فيها الكاتب الباحث نبذة حسنة لترجمة الجوهري صاحب الصحاح، ولكنها - فيما عدا هذه النبذة - تصلح أن تكون مقدمة تامة للصحاح ولسائر المعجمات العربية في جملتها؛ لأنها تغني القارئ بما

اشتملت عليه من المعلومات والآراء فيما يتحرّاه من التوسع والإفاضة إذا شاء<sup>(١)</sup>، إنما تحتاجه معاجم الفصحى هو التركيز على الجوانب التطبيقية لهذا الغنى الدلالي الذي طمره الترتيب الهجائي الاعباطي، وفصل جوانب منه ووضحها التصنيف الدلالي الذي اتبعناه في موسوعة "المستكشف"<sup>(٢)</sup>.

لقد بوأ القرآن الكريم اللغة العربية مكانة قعساء، وكفل لها الانتشار في الآفاق في فترة وجيزة قياساً إلى فترات انتشار اللغات الأخرى (الحمد لله الذي جعل هذا اللسان نوراً للأذهان ووسيلة للعرفان وأنطق به ألوف ألوف من ذوي القدر والشأن، والتاج والصولجان، في كل مكان وزمان فاشتغلوا بعلمه حتى شغلوا عن ملاذ الأبدان وتنافسوا فيه كما يُتنافس في الحسان، ودونوا فيه كتباً لم تنزل مثلوها إلى الآن، مع حؤول الأحوال وتعاقب الأزمان، وتتابع الفتن وتتابع المحن والعدوان فيمكن أن يقال بالبرهان).<sup>(٣)</sup>

بيد أن السعي يجب أن يبقى حثيثاً إلى عصر إحيائي وإنهاضي للغة العربية يستقوي بزادها اللغوي الوفير، على أن يقدم بطريقة أكثر منهجية وأكثر قرباً إلى عصرنا المرتهن بالأرقام والمسكون بعصر السرعة الفلكية انطلاقاً من

---

١. مقدمة الصحاح، تأليف أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت.

٢. من نماذج الاكتفاء بذكر غنى اللغة العربية واتساعها للمعارف والعلوم (وهذا متفق عليه) ما تمتلئ به مقدمات معاجم وكتب اللغة، انظر نماذج من هذه المقدمات (مقدمة تهذيب الأزهري ومقدمة الصحاح ومقدمة أساس البلاغة للزمخشري ومقدمة لسان العرب وخطبة القاموس المحيط للفيروزآبادي... الخ تجد كل هذه المقدمات تجمع على هذا الثراء دون أن تتبع نهجاً استكشافياً تطبيقياً في المعاجم العربية يميظ اللثام عن هذا الثراء، بل اكتفت هذه المعاجم بمراكمة المادة اللغوية حسب الترتيب الهجائي، ولكنهم معذورون، وقد أوفوا بما يستطيعون حفظاً للغة وإثباتاً لها في المتون المعجمية. والآن حان الوقت لتسلم الراية منهم، وإضافة الجديد إلى عملهم الجديد بدل لوكة واجتراره فقط.

٣. الجاسوس على القاموس، لأحمد فارس الشدياق، ص ٢، المكتبة الكويتية الثقافية، الكويت.

معايير ومقومات محددة، إذ (ما دام لكل لغة أو لهجة مستواها الصوابي الخاص، فلا بد لمن يريد التكلم بلغة أو بلهجة غير لغته أو لهجته أن يتعلم مطابقة جميع عناصر مستواها الصوابي، من أصوات، ومفردات، وصيغ، وطرق تركيب جمل، ونبر، وتنغيم، وإشارات باليدين، والوجه أثناء الكلام، وطرق استجابته لما يسمع، وهلم جرا).<sup>(١)</sup>

ولعل من البدهة الإشارة إلى أن هذا الجهد الإحيائي للفصحى يجب أن يراعي درجات المتعلمين والناطقين باللغة، ليوفر لغة تناسب كل الثقافات والأجيال إذ (يرى بعض علماء النمو وبصفة خاصة عالم النفس السويسري جان بياجيه نتيجة لدراساته وتجاربه العديدة على الأطفال؛ أن الطفل يحقق عن طريق حديثه، وعلى الأخصّ خلال السنوات المبكرة من عمره رغبته في التحدث أولاً وقبل كل شيء لنفسه وعن نفسه لا للآخرين).<sup>(٢)</sup>

لقد حرصت على تخصيص جزء من موسوعة المستكشف لهذا المعجم الإحيائي الدلالي، لكشف الغطاء عن جوانب من ثراء الفصحى وقدرتها على التعبير عن كل جوانب الحياة الاجتماعية والعلمية والسياسية التي تعيشها مجتمعاتنا العربية المعاصرة، وغير مجتمعاتنا من الناطقين بالعربية.

ويحس المتأمل ألمأً بالغا وهو يرى هذه اللغة العربية تُهادى بين اللغات الأوروبية الحديثة وتوصم بالعجز والقصور، بينما هي براء من ذلك، لما يوفره معجمها من ثراء لا حدود له ولما تكشفه \_بصورة خاصة\_ حقولها الدلالية من دقة وصفية خارقة<sup>(٣)</sup>.

---

١. اللغة بين المعيارية والوصفية، للدكتور تمام حسان، ص ٥٩، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢. اللغة عند الطفل تطورها ومشاكلها، إعداد الدكتورة ليلي أحمد كرم الدين، ص ١١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٣. للاطلاع على هذا الثراء في الحقول الدلالية انظر موسوعة المستكشف مثلاً ص ٣٥ - ٤٥٠.

وتمثيلاً لهذا المعجم الإحيائي أورد النماذج الآتية من موسوعة  
"المستكشف":

نماذج من الثغرات الاستعمالية وأمثلة لسدها<sup>(١)</sup>:

وجهة الاقتراح	سؤال تحديد الثغرة الاستعمالية	التعبير المقترح لسد الثغرة الاستعمالية المعاصرة
التعبير بفعل واحد (أَكَا) مقبول من الناحية الصوتية عن حالة اقتضاء تعبير قانوني.	كيف تعبر اللغة عن الاستيثاق بالشهود؟	أَكَا: اسْتَوْتَقَّ مِنْ غَرِيْمِهِ بِالشُّهُودِ (لغة التوثيق القانونية).
التعبير بفعل واحد شائع الاستعمال (بَارَأَ) عن اقتضاء شرعي وقانوني مُلِحٌّ.	كيف تعبر اللغة عن مصالحة المرأة على الفراق؟	بارأ المرأة: صالحها على الفراق (لغة الأحوال الشخصية).
التعبير بفعل واحد عن اقتضاء تعبير واضح.	كيف تعبر اللغة عن حال من أقر بعد إنكار؟	تَسِيًّا فَلَانَ بِحَقِّي: أَقَرَّ بِهِ بَعْدَ إِنْكَارِهِ (لغة القانونية).
تعبير يصف مرارة الظلم.	كيف تعبر اللغة عن واقع مرارة الظلم؟	"وقَعُوا فِي أُمَّ جُنْدَبٍ" أَي: ظَلِمُوا (لغة التظلم).
تعبير يصف التمكن من كل الأمور الموصوفة، وتقتضيه مناحي التعبير المختلفة التي جمعها هذا التعبير.	كيف نعبر عن كل هذه الاقتضاءات التعبيرية بكل اختصار؟	فَصَلِّ الْخِطَابِ: الْحُكْمُ بِالْبَيْتَةِ، أَوِ الْيَمِينِ، أَوِ الْفِقْهَةِ فِي الْقَضَاءِ، أَوِ النَّطْقِ بِأَمَّا بَعْدَ (لغة القضاء).
اقتضاء الادعاء.	كيف تعبر اللغة عن ادعاء الملكية؟	تَرَبَّبَ الرَّجُلُ وَالْأَرْضَ: ادَّعَى أَنَّهُ رَبُّهُمَا (لغة العقارات).
اقتضاء التعبير عن حالة معيشة في	كيف تعبر اللغة عن	الرُّقْبَى: أَن يُعْطَى إِنْسَانًا

١. انظر موسوعة المستكشف ص ١٣١٢ - ١٤١١.

كل المجتمعات يكون فيها التعبير مركباً ومتسلسلاً.	لغة التحسيس والتورث المتعاقب؟	مَلِكًا، فَأَيُّهُمَا مَاتَ رَجَعَ الْمَلِكُ لِوَرَثَتِهِ، أَوْ أَنْ يَجْعَلَهُ لِفُلَانٍ يَسْكُنُهُ، فَإِنْ مَاتَ فْفُلَانٌ (لغة التملك).
اقتضاء التعبير عن نوع معين من التجاور.	كيف تعبر اللغة عن لغة التواصل والتجاور الأقرب؟	و"الجارُّ أَحَقُّ بِصَفِّهِ"، أي: بما يليه وَيَقْرُبُ منه (لغة التواصل الإنساني).
اقتضاء التعبير عن حالة من حالتين: الفقر وخذلان الآخرين.	كيف تعبر اللغة عن هذه الحالة الإنسانية البالغة الألم؟	الأَعْضُبُ: مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ. وَالْقَصِيرُ الْيَدِ (لغة العلاقات الإنسانية).
اقتضاء لغوي يتطلبه موقف كهذا.	كيف تعبر اللغة عن توقيت القتال؟	تَنَاحَبُوا: تَوَاعَدُوا لِلْقِتَالِ إِلَى وَقْتِ مَا (لغة القتال).
اقتضاء التعبير عن انعدام معرفة القاتل وانعدام الحليف لمن أسلم حديثاً.	كيف تعبر اللغة عن قتيل لا يعرف قاتله، ومن أسلم ولم يوالٍ أو يحالف جماعة أو قبيلة معينة؟	المَفْرَجُ: الْقَتِيلُ يُوَجَدُ فِي فَلَاةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْقُرَى وَالَّذِي يُسَلِّمُ وَلَا يُوَالِي أَحَدًا (لغة القتل والولاء).
اقتضاء التعبير عن الترابط بين السجن والسجناء في هذه الحالة.	كيف تعبر اللغة عن حالة المساحين وحراسه؟	الْفَيْسُوحُ: الَّذِينَ يَدْخُلُونَ السَّجْنَ وَيَخْرُجُونَ، وَيَحْرُسُونَ (لغة السجون).
اقتضاء التعبير عن أجودية الحججة.	كيف تعبر اللغة عن أجودية الحججة؟	تَجَاوَدُوا: نَظَرُوا أَيُّهُمْ أَجْوَدُ حُجَّةً (لغة التقاضي).
اقتضاء التعبير عن اللامبالاة في تدبير الحياة.	كيف تعبر اللغة عن لا يخطط لمستقبله؟	الحَشِيدُ: مَنْ لَا يَدْعُ عِنْدَ نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْجَهْدِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمَالِ (لغة المناصرة والمناوأة).

رَجُلٌ مَحْشُودٌ: مُطَاعٌ يَحْفُونَ لِخِدْمَتِهِ (لغة المناصرة).	كيف تعبر اللغة عن أمر الطاعة الجاهزة؟	اقتضاء التعبير عن وصف الرجل المطاع من قومه.
الهِدَاهَاذُ: صَاحِبُ مَسَائِلِ الْقَاضِي (لغة التقاضي).	كيف تعبر اللغة عن مساعدي القاضي؟	اقتضاء التعبير.
تَنَاقَدُوا إِلَى الْقَاضِي: خَلَصُوا إِلَيْهِ، فَإِذَا أَدْلَى كُلُّ مِنْهُمْ بِحُجَّتِهِ، فَيَقَالُ: تَنَاقَدُوا (لغة التقاضي).	كيف تعبر اللغة عن الإقبال على القاضي للإدلاء بالحجة؟	اقتضاء تعبير التقاضي.
التَّأْرُ الْمُئِيمُ: الَّذِي إِذَا أَصَابَهُ الطَّالِبُ رَضِيَ بِهِ، فَتَامَ بَعْدَهُ (لغة الثأر).	كيف تعبر اللغة عن الارتياح بأخذ الثأر؟	اقتضاء تعبير أخذ الثأر.
الطَّعْرُ: إِجْبَارُ الْقَاضِي الرَّجُلَ عَلَى الْحُكْمِ (لغة القضاء).	كيف تعبر اللغة عن تنفيذ أحكام القضاء؟	اقتضاء اللغة القضائية التعبيري.
يَأْكُلُ عَلَى ظَهْرِ يَدِي، أَي: أَنْفَقَ عَلَيْهِ (لغة الإعالة).	كيف تعبر اللغة عن لغة التكافل؟	اقتضاء التعبير عن حالة تكافلية.

## ٦ - معجم المستغرب اللفظي

في "معجم المستغرب" من موسوعة "المستكشف" سعت إلى تحديد جزء معين من "مادة الاستغراب اللغوي" في القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤثراً استعمال اصطلاح "المستغرب" بدل اصطلاح "الغريب" الذي تواضع عليه اللغويون العرب القدامى؛ لنسبية الغرابة اللغوية نفسها من محيط ثقافي معين إلى محيط ثقافي آخر، ومن عصر معين إلى عصر آخر؛ مما ينتج عنه تَمَيُّعُ الاصطلاح نفسه (إذ ما قد يعد في عصر صدر الإسلام من الألفاظ

الأليفة مثلاً قد يعد بعضه في العصر العباسي والأعصر اللاحقة غريباً  
وهكذا...).

وتمثيلاً لاختلاف الغرابة اللفظية حسب الأزمان والثقافات أقترح على  
القارئ أن يقرأ معي: (والمسائح أطراف الشعر حيث يمسح الإنسان بيده،  
والمحدودة: منحدره القفا عن أعلى الرأس، وجمعه قماحد، قال الشاعر:  
فإن يقبلوا نطعن ثغور نحورهم\*\* وإن يدبروا نضرب أعالي القماحد  
والقذال: القفا، والمقدُّ: مقاطع الشعر).<sup>(١)</sup>

ويقرأ أيضاً معي\_ تمثيلاً لما أشرت إليه من نسبة الألفة والغرابة حسب  
عصر المتلقي وثقافته: (فالحال واحدة، وذلك نحو قردود، وسحتيت،  
وصهميم، وقرطاط، وصفنات (وعثوثل) (واعشوشب واخلولق).  
فهذا حكم المثليين يجيئان مع الأصليين.

وكذلك إن جاء بعد الثلاثة الأصول؛ وذلك نحو قفعدد، وسهلل،  
وسبحلل، وهرشف، وعربد، وقسحب، وقسقب، وطرطب)<sup>(٢)</sup>.

---

١. نظم الغريب في اللغة، لعيسى بن إبراهيم بن عبدالله الربيعي الوحاظي الحميري، ص ٢٣، تحقيق:

محمد ابن علي الأكواع الحوالي، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت.

٢. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، ج ٢، ص ٥٩، حققه: محمد علي النجار، دار الهدى

للطباعة والنشر.

لقد جَهِدْتُ في معجم المستغرب من أجل جدولة وتصنيف وترتيب وتبويب ما يقارب ألفي مادة مستغربة، وحاولت أن أقارب هذا المعجم الاستغرابي مقارنةً مختلفة عن المنهج الذي كان متبعاً في معاجم العربية وكتب اللغة، مركزاً على جملة من النقاط منها:

- جرد وإحصاء ما يزيد على تسعة وسبعين وزناً مستغرباً من المادة اللغوية.

- عدت إلى مصادر لغوية كبرى (مثل الكتاب لسيبويه) لتأصيل هذه المقاربة<sup>(١)</sup>، على الرغم أن المنطلقين المنهجيين مختلفان (منطلق سيبويه هو منطلق صرفي غايته إيراد أكثر الأوزان الصرفية قلة: عد منها واحداً ومائة وزن، ممثلاً لكل وزن بمثاليين أو أكثر فقط)، أما منطلق "المستكشف" فهو منطلق دلالي وصوتي وصرفي: إذ أحصى ما يزيد على تسعة وسبعين وزناً من هذه الأوزان التي أسميها أوزاناً غير صيغية، وعددَ موزونها - أول مرة - حسب علمي المتواضع.

---

١. باب معرفة بنات الأربعة التي لا زيادة فيها: فمنها ما يكون على (فُعَلِّل)، فيكون اسماً وصفة. فالاسم نحو جعفر، ونهشل والنعث، مثل سلجم، وسلهب. ويكون على (فُعَلِّل) فيهما. فالاسم؛ نحو البرثن، والترتم. والصفة، نحو قولك رجل قلقل، وناقعة كحكح. ويكون على فِعْلِل فيهما، فالاسم الزبرج والخمخم. والنعث اللطلط وهو قليل. ويكون على (فُعَلِّل) فيهما. فالاسم درهم. والصفة (هجرع) المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، ج ١، ص ٦٦، تحقيق: محمد عبدالحالقي عزيمة، عالم الكتب - بيروت.

إن نظرتي إلى المادة اللغوية المستغربة، ليست نظرة معيارية، وإنما هي نظرة وصفية، إذ توخيت في هذا المعجم الاستغرابي أن أقدم هذه المادة اللغوية لا على أساس أنها ذخيرة لغوية وثُكَّاءٌ احتياطية للفصحى — كما يرى بعضهم — أو نُحْشارة أو نُفاية يجب أن تُسحى منها الفصحى — كما يرى بعضهم الآخر.

إن للغريب اللغوي مساراً بحثياً قديماً في الدراسات اللغوية القديمة، وهكذا تناول اللغويون من غريب اللغة وغريب القرآن وغريب الحديث نفاً مختلفة<sup>(١)</sup>، وقد عني اللغويون بجوانب مختلفة من هذا الغريب منها: تصنيف لفظ الغريب نفسه ونسبته إلى أصله من مستعمليه من القبائل العربية التي بقيت منها أثاراً مع اللغة القرشية التي سَوَّدها القرآن الكريم، ومنها استيحاش الكلمة الواردة في الشعر أو الخطب أو الوصايا وطولها وتنافر حروفها... إلخ.

وعلى الرغم أن ما ورد في القرآن الكريم من لغة قريش وقليل من لغات العرب الأخرى كان الأفضح والأروع، ولكن ذلك لا يمنع من استغراب بعض

---

١. من المصنفات في غريب القرآن نذكر: الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، حققه وقدم له محمد المختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات — بيت الحكمة .. كتاب (تفسير غريب القرآن) أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، مكتبة الهلال — بيروت.. كتاب (زهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز) لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)، حققه الدكتور يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة — بيروت .. كتاب (تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)، دراسة وتحقيق: هدى الطويل المرعشلي، دار النور الإسلامي.

الكلمات الواردة في القرآن الكريم خاصة من لغات قبائل العرب الأخرى، ومن ذلك ما نسب إلى نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر؛ إذ أراد أن يسألا عبدالله ابن عباس عن بعض الغريب في القرآن: (فقاما إليه، فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب؛ فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

فقا ابن عباس: سلاني عما بدا لكما).<sup>(١)</sup>

كذلك ورد الغريب في الحديث النبوي الشريف، ولكنه لم ينح منحى الاستيحاش والمعاطلة<sup>(٢)</sup>، وإنما كانت نسبية الغرابة نفسها منطبقة على مفهوم الغريب نفسه؛ إذ لا يعقل أن يخاطب النبي \_ صل الله عليه وسلم \_ الناس إلا بما يفهمون (مراعاة حال المتلقي) ومع ذلك نتحفظ على استغراب نماذج من هذا الغريب بل نراه كان أليفاً في عصره ومماشياً لثقافة ذلك العصر: (روى أنه كتب له: من محمد رسول الله إلى الأقبال العباهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، على التبعة شاة، والقيمة لصاحبها، وفي

---

١. غريب القرآن لحبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، نص المحاورة التي دارت بفناء الكعبة بين نافع بن الأزرق وابن عباس، ونقلها السيوطي في الإتقان، ص ٢١، و ٢٢، عرض وتقديم وتحقيق: محمد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢. وصف اللغويون اللفظ الغريب وأضافوا على ذلك الوصف جوانب صوتية مثل تنافر الحروب واستئصال مخارجها وجوانب دلالية مثل بذاءة المعنى، يمكن التمثيل للغريب المستوحش من ناحية تنافر الحروف:

فَعْبَلٌ: (عَدَيْطٌ): قال أبو عثمان: ويقال عذيط الرجل عذيطة: إذا أحدث عند غشيان النساء، وهو العذَيوط.

افْعَلَلٌ: (اعلنكس): قال أبو عثمان: اعلنكس الشَّعْرَ واعلنكك: إذا تراكب واجتمع. ويقال أيضاً: اعلنكس: إذا اشتد سواده. (كتاب الأفعال، لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (ت بعد ٤٠٠ هـ)، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: د. محمد مهدي علام، ج ١، ص ٣٢٤، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

السيوب الخمس، لا خِلاط ولا وِراط، ولا شِناق ولا شِغار، ومن أجبي فقد أربي، وكل مسكر حرام).<sup>(١)</sup>

لقد أسلفنا أن سيبويه وغيره من اللغويين تناولوا أوزاناً من الغريب صيغةً ودلالةً وسبب غرابة<sup>(٢)</sup>.

١. الفائق في غريب الحديث، للعلامة جاز الله محمود بن عمر الزمخشري، الجزء الأول، ص ١٤، تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢. من هذه الأوزان الغريبة وأسباب الغرابة للألفاظ:

**أولاً:** طول الكلمة: "وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال، وغيرهما مزيداً فيه وغير مزيد فيه؛ وذلك لأنه كأنه هو الأول فمن ثم تمكن في الكلام، ثم ما كان على أربعة أحرف بعده، ثم بنات الخمس وهي أقل لا تكون في الفعل البتة ولا يكسر بتمامه للجمع لأنها الغاية في الكثرة، فاستثقل ذلك فيها؛ فالخمس أقصى الغاية في الكثرة، فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمس لا زيادة فيها ولا نقصان، والخمس أقل الثلاثة في الكلام".

**ثانياً:** تنافر الحروف: (فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقته فقال: "تركناها ترعى الهعجع"، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ "مستشزر" في قول امرئ القيس: غدائه مستشزرات إلى العلاء).

**ثالثاً:** قبليّة اللغة: وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائهم وسلّاقهم التي طبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عننة تميم ولا عجرية قيس ولا كسكشة أسد ولا كسكسة زبيعة ولا الكسر الذي سمّعه من أسد وقيس مثل: "تعلمون" و "تعلم" ومثل "شعير" و "يعير"؟.

**رابعاً:** الدلالة البديئة للكلمة: يرى ابن العميد أن من أسباب استغراب الكلمة، هجران العرب لها لاستعمالهم إياها في دلالة بديئة.

(موسوعة المستكشف الصفحات)

٢ - أفعلى، مثل: أبجلى.

- أفعلة، مثل: أسكفة.

- إفعلان.

- أفعلان.

وضع سببويه مجموعة من الأسباب والأوزان تغلب على الألفاظ الغريبة  
ذاكراً أوزاناً عدة من ذلك.<sup>(١)</sup>

وكذلك تناول ابن سلام أوزان الغريب ودلالاته: (اللعمظ: الشهوان  
الحريص، من قوم لعامظة.

قال أبو زيد: هو اللعمظ واللعموظ، يقال: رجل لعموظ، وامرأة لعموظة،  
وجمعه: لعامظة. الفراء: هو اللعمظ أيضاً. الفراء: رجل لعوٌ ولعىٌ منقوص مثل  
اللعمظ، وهو الشره الحريص)<sup>(٢)</sup>.

ولقد انصرف كثير من علماء العربية إلى دراسة الأوزان الصيغية المعروفة،  
ولم يركزوا بما فيه الكفاية على الأوزان غير الصيغية التي كان من "سوء

- 
- إفعلاء، مثل: إربعاء.
  - "وتلحق الهمزة غير أول وذلك قليل؛ فيكون الحرف على فعلا، مثل ضهيا صفة وضهيا اسم،  
وعلى فُعائل مثل: حُطائط، وخرائط، وفعأل قالوا: شمال وشامل، وهو اسم".
  - أفعل، مثل: أصبع
  - "وأما الصفة فنحو الإسكاف، وهو في الصفة قليل، ولا نعلمه جاء غير هذا".
  - "ويكون على الإفعال، مثل: الإسحار، ولا نعلمه جاء اسماً ولا صفة غير هذا".
  - ١ - أفعلِي، مثل: أبجلى.
  - أفُعلة، مثل: أسكفة.
  - إفعِلان.
  - أفعلان.
  - إفعلاء، مثل: إربعاء.
  - "وتلحق الهمزة غير أول وذلك قليل؛ فيكون الحرف على فعلا، مثل ضهيا صفة وضهيا اسم،  
وعلى فُعائل مثل: حُطائط، وخرائط، وفعأل قالوا: شمال وشامل، وهو اسم".
  - أفعل، مثل: أصبع.
  - "وأما الصفة فنحو الإسكاف، وهو في الصفة قليل، ولا نعلمه جاء غير هذا".
  - "ويكون على الإفعال، مثل: الإسحار، ولا نعلمه جاء اسماً ولا صفة غير هذا"، (موسوعة  
المستكشف الصفحات).

٢. الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ج ١، ص ٩٠، حققه وقَدَّم له: محمد  
المختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، بيت الحكمة.

حظها" أن كانت من حظّ الغريب، ومن أمثلة تركيزهم على تلك الأوزان الصيغية (أفعل التفضيل): (وأما عدله: فقال أكثر النحويين: إنه معدول الألف واللام، لأن الأصل في أفعل التفضيل أن لا يجمع إلا مقروناً بهما كالكبير والصغير فعدل عن أصله، وأعطي من الجمعية مجرداً ما لا يعطي غيره إلا مقروناً، فهذا عدل الألف واللام لفظاً، ثم عدل عن معناهما، لأن الموصوف به لا يكون إلا نكرة، وكان حقه إذا عدل عن لفظها أن ينوي معناها مع زيادة، كما نوى معنى اثنين في (مثنى)).<sup>(١)</sup>

ومن أمثلة تركيزهم على تلك الأوزان الصيغية أيضاً (الصفة المشبهة باسم الفاعل مثلاً): (هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه، ولم تقوَ أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع، وإنما شبّهت بالفاعل فيما علمت فيه.

وما تعمل فيه معلوم، إنما تعمل فيما كان من سببها معرفةً بالألف واللام أو نكرة، لا تجاوز هذا؛ لأنه ليس بفعل ولا اسم هو في معناه).<sup>(٢)</sup>

إن بعضاً من أهمية معجم المستغرب في موسوعة المستكشف تكمن في جرده الاستقرائي للأوزان الأكثر غرابة، ولكنها أوزان يمكن أن تكون أوزاناً صيغية، تضاف إلى الأوزان الصيغية المعروفة، ولئن كنت لا أنوي في هذه المرحلة من البحث أن أقترح صيغاً صرفية جديدة لهذه الأوزان، فياني أرى أنه

---

١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للإمام جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٨١، تحقيق وشرح: أ. عبدالسلام محمد هارون و د. عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

٢. الكتاب: كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ج ١، ص ١٩٤، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار القلم، ١٩٦٦.

يجدر بنا أن نتأملها بوصفها الجانب الآخر من أوزان العربية المُتَكَلِّم عنها  
 لمأماً في كتب النحو والصرف والمسكوت عنها بما تمثله من ثقل لغوي  
 واسع في اللغة العربية (تسعة وسبعين وزناً في موسوعة المستكشف)، وتمثيلاً  
 لهذه الأمثال أورد النموذجين الآتيين:

أ- الوزن المستغرب الخامس عشر: الفُنْعُل<sup>(١)</sup>

الرقم العددي للمادة	الاسم	الدلالة	الخصائص الصوتية
(١)	الخُنْجُبُ:	اليابس من كلِّ شيءٍ	الطول والتنافر
(٢)	الكُنْتُرُ:	المُجْتَمِعُ الخَلْقِ، وَحَشَقَةُ الرَّجُلِ	الطول والتنافر والبذاءة
(٣)	العُجْبُطُ:	القصيرُ اللَّحِيمُ	الطول والتنافر
(٤)	الخُنْفُغُ:	الأحمقُ	"
(٥)	الصُّنْعُ:	الحِمَارُ الصَّغِيرُ الرَّأْسِ	"
(٦)	الصُّنْعُ:	النَّعَامُ الصُّلْبُ الرَّأْسِ	"
(٧)	القُنْدُغُ:	الدَّيُّوْتُ	"
(٨)	القُنْفُغُ:	القَصِيرُ الحَاسِسُ، والفَأْرَةُ	"
(٩)	الكُنْتُغُ:	القصيرُ	"

١. موسوعة المستكشف ص ١٨٦١ إلى ٢٠٠٦.

"	شِدَّةُ الْجُوعِ	الهَيْبَةُ:	(١٠)
"	اليَابِسُ هُرَالًا، وَالْقَصِيرُ الْمُتَدَاخِلُ	العُنْجُفُ:	(١١)
"	البَحِيلُ الضَّيِّقُ	الخُنْبُقُ:	(١٢)
"	الأَحْمَقُ	التُّعْبُقُ:	(١٣)
"	الْوَصِيفُ مِنَ الْعِلْمَانِ	الهَيْبَةُ:	(١٤)
"	تَيْسٌ إِذَا مَشَى تَرَجَّحَ لَحْمُهُ سِمْنًا	الدُّنْدُكُ:	(١٥)
"	قَدَحٌ غَلِيظٌ مِنْ خَشَبٍ	الجُنْبِلُ:	(١٦)
"	بَقْلَةٌ كَالِهَلِيُونَ، تُؤْكَلُ مَسْلُوقَةً	الجُنْجُلُ:	(١٧)
"	الداهي المُنَكَّرُ	الصُّبَيْلُ:	(١٨)
الطول والتنافر والبذاءة	البَطْرُ	العُنْبُلُ:	(١٩)
"	الصلب الشديد، والبَطْرُ، لُغَةٌ فِي العُنْبُلِ	العُنْتَلُ:	(٢٠)
الطول والتنافر	الشيخ إِذَا انْحَسَرَ لَحْمُهُ، وَبَدَتْ عِظَامُهُ	العُنْجُلُ:	(٢١)
"	عَنَاقُ الْأَرْضِ	العُنْجُلُ:	(٢٢)

"	عَنَاقِ الْأَرْضِ	الْفُنْجُلُ:	(٢٣)
"	الْعَبْدُ	الْفُنْجُلُ:	(٢٤)
"	الصُّلْبُ الشَّدِيدُ	الْكُنْبُلُ:	(٢٥)

### ب- الوزن المستغرب الثالث والعشرون: الفُعَالِلُ

الخصائص الصوتية	الدلالة	الاسم	الرقم العددي
الطول والتنافر	الْحَمَلُ الشَّدِيدُ	الْجَلَاغِدُ:	(١)
"	الرَّجُلُ الضَّخْمُ، وَالكَثِيرُ الصَّبَاحُ..	الدُّبَادِبُ:	(٢)
"	المُعَقَّلُ	العُنَافِرُ:	(٣)
"	كَثِيرُ النَّبْتِ وَالْمَاءِ	مَكَانٌ غُضَارِبٌ:	(٤)
"	السَّرِيعُ	الدُّلُّ أَمِثُ:	(٥)
"	الصُّلْبُ الشَّدِيدُ، أَوْ الضَّخْمُ السَّمِينُ	العُضَافِجُ:	(٦)
"	الصَّخْمُ السَّمِينُ	العُمَاهِجُ:	(٧)
"	الكثيرُ من كُلِّ شَيْءٍ، وَالسَّمِينُ المُمْتَلِئُ، وَالْمُكْتَبِرُ مِنَ السَّنَابِلِ	الْكُنَافِجُ:	(٨)
"	الصَّوْتُ المُتَدَارِكُ	الهُزَامِجُ:	(٩)
"	الطَوِيلُ	الْجَلَادِجُ:	(١٠)
"	الْخَالِصُ	الصُّمَارِجُ:	(١١)
"	الْأَسَدُ	الصُّمَادِجُ:	(١٢)
"	المُضَيَّرُ الخَلْقِي، المُؤْتَقَى	الصُّبَارِجُ:	(١٣)

"	اللَّبَنُ الخَائِزُ	العُجَالِدُ:	(١٤)
"	جَهْمٌ، صَخْمُ الوَجْهِ، قَبِيحٌ	رَجُلٌ كُنَائِدٌ:	(١٥)
"	الصَّخْمُ	الجُحَاشِرُ:	(١٦)
"	السهلُ من الأرضِ، والحَمَلُ الكثيرُ اللحمِ	الدُّمَائِرُ:	(١٧)
"	البَطِينُ	الطُّحَامِرُ:	(١٨)
"	الأسدُ	العُدَافِرُ:	(١٩)
"	الشريفُ	العُراعِرُ:	(٢٠)
"	الشدِيدُ	القُنَاصِرُ:	(٢١)
"	الصَّخْمُ، والقَصِيرُ، والصُّلْبُ الشدِيدُ	الكُمَاتِرُ:	(٢٢)
"	الباطِلُ	المُرَامِرُ:	(٢٣)
"	مُنَعَّمٌ	رجلٌ هُدَاكِرٌ:	(٢٤)
"	الصَّخْمُ العَظِيمُ	الجُرَافِرُ:	(٢٥)
الطولُ والتنافرُ	الشدِيدُ، والأسدُ، والجَرِيءُ المِقْدَامُ	الجُمَارِسُ:	(٢٦)
"	الشدِيدُ، والأسدُ	الجُمَارِسُ:	(٢٧)
"	الحديثُ الرقيقُ، والكذبُ	الجُلَافِسُ:	(٢٨)
"	الكَرِيهَةُ المَنظَرُ، والأسدُ	الجُنَافِسُ:	(٢٩)
"	الأسدُ	الجُنَافِسُ:	(٣٠)
"	الأسودُ الصَّخْمُ	الدُّخَامِسُ:	(٣١)
"	الصَّخْمُ الشدِيدُ من الرجالِ والإبلِ	الدُّرَانِسُ:	(٣٢)
"	الأسدُ	الدُّمَاحِسُ:	(٣٣)

"	السَّيِّئُ الخُلُقِ	الدَّنَافِسُ:	(٣٤)
"	الشُّجَاعُ	الرُّمَاحِسُ:	(٣٥)
"	مَا كَثُرَ مِنْ يَبِيسٍ	العُدَامِسُ:	(٣٦)
"	الكثيرة من الإبل	العُكَايِسُ:	(٣٧)
"	الشُّجَاعُ	المُدَاحِسُ:	(٣٨)
"	العظيم الضخم	الدُّرَافِصُ:	(٣٩)
"	الأسد الشديد الغليظ	الفُرَافِصُ:	(٤٠)
"	الثقيل الوخم	الخُرَافِصُ:	(٤١)
"	الثقيل الوخم	الجُلاهِصُ:	(٤٢)
"	ثقيل وخم	رَجُلٌ غَلَامِصٌ:	(٤٣)
"	خائر تخين	عُتَالِطٌ:	(٤٤)
"	خائر تخين	لَبِيبٌ عُجَالِطٌ:	(٤٥)
"	القرس	الهُطَاهِطُ:	(٤٦)
"	البخيل المتسمخ	الخُضَارِعُ:	(٤٧)
"	اللثيم الحسيم	الهَلَابِعُ:	(٤٨)
"	الجافي، الحسيم من الناس والإبل	الجُنادِفُ:	(٤٩)
"	الأسد والذي يُنذِرُ قُدَامَهُ	الفرانق:	(٥٠)
"	القصير المحتمم الخلق	الجُباجلُ:	(٥١)
الطول والتنافر والبذاءة	الدَّكْرُ	السُّحَادِلُ:	(٥٢)
الطول والتنافر	الموت، والداء العضال	الطُّالِطُ:	(٥٣)
"	الرجل المتطير، والغليظ الشفة	الخُثَارِ:	(٥٤)
"	العصبان	الطُّحَارِ:	(٥٥)
"	الناقة القوية الجلدة، وزهاية	الغفاهم:	(٥٦)

	العَيْش، والعَدْوُ الشَّدِيدُ		
"	الْمُنْفُذُ، والذي ليس بصَرِيحِ النَّسَبِ	الْعُجَاهِينُ:	(٥٧)
"	الناقَةُ المَوِيَّةُ الجَلْدَةُ	الْعُفَاهِينُ:	(٥٨)

## خاتمة

بعد استعراضى للطريقة المنهجية الجديدة التي اتبعتها في تألّفي لموسوعة المستكشف، وإثباتي لنماذج من المعاجم الستة المؤلفة لهذه الموسوعة (معجم الحقول الدلالية والمعجم الصوتي ومعجم المتقارب الصوتي ومعجم الشواهد ومعجم المستغرب) يمكن أن أستنتج ما يأتي:

- إن اللغة العربية لا بد أن تواجه العصر بتقانة معجمية جديدة تعتمد على تراثها المعجمي الزاخر وتفتح على الرافد التجديدي مثلاً في تيار المعجمية العربية، والتيارات المعجمية الأوروبية الحديثة.

- لعله آن الأوان أن تستكشف الطاقات الحقيقية للفصحى المتمثلة في ثراء معجمها الدلالي، (ليس من خلال التنظير الإنشائي العام) وإنما بلغة الأرقام ودقة الأوصاف وجزئية التفاصيل (هذا ما سعت إلى تحقيق جزء منه موسوعة المستكشف).

- من الواجب التفكير الجاد والنظرة العميقة إلى البنية الصوتية والصرفية والدلالية للغة العربية، انطلاقاً مما بَحَسْتُهُ ذخائرنا اللغوية التراثية، وما يمكن أن يُجِدَّهُ بحث لغوي يَمُتُّ إلى تليد اللغة ويزنو إلى طريف التجديد في قضايا بالغة الأهمية مثل بناء منظومة صوتية معيارية للنطق الصحيح لحروف العربية، واستكشاف كُنْهِ الكنز الدلالي للفصحى، من خلال تعريف الباحثين وأوساط القراء والمهتمين بالمنظومة الدلالية للحقل الدلالي العربي (ليس من خلال وَهْمِ الاكتفاء التعبيري أو اجتزاء بعض عناوين الحقل الدلالي، وإنما

من خلال منح القارئِ فرصةً استكشاف هذا الحقل الدلالي، ولعمري\_ إن ذلك أشبه ما يكون باستكشاف الحقل النطقي) لما يترتب على ذلك من نتائج علمية وأدبية وتعبيرية لا تحصى ولا تعد على التعريف بذخيرة اللغة العربية الدلالية (وهذا ما سعت موسوعة "المستكشف" إلى بلوغ بعض مناحيه بلغة الأرقام وبمنهج التصنيف والترتيب والتبويب).

- ما أكثرَ ما وُصِفَت اللغة العربية أنها لغة اشتقاق ومرونة توليدية لا تضاهي، ولكن العربية تحتاج إلى ألا نقف عند المطارحات النحوية والصرفية التي تناهت إليها عقول علمائنا القدامى، وإنما يجب أن نبني على تلك المطارحات والقواعد والتصورات منظومة جديدة تستمسك بثوابت اللغة، وتضيف إليها من أعمدة التجديد (في الأوزان الصرفية مثلاً يمكن التفكير ملياً في التسعة والسبعين وزناً التي وردت في موسوعة المستكشف بوصفها أوزاناً غير صيغية، فلم لا نحاول أن ندرجها أو نبدع لها أوزاناً صيغية جديدة خاصة أنها قائمة على استقرار واسع للمادة اللغوية).

- تناول اللغويون العرب القدامى التقارب الصوتي، واكتفوا بإيراد نزر من الأمثلة له، وإن كانت بحارٍ نظرياتهم أوسع من أوْشالِ تطبيقاتهم؛ لذا سعت موسوعة "المستكشف" أن تتقفى في بطون المعاجم العربية (القاموس المحيط نموذجاً) هذا التقارب الصوتي، لتقدم جزءاً كبيراً من مادته مجدولة مصنفةً مرتبةً إلى القارئ، ليقوم القارئ نفسه هذه الظاهرة، وتكون مهاداً بحثياً يعود إليه الباحثون والمهتمون ليرتبوا نتائج بحوثهم الصوتية والدلالية

والصرفية على أساس معطيات رقمية محددة، وليس على تخمينات وافتراضات مبنية على اليسير من الأمثلة.

- تخلو المكتبة العربية - حتى كتابة هذا البحث - من أي معجم تأريخي (نشوي) يؤرخ تطور دلالات اللغة العربية منذ أقدم عصورها حتى اليوم، على الرغم من عدة مشاريع من مؤسسات وأفراد للوصول إلى هدف تزويد اللغة العربية بهذا المعجم المنتظر؛ ولأن هذا النوع من المشاريع، لا يمكن أن يكون بين عشية وضحاها (إذ اقتضى تأليف المعاجم التاريخية لبعض اللغات الأوروبية عشرات الأعوام مثل معجم أكسفورد التأريخي الإنجليزي، ومعجم روبر الفرنسي، ومعجم اللغة الإيطالية التأريخي... إلخ)، لذا بادرت في موسوعة "المستكشف" إلى ترتيب الأولويات والسعي إلى الممكن (فصنفت زهاء ثلاثة آلاف اصطلاح بشواهدا منذ نزول القرآن الكريم حتى اليوم، جمعت من المختلف والمؤتلف من مجمل الثقافة العربية الإسلامية أمشاجاً متتبعاً في ذلك بعض المراحل الأساسية في التطور الدلالي للألفاظ المستشهد بها، قبل أن يُسلمها هذا التتبع إلى مآلها الاستعمالي الراهن، واسماً إياه (بعد أن كان غفلاً من كل وسم) بمياسم ذلك التطور الدلالي عبر بعض عصور اللغة العربية المعروفة.

- يرى بعض الباحثين (أحمد عبدالغفور عطار محقق صحاح الجوهري) أننا لا نستعمل من عشرات آلاف المواد اللغوية إلا ما يكاد يقارب العشرة آلاف مادة فقط، لقد شخص جزءاً من الداء (وهو الفقر الاستعمالي للغة

العربية المعاصرة، ولكنه لم يقدم الدواء) واجتهاداً مني وإسهاماً متواضعاً في التغلب على هذه الهوة السحيقة بين غنى العربية معجماً وفقر الفصحى المعاصرة استعمالاً، اجتهدتُ في تحديد آلاف الثغرات الاستعمالية واصفاً الثغرة ذاتها ومقترحاً الحل اللغوي المناسب لتعويضها.

وبعد فإني لا أدعي أنني بلغت ما أريد في سبيل خدمة هذه اللغة التي رَضَعْتُ لِبَانِهَا وَتَفَيَّأْتُ أَفْنَانَهَا مِنْذُ غُضِّ الشَّبَابِ، ولكني لم أَلْ جُهْداً فِي مِصَالِحَةِ ضَمِيرِي حَتَّى لَا يُعْنَتَنِي لَوْماً بِالتَّقْصِيرِ فِي حَقِّهَا.

## مصادر الدراسة ومراجعتها

١. الإحصاء التطبيقي الحديث والاحتمال: للدكتور حلمي فضل كتانة، جامعة قطر، قسم الرياضيات.
٢. الإحصاء: للباحث في التربية والعلوم الانسانية، للدكتورين: أحمد سليمان عودة، وخليل يوسف الخليلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
٣. أساس البلاغة: للإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق الأستاذين: عبدالرحيم محمود، وأمين الخولي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان.
٤. الأصوات اللغوية: للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، ١٩٧١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٥. الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، مطبعة السنة المحمدية.
٦. تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة: للدكتور صابر الحباشة، الطبعة الأولى، ٢٠١١، الحامد.
٧. الجاسوس على القاموس: لأحمد فارس الشدياق، المكتبة الكويتية الثقافية، الكويت.

٨. الخصائص: لأبي الفتح عثمان بن جني، الجزء الثاني، حققه: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر.
٩. دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر): للدكتورين: علي حلمي موسى، وعبدالصبور شاهين، مطبوعات جامعة الكويت.
١٠. الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة): لمحمد ابن عبدالمنعم الحميري، تحقيق: د. إحسان عباس، مكتبة لبنان.
١١. سر صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق لجنة من الأساتذة، الجزء الأول، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤.
١٢. علم الأصوات بين القدماء والمحدثين: للدكتور علي حسن مزبان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا.
١٣. علم الدلالة: للدكتور أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، عالم الكتب، القاهرة.
١٤. غريب القرآن: لحبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، نص المحاوراة التي دارت بفناء الكعبة بين نافع ابن الأزرق وابن

عباس، ونقلها السيوطي في الاتقان، عرض وتقديم وتحقيق محمد ابراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٥. الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، الجزء الأول، حققه وقدم له محمد المختار العبيدي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة.

١٦. الفائق في غريب الحديث: للعلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الجزء الأول، تحقيق على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٧. فقه اللغة في الكتب العربية: للدكتور عبده الراجحي، بدون تاريخ.

١٨. فقه اللغة: للإمام أبي منصور الثعالبي، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ.

١٩. فقه اللغة: للدكتور علي عبدالواحد وافي، الطبعة الثامنة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

٢٠. في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية): للدكتور غالب فاضل المطلبي.

٢١. القاموس المحيط: لمجد الدين الفيروز آبادي، الجزء الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٢. كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها: لأبي عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، مكتبة النهضة المصرية.
٢٣. كتاب الأفعال: لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: د. محمد مهدي علام، الجزء الأول، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
٢٤. الكتاب كتاب سيبويه: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الجزء الأول، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، دار القلم ١٩٦٦.
٢٥. اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية): للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/المغرب، منشورات عويدات، بيروت/باريس.
٢٦. اللغة عند الطفل تطورها ومشاكلها: إعداد الدكتورة ليلي أحمد كرم الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٢٧. مبادئ اللسانيات العامة: تأليف أندريه مارتينييه، ترجمة الدكتور أحمد الحموي، إشراف الدكتورين: عبدالرحمن الحاج وفهد عكام، المطبعة الجديدة، دمشق.
٢٨. مثلثات فُطرب (تحقيق ودراسة ألسنية): للدكتور رضا السويسي، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس.

٢٩. المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي واللغوي الأندلسي (ابن سيده): تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، الجزء الأول، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٣١. المعاجم اللغوية العربية (بداءتها وتطورها): للدكتور إميل يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٢. المعجم العربي نشأته وتطوره: للدكتور حسين نصار، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ١٩٦٨.
٣٣. المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد، الجزء الأول، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
٣٤. مقدمة الصحاح: تأليف أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.
٣٥. ملاحظات حول التطور والواقع والتحديات في المجال الدلالي: للدكتور إدريس ولد عتيه، مجلدات المؤتمر الثاني للغة العربية، تاريخ ٧-١٠ مايو ٢٠١٣ في دبي، كتاب المؤتمر، المجلد الثاني.
٣٦. موسوعة المستكشف: للدكتور إدريس ولد عتيه، نشرتها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، عام ٢٠١١، بالرباط - المغرب.

٣٧. نظم الغريب في اللغة: لعيسى بن إبراهيم بن عبدالله الربعي الوحاظي الحميري، تحقيق محمد بن علي الأكوغ الحوالي، دار المأمون للتراث دمشق، بيروت.

٣٨. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للإمام جلال الدين السيوطي، الجزء الأول، تحقيق وشرح أ.عبدالسلام محمد هارون و د. عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت.

# عينية ابن سينا أثرها ومعارضاتها في الشعر العربي

الدكتور عبدالحميد بدران

كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر

## مقدمة:

أما بعد فلا شك أن حضور النص التراثي في الشعر يعد إضاءة للنص التراثي والنص الحديث في آن معاً، ذلك أن تراث كل أمة يكون أساساً من أسس حياتها، إذ يمثل أعلى ما يمتلكه أبنائها من اعتزاز بهذا التراث وحمائته بوعي أو بغير وعي، ومن ثم يكون لجوء الشاعر إلى هذا التراث تحت أي صورة لونها من إثبات ولاءه وانتمائه إلى هذا التراث الذي يضمن له أصالة الرؤية وحسن التمييز.

على أن لجوء الشاعر إلى معارضة نص تراثي كان يرجع . فيما يرجع إليه . إلى دوافع عدّة ، يأتي الإعجاب على رأسها، سواء أسر ذلك الشاعر أم جهر به، إذ غالباً ما يكون الشاعر في المعارضة مدفوعاً بموسيقى القصيدة أو طرافة فكرتها أو الأمرين معاً، لأن القول باشتراط اجتماع الشكل والموضوع في القصيدة المعارضة يهدر كثيراً من القصائد التي تنطق بمحاكاة القصيدة الأساس دون أن تلتزم الشكل أو ترتبط بالموضوع، ومن دون هذا وذاك تقف الصورة الفنية عاملاً من عوامل التجديد في طبيعة المعارضة، وأهم أداة تسهم في الحفاظ على أصالتها وحيويتها.

وقد كان اختيار عينية ابن سينا راجعاً إلى أسباب عدة منها: براعة ابن سينا في تطويع القضية الفلسفية وإلباسها الصورة الفنية الجيدة، ومنها تحقيق القول في معارضات العينية التي لا تقف عند عفيف الدين التلمساني في القديم وأحمد شوقي وعادل الغضبان في الحديث كما أشار بعض الدارسين، ومنها تحقيق القول في نسبة العينية لابن سينا من خلال المعارضات الشعرية، ومنها الوقوف على جودة المعارضة أو رداءتها فنياً، ومحاولة تناولها بشكل جديد، وتخليص المصطلح من مصطلحات عدة وقف حيالها كثير من الباحثين مذبذبين في نسبتها إلى المعارضة، وتحقيق القول في بعض المبالغات التي تناولت العينية كأمثال الصلاح الصفدي وابن أبي أصيبعة وخليل مطران.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مبحثين، أما المبحث الأول ففيه مهدت بالتعريف بابن سينا وشعره، ثم سلطت الضوء على قصيدته العينية من حيث تحقيق النسبة وعدد الأبيات والتحليل الأدبي، ثم تناولت أثر العينية في الشعر العربي، من خلال رصد كل ما وقفت عليه من أثر، سواء أكان قصائد أم مقطعات أم مشطرات أم إشارات إلى قصائد ومخمسات لم تصل إلينا، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه تعريف المعارضة وتحديد أسسها، ثم أفضت في رصد معارضات العينية الصريحة وغير الصريحة، ودراستها دراسة ناقدة، من حيث الموضوع والتصوير والموسيقى.

ومن الجدير بالذكر أن أهم الدراسات التي ألفت الضوء على معارضات العينية دراسة الدكتور عبدالوارث الحداد، التي تأتي في إطار الحديث عن المعارضات الأدبية، حيث تناول عينية كل من الدكتور محمد رجب البيومي، والشاعر عادل الغضبان، وهذه الدراسة تمتاز بنظرتها التحليلية المستفيضة، التي تقف على مواطن القوة والضعف في النص الأدبي، للموازنة بينه وبين

عديد من النصوص التي تشترك معه، كما تأتي دراسة الدكتور عبدالكريم اليافي التي عنوانها (القصيدة العينية في النفس ومعارضاتها)، وهو عنوان يوهم أنه جمع معارضات العينية ولو مجرد جمع على الرغم من تركيزه على سرد عينية عفيف الدين التلمساني وأحمد شوقي وعادل الغضبان ونصوح الطاهر، دون إضافة من أي نوع.

بقي أن أشيد بدور كتب التراجم في جمع أشتات البحث، رغم ما تحملته من عناء البحث فيها، إذ إن لها دوراً لا ينكر في حفظ كثير من الألوان الأدبية التي تبدو مبعثرة هنا وهناك، شاهدة بتميز أصحابها ممن لا يمتلكون دواوين شعرية تجمع كل ما أنتجوا من شعر، وهذه الألوان في حاجة للتنقيب عنها في بطون هذه الكتب للكشف عن مدى صلاحيتها لحمل التجارب الشعرية الجيدة.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

## المبحث الأول

### عينية ابن سينا وأثرها في الشعر العربي

يعد أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي البخاري<sup>(١)</sup> (٣٧٠، ٤٢٨ هـ) أحد الأطباء الفلاسفة المشهود لهم بالتميز والنبوغ في تاريخنا العربي والإسلامي، فقد اشتغل بالعلوم وحصل الفنون وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه، ويكفي أنه صنف في الطب والفلسفة وغيرها ما يجعله رائداً من رواد العلم عند العرب بلا أدنى مجاملة، كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى،

---

(١) تنظر ترجمته وافية في: سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ١٧ / ٥٣١ . ٥٣٧، والوفاي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي، تحقيق: هلموت ريتز . فرانز شتايز بفسبادن ١٩٦٢م، ١٢ / ٣٩١ - ٤١٢، وإيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، ١٩٩٠م، ٢ / ٥٥٥، ٦٧٢، وهديّة العارفين . إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، ١٩٩٠م، ١ / ٣٠٨ - ٣٠٩، وأعيان الشيعة، الإمام السيد محسن الأمين، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، الخامسة، ٢٠٠٠م، ٢٦ ج/ ٢٨٧ - ٣٣٧، ووفيات الأعيان ابن خلكان (أحمد بن محمد) تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، ٢ / ١٥٧ - ١٦٢، والبداية والنهاية: ابن كثير (إسماعيل بن عمر)، دار الحديث، السادسة، ٢٠٠٢م، ١٢ / ٤٧، وخرزانه الأدب ولب لباب لسان العرب: عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٨م، ١١ / ١٧٣ . ١٧٦، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الارناؤوط، ومحمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٥م، ٥ / ١٣٢ . ١٣٧، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء: موفق الدين أبي العباس أحمد ابن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ج ١ / ٤٣٧ . ٤٥٩، والشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا. د. أمين سليمان سيدو (كتاب الرياض ٧٠ أكتوبر ١٩٩٩م) مؤسسة اليمامة الصحفية، ص ٩.

نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتواري، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها يوم الجمعة من شهر رمضان عام ٤٢٨ هـ، وقد صنّف نحو مئة كتاب، بين مطول ومختصر.

وقد شغلت مصنفاته الأوساط العلمية، فكتبت كثير من الأبحاث التي تعرف بالرجل فكراً ونتاجاً في عديد من الدوريات العربية كالرسالة والثقافة والهلال وغيرها من الدوريات الشهيرة في الوطن العربي، ومن مصنفاته على سبيل المثال: القانون والشفاء وأسرار الحكمة المشرقية ورسالة حي بن يقظان والإشارات وأسرار الصلاة، وغيرها من المصنفات.

وهو فوق كل ذلك شاعر رائق الشعر، وقد جمع الأستاذ حسين علي محفوظ شعر ابن سينا ونشره بمناسبة انعقاد المؤتمر الرابع والعشرين بمدينة ميونخ في ألمانيا عام ١٩٥٧م، وطبع بمطبعة الحيدري بطهران<sup>(١)</sup>، كما روت له كتب التراجم كثيراً من المقطعات والقصائد الطويلة الجيدة، فأورد له البغدادي صاحب الخزانة ستة وعشرين بيتاً من قصيدة طويلة على بحر البسيط ومطلعها<sup>(٢)</sup>.

يا ربع نكرك الأحداث والقدم فصار عينك كالأثار تتهم

(١) ينظر: ابن سينا ومذهبه في النفس: د. فتح الله خليف، دار الأحد البحري، بيروت،

١٩٧٤م، ص ١٣١.

(٢) خزانة الأدب: ١٧٢/١١.

كأنما رسمك السر الذي لهم      عندي ونؤيك صبري الدارس الهرم  
كما روى له ابن أبي أصيبعة ستة عشر بيتاً من الوافر من قصيدة في  
الشيب والحكمة والزهد مطلعها:

أما أصبحت عن ليل التصابي      وقد أصبحت عن ليل الشباب

وأخرى عددها تسعة عشر بيتاً من المتقارب ومطلعها:

هو الشيب لا بدّ من وخطه      فقرضه وأخضبه أو غطه

وثالثة على الوافر عددها ثمانية وعشرون بيتاً ومطلعها:

قفا نجزي معاهده قليلاً      نغيث بدمعنا الربع المحيلاً

ناهيك عن كثير من المقطعات التي ذكرها الصفدي والغزي وغيرهم  
منسوبة للرجل<sup>(١)</sup>.

وتميز ابن سينا في الشعر جعل الصفدي يقول عن قصيدة رائية على بحر  
الكامل ذكر منها أربعة وثلاثين بيتاً ومطلعها:

احذر بني من القران العاشر      وانفر بنفسك قبل نفر النافر

"وقد طنطن ابن أبي أصيبعة وأعجب بصحة ما حكم فيها، والذي أراه  
أن الذي نظم القصيدة العينية في النفس، ما ينظم مثل هذه القصيدة الساقطة  
الركيكة السمجة التركيب، وأنها نظم بعض العوام، أراد أن يحكي ما جرى،  
ولم تنظم هذه القصيدة، والله أعلم، إلا بعد خراب بغداد، ولم يقل ابن سينا  
منها كلمة واحدة، ولا عرف هذه الوقائع قبل حدوثها بمئتين وثلاثين سنة  
تقريباً، سلمنا أنه علم كلياتها من حساب النجوم، ولا نسلم أن هذا كلامه ولا

(١) ينظر الوافي بالوفيات: ٤١٢. ٤٠٧/١٢.

نظمه (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ) ولم أوردتها إلا لأن بعض الناس يطنب في أمرها. (١)

وقد شغلت النفس الإنسانية حيزاً كبيراً من فكر ابن سينا فقد كتب رسائل عدة في هذا الشأن، عالج فيها مسألة النفس وعلاقتها بالبدن (٢)، ثم عالج هذه العلاقة شعراً، فنظم قصيدته التي عرفت بـ (النفس) أو العينية الطائرة التي نحن بصددتها ومطلعها: {الكامل}

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنع

ولكن ابن سينا لم يكن أول شاعر شغله التفكير في النفس الإنسانية، فلم يخل الشعر العربي في عصر من العصور من حديث عن نفس الشاعر التي غالباً ما كان يعني بها ذاته أو روحه أو عقله، سواء أصدر هذا الحديث عن معتقد ديني أم فلسفة عقلية أم غير ذلك، فقد توقف كثير من الشعراء فيما بعد العصر الجاهلي أمام النفس في محاولة معرفة مكانها بعد الموت، على حد قول عبدالله ابن عبدالأعلى الشيباني: {الرمل} (٣)

---

(١) الوافي بالوفيات: ١٢ / ٤١٢، ونسبها ياقوت الحموي للحسين بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي، ينظر: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت ابن عبدالله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م. الأولى / ٣ / ١٣٧.

(٢) من رسائله في النفس: (أحوال النفس) (النفس على سنة الاختصار) (الرسالة المنتخبة في معالم حقيقة النفس).

(٣) البرصان والعرجان والعميان والحولان: الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل الأولى ١٩٩٠ م، ص ١٣١، والشاعر هو عبدالله بن عبدالأعلى الشيباني أبو عبدالملك، ينتهي نسبه إلى مرة من بني شيبان، شاعر أموي. والقب: الثقب الذي يجري فيه المحور من المحالة. وقيل: القب: الخرق الذي في وسط البكرة. وقيل: هُوَ الخَشْبَةُ الَّتِي فَوْقَ أَسْنَانِ المحالة. وقيل: هُوَ الخَشْبَةُ الَّتِي تَدور فِي المحور. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨ هـ] تحقيق: عبدالحميد هندواي. دار الكتب العلمية، بيروت. الأولى، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م / ٦ / ١٤١.

من هُنَا لي من صَدِيقٍ فَلْيَعِدْ      لِيَعِدْنِي أَنِّي اليَوْمَ كَمَدِ  
من هَمومٍ تَرَكْتَنِي قَلِقاً      قَلَقَ المَحَوْرَ بِأَلْقَبِ المِسَدِ  
ليت شعري ووليت نبوة      أين صارَ الروح مُد بان الجَسَدِ  
كما توقف كثير من الفلاسفة منها أيضاً موقف المتسائل، على ما  
يعكسه قول الرازي (أبي بكر محمد بن زكريا): {الطويل} (١)

لعمري ما أدري وقد آذن البلى      بأجل ترحال إلى أين ترحالي؟  
وأين محل الروح بعد خروجه      من الهيكل المنحل والجسد  
وإذا كان الجاهليون قد تصوروا الروح طائراً يقف على رأس القتيل مطالباً  
بثأره، على ما يبدو من قول الشاعر: {البسيط} (٢)

إِنَّكَ إِلا تَدَعِ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي      أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الهَامَةَ إِسْفُونِي  
إذا كان كذلك فأغلب الظن أن ابن سينا قد استقى تصويره للنفس  
بالورقاء . من رؤية الجاهليين لروح القتيل التي تصورها بالطائر (الهامة

---

(١) نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المطبعة الجمالية  
بمصر، ١٩١١م، ص ٢٥٠.

(٢) نسب البيت لذبي الإصبع العدواني (حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة من قيس  
بن عيلان. شاعر جاهلي) في الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، دار  
الحديث، الثالثة، ٢٠٠١م، ٧٠٨ / ٢، ونسب لخفاف بن ندبة في (شعراء  
إسلاميون) لنوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، الثانية، ١٩٨٤م، ص ٥٢٤  
برواية:

عباس إن لا تَدَعِ شِمْتِي وَمَنْقَصَتِي      أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الهَامَةَ إِسْفُونِي

والصدي)، وأضاف إليها مزاجاً من فلسفته الإسلامية، لأن الفلاسفة من قبل ابن سينا قد تصوروا الروح فرساً مجنحاً، وليس طائراً كما فعل الرجل.

### أولاً . القصيدة العينية:

شكك بعض النقاد في نسبة القصيدة العينية لابن سينا، مستندين في ذلك إما إلى ارتفاع مستوى القصيدة عن شعر ابن سينا، أو إلى مخالفة ما فيها من آراء فلسفية لآراء ابن سينا، فوجدنا مثلاً الأستاذ أحمد أمين يقول: "اشتهرت هذه العينية بأنها لابن سينا، والناقد الأدبي يقطع بأنها ليست له، لأنه إذا تذوق ما لابن سينا من شعر وأراجيز وتذوق هذه العينية يرى أنها أرقى بكثير من شعر ابن سينا، فابن سينا غامض اللفظ في شعره وفلسفته، سمج التعبير، يعتمد في لغته على المعاجم، وهي وإن دلت على المعنى الصحيح للكلمات فإن وراءها ذوقاً يميز بين جيدها ووديئها، وما يحسن استعماله وما لا يحسن، وابن سينا أبعد عن ذلك سواء في فلسفته أو شعره أو قصصه، فهذه القصيدة في نظرنا أشبه ما تكون بشعر ابن الشبل البغدادي صاحب قصيدة: {الوافر}

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار  
وهي إلى تعبيره أقرب، ولذلك نسبها بعضهم إليه، وقد كان جميل الشعر

حسن السبك للألفاظ، دقيق الاختيار"<sup>(١)</sup>.

كما وجدنا الدكتور أحمد فؤاد الأهواني يقول: "وإذا نحن شككنا في أمر القصيدة العينية . فإنما يقوم شكنا على أساس آخر، وهو مخالفة ما جاء فيها من آراء أساسية مع ما نجده في هذه الرسالة وفي غيرها، فالنفس في هذا الكتاب حادثة مع حدوث البدن، ولم تكن موجودة وجوداً سابقاً، ثم هبطت إلى البدن وألفت جواره"<sup>(٢)</sup>.

أما عن مخالفة القصيدة لقصائد الرجل فسنعرف للتدليل على بطلانه مع مقطعتين من شعر الرجل، إحداهما لم يمهد لها الصفدي كعادته مع أشعار ابن سينا بقوله (ومما ينسب إليه) حيث قال "ومن شعر الرئيس أبي علي بن سينا"<sup>(٣)</sup> تأكيداً على أنها ثابتة له، وقال الذهبي عندها: "وله وهو يجود بنفسه فيما أنشدني المسند بهاء الدين القاسم بن محمود الطيب: {الطويل}

أقام رجالاً في معارجه ملكا	وأقعد قوماً في غوايتهم هلكى
نعوذ بك اللهم من شر فتنه	تطوق من حلت به عيشةً ضنكا
رجعنا إليك الآن فاقبل رجوعنا	وقلب قلوباً طال إعراضها عنكا
فإن أنت لم تبد سقام نفوسنا	وتشفي عماياها إذاً فلمن يشكى

(١) عينية ابن سينا: أحمد أمين - مقال بمجلة الثقافة، العدد ٦٩١، السنة ١٤ مارس ١٩٥٢م، ص ٢٧. وتنظر القصيدة في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي، المحيي، دار صادر، بيروت، ١٤٣/٢.

(٢) أحوال النفس: ابن سينا، تحقيق: د. أحمد فؤاد الأهواني، دار ومكتبة بيبليون الأولى، ٢٠٠٧م، مقدمة المحقق ص ٣٤.

(٣) الوافي بالوفيات: ١٢ / ٤٠٧.

فقد آثرت نفسي رضاك عليك جفوني من مدامعها

والمقطعة الثانية مهد لها الصفدي بقوله: ونسب إليه أيضاً: {الكامل} (٢)

هات اسقنا كأس الطلا كدم الطلى يا صاحب الكأس الملا بين الملا

خمرأ تظل لها النصارى سجداً ولها بنو عمران أخلصت الولا

لو أنها قالت وقد مالت بهم سكرأ ألتست بربكم قالوا بلى

ووقوفنا مع هاتين المقطعتين ينبع من تشابه السمات الفنية بينهما وبين القصيدة العينية، مما يصلح معه أن تعضد نسبة القصيدة إلى ابن سينا، فالأساليب التعبيرية في المقطعتين قريبة الشبه بمثلها في العينية، ذلك أن الطباق الذي ملا العينية متمثلاً في (محجوبة . سفرت / يرفع . لم يرفع / سامعة . لم تسمع / شاهق . قعر / تألق . لم يلمع) تجده كائناً في المقطعتين في نحو قوله: (أقام وأقعد)، والجناس في قوله (ملكى . هلكى / قلب . قلوبا / الطلا . الطلى / الملا . الملا)، ولعل الذي أوقع الوهم في نسبة العينية هو موسيقى القصيدة العذبة المتناسقة مع إيقاع الروي فيها، وهو ما نجده ماثلاً في المقطعة الأخيرة.

وأما مخالفة القصيدة لفكر ابن سينا فهو أمر غير مقبول جملة وتفصيلاً، ذلك أن في نتاج ابن سينا ما يشهد بأن القصيدة منسجمة مع فكر الرجل، بل واردة في أعماله بصورة مكثفة كما ذهب إلى ذلك الدكتور فتح الله خليف حيث يقول: إن "قصة سلامان وأبسال تعبر - كما تعبر القصيدة

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت، الأولى، ١٩٨٧م،

٢٩ / ٢٣١، ٢٣٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٢ / ٤٠٩، ٤١٠.

العينية . عن رحلة النفس الإنسانية من عالمها العلوي إلى هذا العالم وتعلقها بالبدن وحبها للذات ثم عودتها إلى موطنها الأصلي بعد أن تخلصت من الجسم وغوائله"<sup>(١)</sup>.

فيمكن تأويل قصة سلامان وأبسال على "أن سلامان هو النفس الإنسانية التي فاضت من غير تعلق بالجسمانيات، وأبسال هي القوة البدنية الحيوانية التي بها تستكمل النفس، وعشق سلامان لأبسال يرمز إلى ميل النفس إلى اللذات البدنية وحبها لهذه اللذات وشغفها بها، وهربها إلى ما وراء بحر المغرب رمز لانغماسهما في الأمور الفانية البعيدة عن الحق،... كما يرمز خلاص سلامان ونجاته من الغرق إلى بقاء النفس بعد موت البدن وهو غرق أبسال"<sup>(٢)</sup>.

كما أن في قصة الطير لابن سينا ما يؤكد "أن لغة ابن سينا في هذه القصة وفي القصيدة العينية واحدة، فالألفاظ التي يستخدمها في العينية تتردد بعينها في هذه القصة، والأمثلة على ذلك ... قوله: (فنصبوا الحبال ورتبوا الشرك)، (حتى أنسينا صورة أمرنا واستأنسنا بالشرك)، (فذكرتني ما كنت أنسيته، ونغصت على ما ألفتة)، (واطمأنا إلى الأقفاص)، (فإذا شمخ خاض رأسه في عنان السماء)، والشرك والنسيان والائتناس والتذكر والألفة والقفص والشموخ كلها ألفاظ تتردد في القصيدة العينية حيث يقول: {الكامل}

أنفت وما ألفت فلما واصلت      أنست مجاورة الخراب البلقع

(١) ابن سينا ومذهبه في النفس: ص ١٤٦.

(٢) ابن سينا ومذهبه في النفس: ص ١٤٦.

وأظنها نسيت عهداً بالحمى      ومنازلاً بفراقها لم تنفع  
تبكي وقد ذكرت دياراً بالحمى      بمدامع تهمني ولم تقطع  
إذ عاقها الشرك الكثيف وصددها      قفص عن الأوج الفسيح المربع  
فلأي شيء أهبطت من شامخ      عال إلى قعر الحضيض الأوسع

هذا التطابق في اللفظ والقصد بين قصة الطير والعينية يبدد كل شك أثير  
حول صحة نسبة العينية إلى ابن سينا<sup>(١)</sup>.

### نصّ العينية:

ورد نص القصيدة العينية في النفس منسوباً لابن سينا في كثير من كتب  
التراجم، ولكن النص لم يكن على درجة واحدة من الاكتمال في هذه  
الكتب، فقد وجد قريباً من الاكتمال حيناً، ومقتضباً أحياناً أخرى، وقد  
اختلفت صورة العينية نتيجة اختلاف الرواية وعدد الأبيات في هذه الكتب،  
فكانت الأقوال في عددها محصورة في خمسة أقوال:

**القول الأول:** يجعلها ثلاثين بيتاً، دون ذكر لأبيات القصيدة ما عدا  
مطلعها، ويمثله قول حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون<sup>(٢)</sup>، **والقول الثاني:**  
يجعلها واحداً وعشرين بيتاً وهو قول البهاء العاملي في كتابه الكشكول<sup>(٣)</sup>،  
**والقول الثالث:** يجعلها عشرين بيتاً، وهو قول الذهبي في كتابه تاريخ

(١) ابن سينا ومذهبه في النفس: ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) كشف الظنون: حاجي خليفة، دار الفكر، ١٩٩٠م، ٢ / ١٣٤١.

(٣) الكشكول: محمد بهاء الدين العاملي. دار البيان. بيروت، لبنان، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

الإسلام<sup>(١)</sup>، والقول الرابع: يجعلها تسعة عشر بيتاً وهو قول ابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء<sup>(٢)</sup>، والتقي الغزي في كتابه الطبقات السنية في تراجم الحنفية<sup>(٣)</sup>، والقول الخامس: يجعلها ستة عشر بيتاً وهو قول الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات وابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان والدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى وابن العماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب<sup>(٤)</sup>، والياضي صاحب مرآة الجنان وعبرة اليقظان<sup>(٥)</sup>.

ومن ثم فقد اكتمل للعينية تسعة مصادر تقارب الكمال، أو تضع تصوراً شبه تام لما كانت عليه العينية، غير أن الرواية تختلف في جلّ هذه المصادر فيما بعد الأبيات الثمانية الأولى، وتبعاً لهذا الاختلاف نتجت كثير من التحريفات التي صنعها الرواة حتى يوائموا بين الأبيات التي أصبحت متجاوزة بفعل اختلاف الترتيب لا غير، وكان هذا دأب المصادر الخمسة التي بلغ عدد أبيات العينية فيها ستة عشر بيتاً.

---

(١) تاريخ الإسلام: ٢٩ / ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ١ / ٤٤.

(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية: تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري الغزي. تحقيق:

عبدالفتاح محمد الحلو. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠م، ٣ / ١٤٤، ١٤٥.

(٤) الوافي بالوفيات: ٢١ / ٤٠٧، ٤٠٨، ووفيات الأعيان: ٢ / ١٦٠، ١٦٠، وحياة الحيوان

الكبرى: كمال الدين الدميري، دار الطباعة المصرية الفاخرة، ١٢٧٥هـ، ٢ / ٤٦٥، وشذرات

الذهب: ٥ / ١٣٥، ١٣٦.

(٥) مرآة الجنان وعبرة اليقظان: أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي، دار

الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ٣ / ٥٠.

ويرجع اختلاف الرواية إلى تلك الرحلة الطويلة التي قطعها الشعر العربي عبر الذاكرة على اختلاف أذواق أصحابها، حتى وصل إلى المرسى الآمن في عصر التدوين، "وكان الرواة ينقلون الشعر على ما يكون فيه من مثل هذا الاختلاف ولا يبالون أمره، لأنهم يريدون لغة الشعر، والشعر متى جاء عن أعرابي كان حجة، لأن لسان العربي لا يطوع بغير الصواب، ولهذا تختلف الروايات في بعض الأبيات، وهي في الأصل غير مختلفة"<sup>(١)</sup>.

وقد تنبه الشعراء أنفسهم إلى دور الرواة في تغيير الرواية؛ نتيجة لما يعتري الراوي من نسيان، فهذا ذو الرمة يوصي عيسى بن عمر قائلاً: "اكتب شعري فالكتاب أحب إليّ من الحفظ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة، وقد سهر في طلبها ليلته، فيضع موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس"<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من أن اختلاف الرواية يكون اختلافاً طفيفاً لا يمس الجوهر في كثير من الأحيان، إلا أنه يعد تشويهاً للصورة الحقيقية التي أراد لها الشاعر الوصول أو السيطرة على فكر القارئ، ومن ثم فنحن إذا استثنينا المصادر الخمسة التي حدث فيها اضطراب في الرواية، والروايات التي تبلغ في عدد العينية دون مستند مادي - بغية الوصول إلى نص أقرب إلى الصورة التي تركها عليها ابن سينا - بقي لنا أربع روايات هي رواية الذهبي وابن أبي

---

(١) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، الأولى، ١٩٩٧م، ٣١٩/٢.

(٢) الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م، ١/١.

أصبيعة والبهاء العاملي والتقي الغزي، ونحن نراها أعدل الروايات في التعامل مع عينية ابن سينا، ويرجع ذلك لأسباب عدة منها:

أولاً: أن هذه الروايات متقاربة في عدد الأبيات إلى مدى بعيد، رغم ما يبدو من بعد البون بين العدد ١٨ والعدد ٢١، إذ إن رواية ابن أبي أصبيعة وهي تسعة عشر بيتاً، فيها بيت ملفق من بيتين عند قول الشاعر:

وبدت تغرد فوق ذروة شاهق      سام إلى قعر الحضيض الأوضع  
وهو مكون في الأصل من بيتين هما:

وبدت تغرد فوق ذروة شاهق      والعلم يرفع كل من لم يرفع  
فلأبي شيء أهبطت من شامخ      سام إلى قعر الحضيض الأوضع  
ومن ثم يكون عددها عشرين بيتاً.

أما رواية الغزي التي جعلها ثمانية عشر بيتاً فإنها تشير إلى أنها كانت هي الأخرى عشرين بيتاً، لولا حدوث التلفيق في أبياتها مرتين، أولهما عند قول الشاعر:

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق      سام إلى قعر الحضيض الأوضع  
وهو عبارة عن بيتين كما أشرت.  
والثاني عند قول الشاعر:

فهبوطها إن كان ضربة لازب      في العالمين فخرقها لم يرقع

وهو عبارة عن بيتين هما:

فهبوطها إن كان ضربة لازب      لتكون سامعة بما لم تسمع  
وتعود عالمة بكل خفية      في العالمين فخرقها لم يرقع  
وأما البيت الذي ختمت به أبيات ابن سينا في رواية البهاء العاملي، وهو:

أنعم برد جواب ما أنا فاحص      عنه فنار العلم ذات تشعشع  
أما هذا البيت فأرى أنه ليس من الشعر في شيء، وقد يكون زيادة  
لصقت بالأبيات من أثر الخطأ في الرواية، فالأبيات تبدو مكتملة فنياً بدونه،  
وقد تمت معالجة التجربة في القصيدة معالجة موضوعية وأسلوبية وصورية  
وموسيقية معالجة يشعر معها القارئ أو المستمع أن الشاعر قد استفرغ  
جهده، ووضع كل ما أمّلته عليه آتته الشعرية، وبخاصة أن قول ابن سينا:

فكأنها برق تألّق بالحمى      ثم انطوى فكأنه لم يلمع  
يشبه المرسي الآمن الذي ترسو عنده الأبيات، بحيث لا ينتظر بعده  
المستمع أي شيء، لأنه يعكس خلاصة رحلة النفس الإنسانية مع البدن،  
تلك الرحلة التي تشبه البرق الذي ما يكاد يلمع حتى ينطفئ بريقه.

ثانياً: أن هذه الروايات تسير على ترتيب واحد، لم يشذ عنها إلا رواية  
البهاء العاملي<sup>(١)</sup> التي تقدم البيت الثالث على الثاني في قول ابن سينا:

حتى إذا قرب المسير من الحمى      ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

---

(١) البهاء العاملي محمد بن حسين بن عبدالصمد الملقب ببهاء الدين بن عز الدين الحارثي العاملي، ١٠٣١ هـ، ينظر خلاصة الأثر، ٣/ ٤٤٠. ٤٥٤.

هجعت وقد كشف الغطاء ما ليس يدرك بالعيون الهجع  
وغدت مفارقة لكل مخالف عنها حليف الترب غير مشيع  
واختلاف الترتيب يشكل ملمحاً رئيساً من ملامح الاختيار في الشعر  
العربي القديم المعتمد على الرواية، وهو سبب رئيس من أسباب التفكك  
المزعوم في القصيدة العربية، الأمر الذي يعكسه قول الدكتور طه حسين:  
"والسبب الآخر الذي يدفع المثقفين المحدثين إلى إنكار هذه الوحدة  
المعنوية في القصيدة، يأتي من أنهم يقبلون ما يقوله الرواة وما ينقلونه إليهم  
في غير تحفظ ولا احتياط ولا تحقيق، وينسون أن كثيراً جداً من الشعر  
القديم لم ينقل إلى الأجيال مكتوباً، وإنما نقلته الذاكرة، فأضاعت منه  
وخلطت فيه، ولم تحسن الرواية، فكثر الاضطراب في هذا الشعر، وخيل إلى  
المحدثين أن هذا الاضطراب طبيعي في الشعر العربي القديم ولم يفتنوا أنه  
علة طارئة ومرض عارض"<sup>(١)</sup>.

وتبدو رواية البهاء العاملي أعدل الروايات وأجودها ترتيباً، وأقربها إلى طبيعة  
القصيدة وتسلسل الفكر فيها وسلامة النص من التصرف، ناهيك عن أن  
صاحبها ممن له بصر بأمور النقد، نظراً لاهتماماته الأدبية، ولذلك سأذكر نصها  
كاملاً، مشيراً في الهامش إلى اختلاف الروايات في الكتب الثلاثة الأخرى.

قال ابن سينا: {الكامل}

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

(١) حديث الأربعاء: د. طه حسين، دار المعارف، ١٩٩٣، ٣١ / ١.

وهي التي سفرت فلم تبرقع  
كرهت فراقك وهي ذات تفجع<sup>(١)</sup>  
ألفت مجاورة الخراب البلقع<sup>(٢)</sup>  
ومنازلاً بفراقها لم تقنع  
عن ميم مركزها بذات الأجرع<sup>(٣)</sup>  
بين المعالم والطلول الخضع  
بمدماع تهمني ولم تقطع<sup>(٤)</sup>  
درست بتكرار الرياح الأربع  
قفص عن الأوج الفسيح المربع<sup>(٥)</sup>  
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع<sup>(٦)</sup>  
عنها حليف البرق غير مشيع  
ما ليس يدرك بالعيون الهجع<sup>(٧)</sup>  
والعلم يرفع كل من لم يرفع<sup>(٨)</sup>

محبوبة عن كل مقلة عارف  
وصلت على كره إليك وربما  
أنفت وما أنست فلما واصلت  
وأظنها نسيت عهداً بالحمى  
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها  
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت  
تبكي وقد ذكرت ديارا بالحمى  
وتظلّ ساجعة على الدمن التي  
إذا عاقها الشرك الكثيف وصددها  
حتى إذا قرب المسير من الحمى  
وغدت مفارقة لكل مخلف  
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت  
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق

---

(١) في باقي الكتب (وهي).

(٢) في الطبقات السنية (الفت وما الفت).

(٣) في تاريخ الإسلام والطبقات السنية (من)، وفي عيون الأنباء (في).

(٤) في باقي الكتب (تبكي إذا)، وفي تاريخ الإسلام وعيون الأنباء (ولما تقطع)، وفي الطبقات السنية (ولما تقلع).

(٥) في تاريخ الإسلام (الشرك الكثير) و (الفسيح الأرفع)، وفي عيون الأنباء (الأربع)، وفي الطبقات السنية (الأربع) ولعله تصحيف.

(٦) في عيون الأنباء (إلى الحمى).

(٧) في تاريخ الإسلام والطبقات السنية (هجعت).

(٨) في تاريخ الإسلام وعيون الأنباء (ويدت).

فلائي شيء أهبطت من شامخ  
 إن كان أهبطها الإله  
 وهبوطها إن كان ضربة لازب  
 وتعود عالمة بكل خفية  
 وهي التي قطع الزمان طريقها  
 فكأنها برق تألّق بالحمى  
 عال إلى قعر الحضيض الأوسع<sup>(١)</sup>  
 طويت عن الفذّ الليب الأروع<sup>(٢)</sup>  
 لتكون سامعة بما لم تسمع  
 في العالمين فخرقتها لم يرقع  
 حتى لقد غربت بغير المطلع  
 ثم انطوى فكأنه لم يلمع<sup>(٣)</sup>  
 ويوجد في بعض النسخ بعد هذا البيت قوله:

أنعم برد جواب ما أنا فاحص عنه فنار العلم ذات تشعشع  
**تحليل القصيدة:**

أما عن موضوع القصيدة فقد دار حول حديث الشاعر عن النفس، وقد قسمه إلى أربعة أقسام، أشار في القسم الأول إلى مكان النفس الأصلي، حيث يرى أنها جاءت من محل أرفع أي من فوق وأتت رغماً عنها، ثم اتصلت بالبدن وهي كارهة له، لكنها بمرور الوقت ألفت وجودها فيه، وإلّا لبدن ناشئ من نسيانها كل عهودها السابقة، ثم تأتي مرحلة بكاء النفس عند الموت على فراقها للجسد، لأنها ألفت مجاورة الحراب البلقع، ثم تأتي

(١) في تاريخ الإسلام (من شاهق)، وفي باقي الكتب (سام) بدلاً من (عال).

(٢) في باقي الكتب (إن كان أرسلها)، (عن الفطن).

(٣) في الطبقات السنية وعيون الأنباء (للحمى).

مرحلة تساؤل الشاعر وحيرته في الوصول إلى كنه هذه الرحلة، فلماذا هبطت من العلو؟ ولماذا سكنت البدن رغم كرهها له في البداية؟

### البناء الفكري:

يبدو البناء الفكري متحققاً في القصيدة تماماً، وسائراً مع طبيعة التسلسل الفكري للأحداث، فالإشارة إلى مكان النفس الأول كان مسوغاً من مسوغات كره هذه النفس للنزول، وهذا الكره هو الذي جعل النفس في المرحلة التالية (بين بين)، على ما يعكسه قول ابن سينا (أنفت وما ألفت)، ثم يأتي دور العلوq بالنفس وحبها مسوغاً لنوحها عند الفراق.

وقد ساعد على تحقق هذا الانسجام تسلسل الأحداث في القصيدة وبنائها القصصي الذي اعتمد فيه الشاعر على الحكاية في سرد قصة هذه النفس في الدنيا قبل أن تتصل بالبدن وبعد أن تفارقه، وكأنها الحمامة التي عاقها شرك الصياد عن الرجوع إلى موطنها الأساس.

كما ساعد على تحقيقه اختيار ابن سينا للحمام من بين الطيور، بما أنها لا تألف عادة إلا بعد فترة من الزمن وكره منها، ثم إنها لا تفارق مكانها إذا ألفت، لدرجة أنها تنوح فوق المكان إذا تغيرت ملامحه لعارض هدم أو بناء أو ما شابه ذلك، وترجع إلى أماكنها مهما حبست في أفضاص، لأن ولاءها دائماً يكون لموطنها الأول.

كما ساعد على تحقيقه سؤال ابن سينا عن سر هبوط النفس إلى الإنسان، لأن هذا السؤال يعكس مدى قلق الشاعر ورغبته في حل لغز هذه

النفس، والوصول إلى أسرارها العلوية، وهذا القلق يتناسب وشخصية ابن سينا الفلسفية التي تحاول الوصول إلى كنه الأشياء، وتحاول تأكيد النتائج بأكثر من مؤكد، على ما نجده مثلاً في تكرار المعنى في البيتين الثالث والرابع من القصيدة حيث يقول:

وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع  
أنفت وما أنست فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع  
فقد أنفت النفس وما أنست حينما قدمت إلى الدنيا لأول مرة، ولكن  
حينما واصلت واعتادت سكنى الجسد ألفت مجاورة هذا الجسد المتهالك  
الذي شبهه بالخراب البلقع<sup>(١)</sup>.

### الصياغة الفنية:

لا شك أن الكلمة في الشعر لها مكانها المتميز في خارطة الإبداع، ولا شك أن أول كلمة في القصيدة تتميز بميزات خاصة "فهى أولا الكلمة المطلع؛ وغالباً ما تشحن بمناخ القصيدة كلها، وهي ثانياً قيمة بلاغية كبرى، لأنها تمهد لما يأتي بعدها من كلام، وهي ثالثاً ترتبط بعلاقات متعددة تسمح

---

(١) وملمح بكاء النفس قد عالجه الإمام علي كرم الله وجهه في قوله: {البيسط}  
النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها. . ترك ما فيها  
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بانيه

ينظر: ديوان الإمام علي بن أبي طالب، جمع: عبدالعزيز الكرم، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢١٠.

لأن تنزلق منها الفكرة إلي ما يأتي بعدها"<sup>(١)</sup> وهذا ما يجعلنا نقف مع الكلمة الأولى في القصيدة وقفة متأنية، فمطلع القصيدة:

هبطت إليك من المحل ورقاء ذات تعزز وتمنع

والتعبير بالفعل (هبط) يوحي بطواعية النفس وإدراكها، وقد فضل الشاعر للنفس "لفظ الهبوط على السقوط، لأنها في رأيه لم تسقط إلى هذا الحضيض من عل كما يسقط الحجر الجماد سقوطاً لا شعور فيه، أو كمن ينتكس من أوج الجبل إلى سفحه انتكاساً يقربه من الجماد المرغم على السير في طريق بعينها، لا يملك لنفسه شيئاً، إنما هبطت إليك الروح، وفي لفظ الهبوط معنى الشعور والإدراك من محلها الأرفع، حيث تسبح العقول المجردة روحانية خالصة لا تشوبها شائبة من مادة"<sup>(٢)</sup>.

"كما أن لفظ السقوط يتنافى ورقة الحمائم التي تخير الشاعر ورقاء منها وعبر بها عن النفس، وما أجمل ابن سينا وهو يشير إلى احتجاب النفس بعد أن وصفها بالتعزز والتمنع، فكأنها وهي محجوبة تعطينا مظهراً من مظاهر التعزز والتمنع، وهو الترفع الذي يجعلها تتعالى به عن الناس، وبذلك التحم البيت الثاني بالأول حيث كان امتداداً خيالياً له"<sup>(٣)</sup>.

وفي التركيز على الطباق في قول ابن سينا:

- 
- (١) الاستهلال: ياسين النصير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يونيو، ١٩٩٨، ص ١٣٥.  
(٢) عينية ابن سينا أو قصة الروح، د. زكي نجيب محمود، مجلة الرسالة، السنة الثالثة، إبريل ١٩٣٥م، العدد ٩٣، ص ٥٩٢.  
(٣) من حديث المعارضات الأدبية، د. عبدالوارث الحداد، مطبعة السعادة، الأولى، ص ٩٠.

محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سمرت فلم تبرقع

تركيز على حقيقة النفس المحجوبة السافرة في آن، "فهي من حيث حقيقتها وماهيتها في ذاتها محجوبة عنا، ولكنها سافرة وظاهرة لنا بصفاتها وأفعالها ووظائفها، فالنفس واضحة لمن يريد معرفتها بطريق البرهان، ظاهرة من حيث إنها تلتذ وتتألم وتفرح وتحزن وتحب وتكره"<sup>(١)</sup>، وهو يدخر صورة مختزلة، هي صورة الحمائم وهي محجوبة عن موطنها الأول، بعد أن كانت سافرة تغدو وتروح فيه.

وفي التعبير بـ (أنفت وما أنست) تأكيد للمعنى في البيت قبله وهو قوله:

وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع  
وفيه يوظف الشاعر الجناس في محاولة التفرقة بين حالين متشاكليين،  
حال الكره الصريح والتأبي في (أنفت) وحال الاستقرار المبدئي في (ما  
أنست)، ثم حالة الاستقرار الكامل في (ألفت) بعد ذلك.

وفي ذكر الخراب البلقع تأكيد على أن النفس قد أخذت مرحلة من  
التأبي قبل أن تخضع لهذا الجسد الذي استسلمت له، حيث قُرر لها  
الاستقرار فيه.

---

(١) ابن سينا ومذهبه في النفس، ص ١٤٠.

وقد استعان الشاعر في وصف المرحلة الأولى التي لا دخل للإنسان فيها بالأفعال الماضية (هبطت . وصلت . أنفت) للتأكيد على أن ذلك كان عن طواعية وانسيابية، لأنه لم يدر بخلدها أن تحبس، كما لم يدر بخلد الورقاء أن تحبس في القفص، ومن ثم تبدو أنفتها تعد أنفة طبيعية لأنها منتقلة من حال إلى حال نقيض، ثم استعان الشاعر بالأفعال المضارعة (تبكي . تظل) في تصوير حالة النفس بعد هبوطها إلى الإنسان، تأكيداً على إيمان الشاعر المسلم ببقاء الروح بعد فناء الجسد، وهو بقاء تقف فيه النفس من نفسها موقف اللائم الباكي المتحسر على حاله بعد أن كان في مرتبة عليا.

والذي يدل على أن الشاعر كان يقصد بها النفس اللوامة المؤمنة، أنه أعاد المعنى بذاته، مع تغيير في الألفاظ في قوله:

حتى إذا قرب المسير من الحمى	ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف	عنها حليف البرق غير مشيع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت	ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق	والعلم يرفع كل من لم يرفع

كما أن التركيز على العلم في البيت الأخير فيه حض وترغيب في العمل الصالح الذي ينبغي أن يرفع صاحبه، فبه تطمئن هذه النفس وتغرد، وتعود عالمة بكل الخفايا.

كما استطاع الطباقي في الأبيات أن يعكس قلق الشاعر الفيلسوف وتردده في الوصول إلى حقيقة النفس، بخاصة مع كثرته في القصيدة، على

النحو الذي يبدو في: (محموبة/سفرت)، (ما أنست/ ألفت)، (شامخ عال/ قعر الحضيض)، (تألق/م تلمع).

وقد وقع الشاعر في مزلق أسلوبية عدة نذكر منها تكرار (لم) في سبعة مواضع، و(الحمى) أربع مرات، وكذلك استخدام بعض العكاكيز اللفظية التي أتى بها من أجل إقامة الوزن كقوله: (شامخ عال) وهما بمعنى.

وقد علل الدكتور عبدالوارث الحداد تكرار لفظ الحمى بأن النفس كانت "في مقامها الأول محمية مما يسبب الأذى والضرر، وفي مقامها الثاني . البدن . احتمت به، إذ هو قفصها الذي حبست فيه، أما التكرار فلكل لفظ دلالة، إذ في البيت (وأظنها نسيت عهداً بالحمى) كلمة الحمى تعني منزلها الأول في عالمها الرفيع، وفي البيت (تبكي إذا ذكرت دياراً بالحمى) تشير كلمة الحمى إلى الأرض التي يدب عليها البدن، وفي البيت (حتى إذا قرب المسير إلى الحمى) فتعني مرة أخرى مقام الروح في عالمها الرفيع، وفي البيت (فكأنه برق تألق بالحمى) ترمز الكلمة إلى الأرض التي يحيا فوقها الجسد، هذا التكرار يعكس قوة العلاقة بين السماء والأرض في وجدان الشاعر وواقع النفس، لأنه يوقن بأن النفس لما أثمرت أخرجت من عالم خلودها إلى عالم عقابها، فإذا ما حصلت شيئاً من معارف الخير والفضيلة والنفع العام كانت قد كفرت عن شيء من ذنوبها فعادت أدراجها؛ فكأن هبوطها كان مؤقتاً لغاية محددة"<sup>(١)</sup>.

ومما يؤخذ عليه أيضاً استخدام الشعر في المعاني الرياضية في قوله:

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها عن ميم مركزها بذات الأجرع

(١) من حديث المعارضات، ص ٩٢.

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخضع  
التصوير الفني:

إذا كانت "الصورة الأدبية هي الوسيلة الفنية التي يصور بها الأديب تجاربه، لينقلها إلى الناس فيشاركوه في عواطفه وفي أفكاره"<sup>(١)</sup>؛ فإن الشاعر قد استطاع عن طريق الصورة القصصية، ليس فقط أن يرغمنا علي مشاركته عواطفه وأفكاره، وإنما استطاع أن يضعنا في قلب هذه العواطف وهذه الأفكار، واستطاع القالب القصصي للصورة أن يشدنا منذ البدء إلى قلب القضية الفلسفية الموعلة في التعقيد، بحيث بدت وكأنها من بدائه الأشياء.

ويبدو الرمز الشعري (الورقاء) موظفاً بعناية في التجربة الشعرية، حيث كان ابن سينا موفقاً غاية التوفيق في اختيار رمزه الشعري للنفس من الطير مخالفاً أفلاطون في تصورها فرساً مجنحاً، إذ إن الحمام من بين الطيور هي التي لا تألف عادة إلا بعد فترة من الزمن وكره منها، ثم إنها لا تفارق مكانها إذا ألفت، لدرجة أنها تنوح فوق المكان إذا تغيرت ملامحه لعارض هدم أو بناء أو ما شابه ذلك، وترجع إلى أماكنها مهما حبست في مكان ما، ولكم أعطى الحمام دروساً في الإلف جسد بعضها ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة).

وقد تآزرت الصور الجزئية لإحداث مزيد من الدرامية في القصيدة القصة، وإثراء جانب التخيل فيها، فالورقاء تهبط من المحل الأرفع، وهي متخفية عن

---

(١) أضواء علي الأدب الحديث، د. أحمد الحوفي، دار المعارف الأولى، ١٩٨١م، ص ١٩٣.

كل عين، وتخفيها يترك مساحة للقارئ كي يتخيل الصورة التي وصلت بها، كما أن قوله: (أنفت وما أنست) يطوي مدة من الزمن كانت فيها النفس بين بين، ويدل على أن أنفتها قد أخذت مساحة من الوقت يظن خلالها أنها آنسة، كما أن قوله: (تبكي وقد ذكرت) يعطي صورة للنفس وهي جالسة تتذكر حالها التي كانت عليها وهي بالحمى سعيدة مكنونة، كما أن قوله: (وتظل ساجعة) يعكس صورة لبكاء النفس على حالها الأرضي، وهي جالسة تبكي على الدمن التي درست بفعل الزمن.

وقد أجاد الشاعر استخدام صورة الشرك وهو يعيق الورقاء عن انطلاقها، ليشارك صورة الروح التي يعيقها القفص الصدري عن الانطلاق والسباحة في الفضاء في قوله:

إذا عاقها الشرك الكثيف وصدها      قفص عن الأوج الفسيح المربع  
ثم أجاد مرة أخرى في تصوير قصر الرحلة التي قطعها هذه الروح في  
رحلتها الأرضية مع البدن في قوله:

فكأنها برق تألقت بالحمى      ثم انطوى فكأنه لم يلمع  
الموسيقى الشعرية:

جاءت القصيدة على تام (الكامل) صحيح العروض والضرب، ودخول الإضمار في التفعيلة الأخيرة في خمسة عشر بيتاً قد عمل على توفير مزيد من العذوبة الموسيقية للقصيدة، كما ساعد على إحساسنا بسرعة الإيقاع فيها،

التي تعكس سرعة الأحداث في التفعيلة، وهو منتشر في القصيدة انتشاراً  
وصل إلى حد ظهوره في خمس تفعيلات في البيت الواحد، على ما يبدو في  
قول ابن سينا:

فلأبي شيء / أهبطت / من شامخ      عال إلى / قعر الحضي / ض الأوسع  
متفاعلن / مستفعلن / مسـتـفـعـلن      مستفعلن / مستفعلن / مسـتـفـعـلن  
كما أن استعمال العين المكسورة المجهورة كروي للقصيدة قد ساعد  
على إحساسنا بقوة قافية القصيدة، تلك القوة التي تتلاءم وقوة الموضوع الذي  
تعالجه بما أنه موغل في التعقيد.

وقد وقع الشاعر في عيب موسيقي وهو (الإيطاء) حيث تكررت كلمة  
(الأوسع) في البيت الحادي عشر والخامس عشر حيث يقول الشاعر:

حتى إذا قرب المسير من      ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع  
فلأبي شيء أهبطت من شامخ      عال إلى قعر الحضيض الأوسع  
وفي تكرارها تأكيد على ضآلة النفس البشرية في ظل فساحة السماوات  
التي منها نزلت، أو الأرض التي إليها هبطت.

### ثانياً . أثر العينية في الشعر العربي

دأب كثير من الشعراء على مر عصور الأدب العربي على إظهار إعجابهم  
بقصائد معينة، يرونها أقرب إلى نفوسهم، وأعلق بأذهانهم وأذهان محبي  
الشعر، وهذا الإعجاب قد ترجمه كثير منهم في صورة محاكاة هذه القصيدة  
أو تلك، مقتبسين منها شيئاً مما يتعلق بها، كالوزن العروضي والايقاع

الموسيقي، أو وضوح المعاني والأفكار، ولم يقف الأمر عند حد المحاكاة وإنما تعداه إلى التشطير والتخميس والأخذ والتضمين وغير ذلك، مما ينم في نهاية الأمر عن إعجاب الشاعر بقصيدة معينة ورغبته في محاكاتها، ربطاً لقصيدته بما حققته هذه القصيدة من ذبوع وشهرة<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لطرافة الفكرة وانسجامها مع التجربة وعدوية الموسيقى - كما أشرت من قبل - اشتهرت عينية ابن سينا شهرة منقطعة النظير، وأثنى عليها كثير من المؤلفين ممن ترجموا لابن سينا أو لمن عارضه، على ما يبدو مثلاً من قول صلاح الصفدي في كتابه (نصرة الثائر): "قصيدة الرئيس في النفس التي أولها:

هبطت إليك من المحل ورقاء ذات تَعَزَّرِ وتمنع

في غاية الحسن، وما لأحد مثلها في بابها، وشهرتها تمنع من سردها، وقد اعتنى بها الفضلاء وخمسونها وشرحوها، ما أحسن قوله، وقد ذكرها عند الموت:

وكانها برقٌ تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع"<sup>(٢)</sup>

كما يبدو ذلك أيضاً من قول ابن أبي أصيبعة إنها "من أجلّ قصائده وأشرفها"<sup>(٣)</sup>، وقول جبران خليل جبران: "ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع

---

(١) ينظر: تاريخ المعارضات في الشعر العربي، د. محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة الأولى، ١٩٨٣، ص ٥٥.

(٢) نصره الثائر على المثل السائر، صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١٢٢.

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١/ ٤٤٦.

هؤلاء<sup>(١)</sup> بقرون عديدة، فوضع في قصيدة واحدة ما هبط بصور متقطعة على أفكار مختلفة في أزمنة مختلفة، وهذا ما يجعله نابغة لعصره وللعصور التي جاءت بعده، ويجعل قصيدته في النفس أبعد وأشرف ما نظم في أشرف وأبعد موضوع<sup>(٢)</sup>

ونتيجة لشهرة هذه القصيدة للأسباب السابقة استلهمها كثير من الشعراء قديماً وحديثاً. أشار إلى شذرة منهم الدكتور سليمان دنيا في مقدمة تحقيقه لكتاب الإشارات والتنبيهات لابن سينا<sup>(٣)</sup>، وتابعه الدكتور عبدالكريم اليافي في مقال نشره بمجلة (التراث العربي) جاء فيه: "وقد عارضها شعراء متعددون نذكر ممن نظم على بحرهما وروىها قديماً عفيف الدين التلمساني وحديثاً أحمد شوقي والشاعر الأديب عادل الغضبان، وصديقنا العالم المفكر الأديب نصح الطاهر نشر ذلك في رسالة لطيفة سماها الروح الخالدة، تناول فيها أقوال بعض الفلاسفة في النفس"<sup>(٤)</sup>، ثم كانت دراسة الدكتور عبدالوارث الحداد، التي ضمنها كتابه (من حديث المعارضات الأدبية)، حيث تناول عينية كل من الدكتور محمد رجب البيومي، والشاعر عادل الغضبان، وهي دراسة تمتاز بنظرتها التحليلية المستفيضة.

كما عني بها طائفة من الشراح ذكرهم حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون)<sup>(٥)</sup> مشيراً إلى تخميس واحد هو تخميس الشيخ منصور المصري، وأوله:

---

(١) يعني شكسبير وتشلي وغوتي وبراون، ينظر: مقالات وبحوث في الأدب المعاصر، د. صابر عبدالدايم، دار المعارف، الأولى، ١٩٨٣م، ص ٦٩.

(٢) البدائع والطرائف، جبران خليل جبران، المكتبة الثقافية، بيروت، ص ٧١.

(٣) ينظر: الإشارات والتنبيهات لأبي علي بن سينا، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، الثالثة، ١٩٨٣م، ١/١٠١.

(٤) القصيدة العينية في النفس ومعارضاتها د. عبدالكريم اليافي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ٥/٦، السنة الثانية، "يونيو ١٩٨٢"، ص ١٨٠.

(٥) يقول حاجي خليفة: وشروحها كثيرة منها شرح للمولى مصنفك وهو الشيخ علي بن محمد البسطامي (المتوفى سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمئة). ... وللشيخ عبدالرؤف المناوي

## يا سائلاً عن كنه ذات البرقع

ولكن إعجاب الشعراء بعينية ابن سينا لم يقف عند القصائد التي أشار إليها الدكتور اليافي وغيره - وإنما تعداه إلى سلسلة من المعارضات الشعرية التي تمتد زماناً من عصر ابن سينا إلى العصر الحديث، وتمتد مكاناً لتشمل معظم الأقطار العربية متمثلة في: سورية ولبنان والعراق ومصر والحجاز واليمن والمهجر الأمريكي.

وقد اختلفت مشارب الشعراء في تناول العينية، بين من يستلهمها شكلاً وموضوعاً، وقد تمّ ذلك في اثنتي عشرة قصيدة، للشعراء: (عفيف الدين التلمساني، داود بن عمر البصير أنطاكي، رفيع الدين الدهلوي، أحمد شوقي، محمد جواد البلاغي، حسين بن علي الأعظمي، جميل صدقي الزهاوي، إيليا أبي ماضي، علي نصوح الطاهر، عادل الغضبان، د. محمد رجب البيومي، د. عبدالكريم اليافي).

ومن يستلهمها موضوعاً فقط، وقد تم ذلك في أربع قصائد، هي للشعراء: (السهروردي، أحمد تقي الدين، نسيب عريضة، د. فريد عقيل) ومن يستلهمها من خلال الوقوع في أسرها عن طريق التضمين والتشطير والتخميس، حسبما توجيه ملكة الشاعر أو تبدعها طاقته، في قصائد أو

---

الحدادي (المتوفى سنة ١٠٣١ إحدى وثلاثين وألف) شرح.. .. وخمسها الشيخ منصور المصري (وأول التخميس يا سائلاً عن كنه ذات البرقع الخ وشرح هذا التخميس الشيخ أبو البقاء الأحمدي.. ..). وشرحها المولى محمد بن لطفي المعروف بلطفي بكزاده المتوفى سنة.. .. أورد فيه مؤاخذات كثيرة على شرح المولى مصنفك. ومن شروحا شرح نظام الدين أبي عبدالله حسين بن جمال بن الحسين الأثيري ثم القهستاني المتوفى سنة.. .. وشرحها سديد السمعاني.. .. وشرحها الشيخ داود الانطاكي (الأكمه المتوفى سنة ١٠٠٨ ثمان وألف) شرحاً ممزجاً، وسماه الكحل النفيس لجلاء أعين الرئيس، أوله تقدس نور الأنوار عن حصر المرايا والخ، وشرحها حسين بن إبراهيم بن حمزة ابن خليل.. .. ومن شروحا شرح عبدالواحد بن محمد، كشف الظنون ٢/ ١٣٤١، ١٣٤٢.

مقطعات<sup>(١)</sup> أو أبيات يبدو فيها أثر عينية ابن سينا جلياً، ويبدو ذلك في قصائد ابن نباتة وداوود الانطاكي، وعلي بن إسماعيل، وكاظم الأزي، وجرمانوس الشمالي وخليل مطران ووليد الأعظمي، وجرمانوس فرحات، ومنصور المصري، وعبيد الله الميدني وغيرهم.

أما المعارضات الصريحة وغير الصريحة فسوف نرجئ الحديث عنها إلى المبحث التالي، ذلك أنها تمثل شطراً هاماً من البحث يستحق أن يدرس على حدة، وأما الآثار التي تبتعد قليلاً أو كثيراً عن المعارضة فسوف نسلط عليها الضوء هنا، وهي تتمثل في: التضمين والتشطير والتخميس.

#### أ. التضمين:

وهو أن يضمن المتكلم - عامداً أو غير عامد - كلامه شيئاً مشهوراً من منشور غيره أو منظومه، للتدليل به على المعنى الذي هو بصدده، ومن ثم فهو يختلف عن المعارضة من جهات، "فالتضمين يعني نقل كلام الغير بقضه وقضيضه إلا معناه، فالشاعر المضمن لا يتحتم عليه الالتزام بغرض الشاعر

---

(١) المقطعات: جمع مقطعة، وهي ما دون القصيدة يقول ابن منظور: "وقالوا شعراً قصداً إذا نوح وجود وهذب. .. وليست القطعة إلا ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر، فأما ما زاد على ذلك فإنما تسميه العرب قصيدة"، كما يقطع الفيروزآبادي بأن المقطع إنما يطلق على كل قصير فيقول: "والمقطعة كمعظمة، والمقطعات القصار من الثياب. .. ومن الشعر قصاره وأراجيزه. .. ويقال للقصير مقطّع مجذّر"، ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، الأولى، (قطع) والقاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي، دار الحديث. (قطع).

الآخر ولا بمعانيه، أما المعارضة فتعني التزام الشاعر بغرض الآخر الذي يعارضه ووزنه وقافيته دون لفظه وعبارته"<sup>(١)</sup>.

فاين نباتة المصري ٧٦٨ هـ يستعين في مدحه للرسول ﷺ ببعض أشطر العينية أولاً في التأكيد على أن القرآن الكريم قد هبط من المحل الأرفع، حيث يقول<sup>(٢)</sup>: {الكامل}

ماذا عسى المدحُ الطهور يدير من كأس الثنا بعد الكتاب المترع

(١) المعارضة في الأدب العربي: د إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، الأولى، ١٩٨م، ص ٢٤ "على أن التضمن قد يكون بقصد، وقد يكون بغير قصد، فالتضمن المقصود يقف الشاعر حياله قبل إنشاء النص جاهداً في أن يوفق في السبك الدقيق بين فكره والفكر الذي يحمل القول المضمن به، ويتوفر هذا اللون من التضمن في المعارضات التي قامت على الإعجاب والاستعانة، فالتضمن له وجود في خيال ونية المضمن، أما معارضات التحدي فلا مجال فيها للتضمن، والمعارضات التي قامت على التسلي غالباً ما يكون التضمن فيها سرقة، ذلك أن الشاعر الذي يتسلى ليس لديه من الوقت والقدرة ما يغنيه عن الاستعانة بفكر غيره، فيضمن أو قل فيسرق، حينئذ يكون التضمن غير مقصود لذاته". ينظر: من حديث المعارضات الأدبية ص ٥٤.

(٢) ديوان ابن نباتة المصري: مطبعة التمدن بعابدين، الأولى، ١٩٠٥م، ص ٢٩٢، وابن نباتة (٦٨٦، ٧٦٨هـ) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين، شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته في القاهرة، سكن الشام سنة ٧١٥هـ، وولي نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيباشر ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ هـ، فكان بها صاحب سر السلطان الناصر حسن، له (ديوان شعر، ط) و (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط). (سجع المطوق، خ) تراجم وغيرها. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الخامسة عشر، أيار/ مايو، ٢٠٠٢م، ٣٨/٧.

بعد الحواميم التي بثناها هبطت إليك من المحلّ الأرفع  
من كل حرفٍ عن سواك بمدحها ورقاء ذات تعزز وتمنع  
فالشاعر لم يفد من العينية إلا الإشارة إلى علو مكانة القرآن ولفت النظر  
إلى معرفته أو إعجابه بعينية ابن سينا، بينما كان التضمين في البيت الثاني غير  
واضح المعنى.

ثم يستعين ابن نباتة بالشطر الأول ذاته في قصيدة أخرى في التأكيد  
على أن العلوم قد هبطت من المحلّ الأرفع فيقول: (١)

بشراك يا وطناً تقادم عهده بحمي العواصم لا بسفح الأجرع  
هبطت بمغناك العلوم وإنما هبطت إليك من المحلّ الأرفع  
أما التضمين في قول الانطاكى (٢): {الكامل}

---

(١) ديوان ابن نباتة المصري: ص ٣٠٠.

(٢) داود بن عمر البصير أنطاكي ت ١٠٠٨هـ: نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور رأس الأطباء  
والحكمة في زمانه، وله من التأليف (تذكرة أولي الألباب)، والدرة المنتخبه فيما صح من  
الأدوية المحرّبة، وله رسالة في الحمام ألفها باسم الأستاذ البكري وشرح قصيدة النفس  
المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا، وكانت إقامته بمكة دون السنة ومات بها في سنة ثمان بعد  
الألف. ينظر: خلاصة الأثر ١ / ٤٠٧، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد  
بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت ١ / ٢٤٦، وشذرات الذهب ٨ / ٤١٥، ٤١٦، وجعل  
ابن العماد وفاته في سنة ٩٨٩هـ، تاريخ آداب اللغة العربية جورجي زيدان، دار الهلال ٣ /  
٣٦٣، ٣٦٤. وقد نسب البيتان إلى فتح الله المعروف بابن النحاس الحلبي، في كثير من كتب  
التراجم كسلافة العصر وخلاصة الأثر، ونفحة الريحانة، ينظر: سلافة العصر في محاسن  
الشعراء بمصر: علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحلبي، الشهير بابن معصوم  
(المتوفى: ١١١٩هـ)، تقديم: محمد أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، مصر ١ / ٢٧٩،

لا يدعى قمرٌ لوجهك نسبةً فأخاف أن يسودَّ وجهه المُدَّعي  
فالشمسُ لو علمتُ بأنك دونها هبَّطتُ إليك من المحلِّ الأرفع

فهو تدليل على دعوى مبالغ فيها، وهي أن القمر لا يستطيع أن يدعي النسبة لوجه قمر الممدوح، لأنه لو فعل فسوف يسود وجهه لادعائه كذباً، وهو معنى جيد، وبخاصة مع تركيزه على صورة الوجه في الحالتين، لولا ذكر الفاء في الشطر الثاني دون حاجة إليها، أما ارتباط البيت الأول بالبيت الذي ضُمن شطراً مشهوراً من قصيدة ابن سينا، ففيه تكلف واضح، وعدم وضوح في الدلالة، إذ لو علمت الشمس بأن الممدوح دونها فسوف تهبط إلى الممدوح، فما وجه الحاجة إلى هبوطها؟، وهبوطها في حد ذاته يفقدها وهجها ورونقها.

وأما التضمين في قول علي بن الإمام المتوكل<sup>(١)</sup>: {الكامل}

يا يوسف العصر العزيز ومن رقى سبل الفخار إلى المحل الأرفع

---

وخلاصة الأثر ٣ / ٢٥٧ . ٢٦٦، ونفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٩٦٧م، ٢ / ٥٢٥.

(١) السيد علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد بن علي، ١٠٥٠هـ / ١٠٩٤هـ، قرأ واشتغل وحج سنة سبعين وألف، ولما تفرس فيه والده النجابة قلده أعمال بلاد ضوران وما حولها من البلاد، وكان والده إذا ذاك مقيماً بحصن شهارة ولم يزل مقيماً على عمله حتى توفي ابن عمه السيد الجليل محمد بن الحسن بن القاسم، وكانت اليمن منوطة بنظره فاستخلفه والده على أعماله وقلده ولاية ذلك الإقليم واستقر فيه إلى أن توفي والده. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت ٣ / ١٤٩.

وافتك معلنة بشكوى أعلنت  
 يهوى الأليف مطارحاً لسجوعه  
 عن صادق يشدو بلحن مبدع  
 فامنن بألف للعميد المولع  
 كم بات ينشد وهو مسلوب  
 لفراق من يهوى بقلب موجع  
 أحمامة الوادى بشرقي الغضا  
 إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي  
 يا ليت شعري هل يكون جوابه  
 هبطت إليك من المحل الأرفع

فهو تضمين جيد للشطر الثاني من عينية ابن سينا، ختم به الشاعر أبياته، وهو يحمل لوعة السؤال والتمني والشوق إلى تحصيل الرغبة، بخاصة مع استدعاء موقف يوسف الصديق، وتمكنه من مقاليد الأمور، وتصوير الطالب بالحمامة الصادحة التي يهوى الأليف صداها، وهي لا تصدح إلا لفراق الأحبة، و(المحل الأرفع) رغم تكراره لا يعد من الإيطاء المعيب، نظراً لاختلاف المعنى في البيتين سموا في البيت الأول وهبوطاً في البيت الأخير.

وأما التضمين في قول كاظم الأزري: {الكامل} (١)

مهلاً فقد غرقت بنائك الورى والمعصرات تعاف ما لم تقلع

(١) لم أقف عليها في ديوانه، والنص من الموسوعة الشعرية، والشاعر هو كاظم بن محمد بن مهدي بن مراد الوائلي البغدادي الشهير بالأزري (١١٤٣، ١٢١١هـ) شاعر فحل، من أهل بغداد، يقال له شاعر أهل البيت. أشهر شعره قصيدة مطلعها: لمن الشمس في قباب قبابها، تزيد على ألف بيت. وله ديوان مرتب على الحروف أكثره مدائح في أهل البيت، وقصيدة من المدائح النبوية حمّسها جابر بن عبدالحسين الربيعي الكاظمي، وسمّاها قرآن الشعر الأكبر، ينظر: أعيان الشيعة ١٣ / ١٨٥.

الحرب سيف أنت صيقل حدّه      لولاك كانت مديّة لم تقطع

لو رمت من زمر الكواكب حفلاً      هبطت إليك من المحل الأرفع

ففيه استثناس بالشطر الأول من العينية في مقام المدح، وهو جيد في موضعه من القصيدة، حيث أضاف إلى قوة الممدوح ورهبة الأعداء منه قوة قدسية، لو رام بها زمراً من الكواكب للبت نداءه، ولكن استعمال (الكواكب) في مقام المدح بالقوة والاستطاعة غير مستساغ، ولو عبر الشاعر بـ (الملائك) لكان أولى وأدخل في باب القدسية، ونصرة الله للممدوح.

وأما التضمين في قول جرمانوس الشمالي: {الكامل} (١)

فاسلم ودم فحراً لنا ما غرّدت      ورقاء ذات تعزّزٍ وتمنع

بشّفاة العذراء خير ختامنا      أمّ الحلاص شّفيعة المستشفع

فلا يعدو أن يكون سبق لسان بعد ذكر كلمة (الورقاء) لأن تخصيص الورقاء الوارد في شطر ابن سينا يقيد الدعوة للممدوح تقييداً مخلاً بالمدح، ذلك أن المراد دعاء الشاعر للممدوح بالسلامة والبقاء، طالما وجدت ورقاء تغني، ولكن قصرها على الورقاء المتعززة المتمنعة يحد من فضاء المعنى،

---

(١) (جرمانوس الشمالي) ١٢٤٤، ١٣١٣هـ / ١٨٢٨، ١٨٩٥م، من سهيلة كسروان، تهذب في مدرسة مار عبدا هرهريا الاكليريكية وبرع في معرفة اللغتين العربية والسريانية، وعلم هناك مدة عشر سنين بعد كهنته سنة ١٨٥٥، ثم انضوى إلى جمعية المرسلين اللبنانيين فكان أحد أعضائها الممتازين بأعماله الرسولية وتقاه وبلاغته، إلى أن رقاه غبطة البطريرك يوحنا الحاج إلى رئاسة أسقفية حلب سنة ١٨٨٨، فأخذ اسم جرمانوس ذكراً بناغمة حلب السيد جرمانوس فرحات فسأسها مدة سبع سنين بحكمة عجيبة، أما شهرته في الآداب العربية فتشهد عليها آثاره الباقية. منها مجلدان ضمنها مجموع خطبه وعظاته ثم ديوانه المسمى (نظم اللآلئ) وفيه كثير من المنظومات الحيدة. ينظر: تاريخ الآداب العربية، لويس شيخو، منشورات دار المشرق، الثالثة، ١٩٩١م، ص ٢/٢٣٩، ٢٤٠.

بخاصة أن الحمائم تألف وتؤلف، فيمكن الإمساك بها وحبسها، ومن ثم يذهب التعزز والتمتع الذي ذكره الشاعر.

وأما قول خليل مطران في قصيدته (من غريب الى عصفورة مغتربة):

{مجزوء الكامل} (١)

يَا مَنْ شَكَتُ أَلْمِي مَعِي طَيِّبْتِهِ فِي مَسْمَعِي  
شَكْوَاكِ أَلْطَفُ بَلْسَمٍ لِجِرَاحَةِ الْمُتَوَجِّعِ  
مَا أَعْلَقَ الشَّدْوُ الرَّحِيمَ بِكُلِّ قَلْبٍ مُوَلِّعِ  
عَنِّي أَهَازِيحَ النَّوَى وَعَلَى نُوَاجِي أَوْفَعِي  
بُنْتَ الْكِنَانَةَ مَا رَمَى بِكِ بَيْنَ هَذِي الْأَرْعِ  
فِيمَ اغْتَرَبْتِ وَكُنْتِ فِي ذَاكَ الْأَمَانِ الْأَمْنَعِ  
أَحْمَلْتِ مَحْمَلِ سِلْعَةٍ جَلَبًا بَغَيْرِ تَطْوُوعِ  
فَقَرَّرْتِ مِنْ قَفْصِ الْكَفِيلِ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ  
وَبِوُدِّكَ الْعَوْدُ الْقَرِيبُ لِسِرِّبِكِ الْمُسْتَمْتَعِ

(١) ديوان الخليل: خليل مطران، دار المعارف بمصر، مطبعة دار الهلال، ١٩٤٨م، ٢/ ٢١، ٢٢، والشاعر هو خليل بن عبده بن يوسف مطران: (١٢٨٨، ١٣٦٨هـ = ١٨٧١، ١٩٤٩م) شاعر، غوّاص على المعاني، من كبار الكتاب، له اشتغال بالتأريخ والترجمة. ولد في بعلبك (لبنان)، وتعلم بالمدرسة البطريركية ببيروت. وسكن مصر، فتولى تحرير جريدة (الأهرام) بضع سنين، ثم أنشأ (المجلة المصرية) وبعدها جريدة (الجوائب المصرية)، ناصر بها مصطفى كامل (باشا) في حركته الوطنية، وترجم (روايات عدة) من تأليف شكسبير وكورناي وراسين وهيحو وبول بورجيه، ولقب بشاعر القطرين، وكان يشبه بالأخطل، بين حافظ وشوقي، له ديوان شعر طبع في أربعة أجزاء، توفي بالقاهرة، الأعلام للزركلي ٢/ ٣٢٠.

فِي مِصْرَ مَصْرَحَةِ اللَّهِيهِ فِي وَمَلَجَا الْمُتَفَرِّعِ

فيغلب على أبياته تأثره بعينية ابن سينا، وهو يصف عصفورة ظنها عصفورة مصرية، من بلد صديق مصري طالما فرج ألمه، وفي الأبيات يأسى الشاعر لغربتها، ورغبتها في الفرار والخلاص من الحبس، والانطلاق في الفضاء الواسع كما يفر العصفور من القفص.

وهناك صورة أخرى للتأثر بعينية ابن سينا، دأب كثير من شعراء العصر الحديث على استعمالها، حيث لا يقف الشاعر فيها عند حدود المعارضة، وإنما يعجبه الرمز فيلتقط الصورة وينسج عليها من خياله، على النحو الذي

صنعه الشاعر وليد الأعظمي<sup>(١)</sup> في قصيدته (حمامة السلام)<sup>(٢)</sup> حيث ينطلق الشاعر من الحمامة في تصوير مأساته ومأساة العالم الإسلامي معه، لأنها الوحيدة التي تستطيع أن تجوب الأجواء وتشاهد المخازي التي يقع المسلمون فيها، كما أنها رمز للسلام المنتظر الذي ما زالت تتعلق به أفئدة الأمة العربية، ولكن وقوفها على أشلاء الجرحى والقتلى يعود بنا إلى صورة ذلك الطائر المسمى بـ (الهامة)، الذي كان يرمز إلى الروح في الأدب العربي القديم، ويظل واقفاً على جثة القتيل حتى يؤخذ بثأره.

وفي القصيدة يخاطب الشاعر الحمامة مستذكراً حمامة (ابن سينا) التي جعلها رمزاً للنفس البشرية ليصل في النهاية إلى ما وصل إليه ابن سينا من غموض حول حقيقة الروح، لكن الغموض هنا مسند لقوة علوية هي قدرة الله وتدييره في خلقه فيقول: (مجزوء الرمل)

إيه يا ورقاء لا راعك بوم في الوكور  
بنعيب يحزن النفس ويدعو للثور

---

(١) هو وليد عبدالكريم إبراهيم الأعظمي، ينتمي لقبيلة العبيد العربية القحطانية الحميرية، وهو أديب وشاعر وخطاط ومؤرخ وكاتب إسلامي مشهور، ولد في الأعظمية، عام ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م. نشأ في أسرة محافظة على دينها وفي بيئة دينية، وهو عضو مؤسس في الحزب الإسلامي العراقي سنة ١٩٦٠م. وعضو مؤسس لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين، وعضو مؤسس لجمعية الخطاطين العراقيين، من مؤلفاته ديوان الزواجع، وديوان الشعاع، ونفحات قلب. توفي مطلع السنة الهجرية ١٤٢٥ الموافق شهر شباط ٢٠٠٤م، ودفن في مقبرة الخيزران في الأعظمية. ينظر: ديوان وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم المستشار عبدالله العقيل، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، أيار ٢٠٠٤م.

(2) <http://www.odabasham.net/show.php?sid=1252>

إيه يا ورقاء لو يدري ابن سينا بالأمر  
لمضى يهتك بالعين غشاوات الستور  
فيك يا نفس غموض لم يفصل بالسطور  
أنت سر الله في الخلق ومقياس الشعور  
أنت معنى من معاني الله في الكون الكبير

### ب . مشطرات عينية ابن سينا ومخمساتها:

لم يقف الأمر بالشعراء عند حد تضمين أبيات العينية أو معانيها، وإنما وجدنا من الشعراء من يحصر نفسه في معانيها مشطراً ومخمساً<sup>(١)</sup>، وليس من شك في أن مثل هذا اللون من الصناعة يبدو بعيداً كل البعد عن جوهر المعارضة، ذلك أن "شاعر هذا الفن محكوم بالقصيدة الأصل مبنى ومعنى، ولا يملك من الحرية في بناء قصيدته إلا الشيء القليل، وهو في عمله الفني يبدو كمن يشيد بناء على أساس وضعه غيره، فلا خيار أمامه سوى أن يرفع بنيانه ملتزماً بذلك الأساس"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) التشطير هو "أن يعمد الشاعر إلى بيت أو أبيات لغيره، فيجعل الشطر الأول (الصدر) صدرراً له، ثم يكمل البيت بعجز من عنده، ويبدأ البيت الثاني بصدر من عنده، ثم يختمه بعجز البيت الأصلي، فيصبح البيت المأخوذ بيتين" المعارضة في الأدب العربي: د. إبراهيم عوضين، ص ٣١.

(٢) المعارضات الشعرية: د. عبدالرحمن إسماعيل السماعيل، مطبوعات النادي الأدبي الثقافي بجدة، الأولى، ١٩٩٤م، ص ٤١.

ومن المشطرات التي تناولت عينية ابن سينا تشطير الشاعر جرمانوس فرحات<sup>(١)</sup>، حيث عمد إلى تشطير قصيدة ابن سينا كاملة بدافع الإعجاب بالقصيدة والرغبة في تطويلها أو محاذاة معانيها إن صح التعبير، وقد دل على ذلك حرص الشاعر المشطر على توضيح الغامض وتفصيل المجمل، لأنه يترتب عليه إعادة الشيء بلفظه أو بمعناه دون كبير فائدة، كما يبدو في قوله:

هبطت إليك من المحلِّ      نفسٌ تراءت في وشاح لا يعي  
دقت ورقت جوهراً فكأنها      (ورقاً ذات تعزُّرٍ وتمنُّع)  
(محبوبةٌ عن كل مقلة عارِفٍ)      كمأً وكيفاً كالجهاث الأربع  
لكن قواها كيف يمكن سترها      (وهي التي سَفَرَت ولم تبرقع)

فالتصريح بكون المتحدث عنه هو (النفس) غير دقيق، لأن الروح لا تكون نفساً إلا بالدخول في البدن، ثم كيف تتناسب الدقة والرقّة في الجوهر مع التمتع من الوراق؟، وكيف تهبط النفس من أعلى لتحظى بالإله في قول جرمانوس:

(١) ينظر: ديوان جرمانوس بن فرحات مطر الماروني، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٦٦م، ص ١٦٤ . ١٦٦، والشاعر هو جبرائيل بن فرحات مطر الماروني ١٠٨١، ١١٤٥هـ/١٦٧٠، ١٧٣٢م. أديب سوري، من الرهبان، أصله من حصرون (بلبنان) ومولده ووفاته بحلب، وقد أتقن قواعد الصرف والنحو والبيان، على يد الشيخ سليمان النحوي المشهور في حلب، وهو بعمر ١٤ سنة. دخل بعدها مدرسة الشيخ يعقوب الدبسي، ليتقن صناعة البديع والشعر، فوضع كتاباً بعنوان "الأرب في علم الأدب"، كما أتقن اللغات العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية، ودرس علوم اللاهوت، وترهب سنة ١٦٩٣م ودُعي باسم (جرمانوس) وأقام في دير بقرب (إهدن) بلبنان، ورحل إلى أوروبا، وانتخب أسقفاً على حلب سنة ١٧٢٥م. له ديوان شعر مطبوع، الأعلام ١٠٩ / ٢.

فلأبي شيءٍ أهبطت من شامخٍ إلا لتحظى بالإله الأرفع  
 ومن ثم يبدو التكلف واضحاً في هذا البيت تحديداً، ولعل ما دفعه إلى ذلك أن الشاعر في الغالب "يعمل جاهداً على صياغة أبياته، وتكييف معانيها طبقاً لمعنى البيت الأصلي، ولا مجال لديه للإبداع والتجديد، فهو متبع لا يستطيع الابتعاد عن محيط القصيدة الأصل، ولا مفارقة خطها المرسوم من قبل الشاعر الأول، ولهذا نراه دائماً يأتي في مرتبة أقل من مرتبة ذلك الشاعر، وهذا بخلاف ما نراه في المعارضات أحياناً من إبداع يصل إلى تجاوز القصيدة الأصلية عند بعض الشعراء الفحول الذين اتخذوا المعارضة ميداناً للتحدي في الفن الشعري"<sup>(١)</sup>.

وقد ترتب على التشطير في أبيات جرمانوس تغيير في صورة البيت الأساس، وهو ما يتنافى وطبيعة التشطير الذي يلتزم بحرفية البيت، ويحدث ذلك في الغالب نتيجة عجز الشاعر عن صناعة شطرة يسد بها فراغ الشطرة الثانية في القصيدة الأصلية، على النحو الذي يبدو في قول الشاعر:

(إذ عاقها الشَّرْكُ الكثيفُ وصدَّها الـ)      مَيْلُ الخسيفِ عن العلاء الأرفع  
 زلَّت فضلت عن هداه فكفَّها      (نقصٌ عن الأوج الفسيح الأربع)

(١) المعارضات الشعرية: ص ٤١.

ولا يقف إعجاب جرمانوس عند حد تشطير العينية، بل يتعداه إلى تشطير معارضة من معارضاتها، حيث عمد إلى تشطير قصيدة السهروردي الذي عارض ابن سينا، حيث يقول: {الكامل} (١).

كْرهًا وَقَدْ أَزْفَتُ لِأَنَّ تَعَلَّقَا	(خلعت هياكلها بجرعاء الحمى)
(وصبت لمغناها القديم تشوقًا)	لكنها ذكّرت عهد صفاتها
عَهْدٌ قَدِيمٌ كَانَ مِثْوَاهُ الْبَقَا	(وتلفتت نحو الديار فشافها)
(ربع عفت أطلاله فتمزقا)	حنت حين الإلف لما راقها
إِقْرَارٌ أَنَّ غَدًا يَكُونُ الْإِلْتِقَا	(وقفت تسائله فرد جوابها) ال

ويبدو تشطير جرمانوس لقصيدة السهروردي هنا تشطيراً جيداً، يمكن أن يوضع مع الأصل جنباً إلى جنب، فتحس أن هذا شيء، وهذا شيء مختلف تماماً، فقد أظهر لوعة الورقاء وخلعها هياكلها الأولى كرهاً، ثم عبر عن دخولها الجسد بالتعلق الذي يعكس مرحلة هذا الدخول، ثم أكد على أن حينها للجسد يشبه من يقف على الأطلال حيث يقول:

(ربع عفت أطلاله فتمزقا)	حنت حين الإلف لما راقها
إِقْرَارٌ أَنَّ غَدًا يَكُونُ الْإِلْتِقَا	(وقفت تسائله فرد جوابها) ال

وأما (التخميس) فهو لا يفترق كثيراً عن التشطير، اللهم إلا أن شاعر الخمسة يكون مطالباً بالبدء بثلاثة أشطر من عنده، ثم يأتي البيت المستعار بعد ذلك على سبيل التذييل.

(١) ديوان جرمانوس فرحات: ص ١٨٤.

وقد وقفت على تخميسين من جملة التخميسات التي تناولت عينية ابن  
سينا وهما: تخميس الشيخ منصور المصري الذي أشار إليه حاجي خليفة  
عند شرح عينية ابن سينا، وذكر أن أوله: {الكامل} (١).

يا سائلاً عن كنه ذات البرقع

ولم أقف إلا على هذه الشطرة منه.

وتخميس مولانا عبيد الله الميدني بوري (٢) وفيه يقول: {الكامل}

من بعد ما سكنت بعش أمنع      من فوق رأس القدر روض ممرع  
بألد عيش أرغد متبرع      هبطت إليك من المحل الأرفع  
ورقاء ذات تعزز وتمنع

من كل ساجعة هدير معارف      في كل لحن تالد أو طارف  
مستورة في ستر ظل وارف      محجوبة عن كل مقلة عارف  
مع أنها سفرت ولم تتبرقع

(١) ينظر: كشف الظنون، ٢/ ١٣٤١، ١٣٤٢.

(٢) الشيخ الفاضل عبيد الله بن أمين الدين الشهابي الصديقي الجيتوي الميدني بوري، ولد بجيتوا،  
بكسر الجيم المعقود بعدها تحتية ثم فوقية من أعمال ميدني بور في إقليم بنكاله، لست  
خلون من جمادى الآخرة سنة خمسين ومئتين وألف، ودخل كليته فقرأ العلم على أساتذة  
المدرسة العالية بها، ثم ولي التدريس بكلية هوكلي فدرس بها مدة، ثم ولي النظارة لكلية ذهاكه  
سنة إحدى وتسعين، له مصنفات ممتعة، منها طراز الأزهار في سير الفلاسفة الكبار، وتشحيذ  
الإدراك في حقيقة حركة الأرض ووجود الأفلاك، وديوان الشعر. وله مخمس يعارض به الشيخ  
الرئيس: إلى غير ذلك، مات سنة ثلاث وثلاثمئة وألف بدهاكه. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ  
الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي بن فخر الدين  
الحسني، دار ابن حزم، الأولى، ١٩٩٩م، ج٢/ ١٢٩٨، ١٢٩٩، والأعلام ٤/ ١٩١.

والذي أراه أن تطويل القصيدة بالتشطير والتخميس معيب في نظري، ذلك أن الزيادة في الأبيات مع الاحتفاظ بأصل وضعها يوحى بإطناب معيب، لأنه يترتب عليه إعادة الشيء بلفظه أو بمعناه دون كبير فائدة، اللهم إلا التصريح بما جرى في عادة الشعر أن يحذف، ويظهر ذلك في التخميس خاصة.

بقي أن نؤكد على وجود اختلاف ظاهر بين التضمين والتشطير والتخميس وبين المعارضة، نظراً للنظرة الجزئية التي يركز عليها التضمين، والاحتذاء الحرفي أو التقليد الذي تلتزمه المشطرات والمخمسات، ومن ثم لا نميل إلى الرأي القائل باتفاق هذه المصطلحات ومصطلح المعارضة، بحجة أن "الشاعر هنا يلتزم في قصيدته المضمون الذي تدور حوله القصيدة الأصل التي يشطرها أو يخمسها، وقيمتها على الشكل العام الذي أقيمت عليه القصيدة الأصل، إذ لا بد من أن يكون موضوعه موضوعها نفسه، وقوله من البحر والروي ذاته، كما يتحتم عليه أن تكون أفكاره نحواً من أفكار تلك القصيدة إن لم تكن هي بذاتها، فليس بين الشاعرين في العمليين من خلاف يميز عمل أحدهما عن الآخر، وكل ما أحدثه اللاحق إنما هو إضافات يبسط بها أفكار الأصل، ويزيد في كل فكرة ما يوضحها، وكأنني به يعلن رضاه عن ذلك العمل السابق، واحتفاله به، بيد أنه يضيف إليه من رؤاه هو بالقدر الذي تختلف فيه رؤية لشخص عن رؤية لآخر في إطار واحد، وهل المعارضة عمل فوق ذلك أو أدنى منه؟"<sup>(١)</sup>.

---

(١) المعارضة في الأدب العربي: د. إبراهيم عوضين، ص ٣٤.

ويأتي الرفض من تقييد الشاعر بالمعنى في هذه الألوان كما سلفت  
الإشارة، إضافة إلى الحرص على ذكر الأبيات المشطرة بعينها، بحيث إذا  
حذفنا النص الأصلي أصاب القصيدة ما لا يصلح معه أن تسمى قصيدة.

## المبحث الثاني

### معارضات العينية

لاشك أن لجوء الشاعر إلى نص تراثي كان يرجع - فيما يرجع إليه - إلى دوافع عدة ، يأتي الإعجاب على رأسها، سواء أسر ذلك الشاعر أم جهر به، إذ غالباً ما يكون الشاعر في المعارضة مدفوعاً بموسيقى القصيدة أو طرافة فكرتها أو الأمرين معاً، لأن القول باشتراط اجتماع الشكل والموضوع في القصيدة المعارضة يهدر كثيراً من القصائد التي تنطق بمحاكاة القصيدة الأساس دون أن تلتزم الشكل أو ترتبط بالموضوع، ومن دون هذا وذاك تقف الصورة الفنية عاملاً من عوامل التجديد في طبيعة المعارضة، فهي التي تضمن لها التطور والتجديد، لان الشاعر لا يجبر على احتذاء المعاني التي يعارضها، بل إنه قد يقلب المعنى إذا تراءى له ذلك، طالما أن ذلك يخدم بناء القصيدة.

وبما أن المعارضات تعد أشمل الألوان التأثرية في امتصاص النص القديم، ومحاولة احتذائه أو التفاعل معه، دون حرص على النقل الحرفي منه إلا في حدود ضيقة . فإن أفرادها بهذا المبحث يعد نتيجة طبيعية لخصوصيتها في الدراسة الأدبية التي تتعامل معها كنص مكتمل ينبغي أن يعالج من ناحية الموضوع والصياغة والصورة والموسيقى، ومن قبل ذلك لا بد من الوقوف على ماهية المعارضة وتحديد مفهومها وأنماطها، قبل الوقوف على صورها في عينية ابن سينا.

## ماهية المعارضة:

يبدو أن مصطلح المعارضة مصطلح مراوغ ، تتبع مراوغته من وجود كثير من المصطلحات أو القوالب الفنية التي تشترك معها في الأثر، كالمناقضات والمنافرات والمطارحات والمشطرات والمخمسات وغيرها، حيث يشترك في القيام بواجبات هذه المصطلحات نصوص شعرية متشابهة في كثير من السمات.

كما تتبع مراوغته من كون المعارضة في اللغة تسير في أكثر من وجهة، إذ فيها معنى المحاذاة، وفيها معنى المقابلة غير الحرفية، وفيها معنى المباراة والمبارزة، وفيها معنى الموازنة، فمن الأول تجد قول الأزهري: وعارض فلان فلاناً، إذا فعلَ مثل فعله وأتى إليه مثل الذي أتى إليه. ويقال عارضتُ فلاناً في السير، إذا سرت حياؤه وحاذيته. وقول الزبيدي: عارض فلاناً بمثل صنيعه أي أتى إليه مثل ما أتى عليه... ومنه اشتقت المعارضة كأنَّ عَرَضَ فِعْلُهُ كَعَرَضَ فِعْلُهُ، أي كأنَّ عَرَضَ الشَّيْءِ بِفِعْلِهِ مِثْلُ عَرَضِ الشَّيْءِ الَّذِي فَعَلَهُ<sup>(١)</sup>.

ومن الثاني نجد قول الصاحب بن عباد: وعَارَضَ فلاناً: أَخَذَ في طريقٍ وأَخَذَ هو في غيره ثم لَقِبَهُ. وقول الزبيدي: عَارَضَ مُعَارَضَةً إذا أَخَذَ في عَرُوضٍ من الطَّرِيقِ أي نَاحِيَةٍ منه وَأَخَذَ آخَرَ في طريقٍ آخَرَ فَالْتَقِيَا<sup>(٢)</sup>.

ومن الثالث قول ابن منظور: وفلان يُعَارِضُنِي أي يُبَارِئُنِي وفي الحديث: إن جبريل عليه السلام كان يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ في كل سنة مرة، وإنه عارضه العام

---

(١) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م، ١ / ٢٩٤، وتاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ١٨ / ٤٢٠.

(٢) المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، بتحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب الأولى، ١٩٩٤م، وتاج العروس ١٨ / ٤١٩.

مرتين قال ابن الأثير أي كان يُدارسُه جميع ما نزل من القرآن من المُعارضة المُقابلة<sup>(١)</sup>.

ومن الرابع قول ابن منظور: عارضَ الشيءَ بالشيءِ مُعارضةً قابلاًه وعارضتُ كتابي بكتابه أي قابلته<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من المعاني اللغوية للمعارضة أنها تدور حول معنى المحاكاة والتقليد، سواء أكان حرفياً كما يبدو من معنى المحاذاة، أم غير حرفي كما يبدو من المقابلة غير الحرفية، لأن نوازع المباراة تبدو في الحالتين، كما تبدو نوازع المقابلة بين الأصل والمعارضة من الناقد، وهي معاني تتفق وما جاء به الشعراء من إبداع، جعل المعارضة الشعرية مجالاً للتنافس بين الشعراء لإظهار قدرتهم الإبداعية في محاكاة بعض القصائد المشهورة التي انتشرت بين الناس بسبب جودتها وتميزها.

#### أقسام المعارضة:

على الرغم من أن المعنى اللغوي لكلمة (معارضة) لا يحمل تخصيصاً بشعر أو نثر بل يعني بشكل عام المحاكاة والمجازاة.<sup>(٣)</sup> على الرغم من ذلك

(١) لسان العرب (عرض).

(٢) المرجع السابق (عرض).

(٣) استعمل النقاد ودارسو الأدب قديماً مصطلح (المعارضة) في الشعر والنثر على حد سواء قبل أن تكتسب معناها كمصطلح شعري معروف، فقد ورد في كتاب الأغاني أن أبا عبيدة والأصمعي كانا يقولان عن عدي بن زيد: "عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يحري معها مجراها". ويقول ابن رشيق: "ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم. فلما سمعوا قول الله عز وجل (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، يتسوا مما طمعوا فيه، وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق" ينظر: الأغاني . لأبي الفرج الأصبهاني . تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان ٢١ / ٢٠٨، وخزانة الأدب ١ / ٣٦٨، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني . تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد . دار الجيل الخامسة ١٩٨١ م / ١ / ٢١١ .

كله ضاق مدلول المصطلح في العصور المتأخرة حتى بات مقصوراً على الشعر، وبات مفهوم المعارضة الشعرية هو "أن ينظم الشاعر قصيدة على نمط قصيدة لشاعر آخر يتفق معه في بحرهما ورويها وموضوعها، سواء أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصرين"<sup>(١)</sup> بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحاً للقصيدة المتقدمة، في حين أن هذا الأمر إنما ينطبق على المعارضة الصريحة، أما ما عدا ذلك من القصائد التي فقدت أحد هذه العناصر فهي معارضات غير صريحة (ضمنية)، كالتي فقدت فيها القصيدة المتأخرة أحد عناصر الشكل الخارجي للقصيدة القديمة، واتفقت معها في الغرض العام أو العكس،<sup>(٢)</sup> ويختلف موقف الشاعر بالتالي في المعارضة الصريحة عنه في المعارضة غير الصريحة، "فالمعارضة الصريحة تتطلب من شاعرها وعياً وحذراً شديدين تجاه نموذجه القديم، وتجاه القارئ على حد سواء، لهذا فالشاعر المتأخر يعارض وهو بكامل وعيه لحقيقة المعارضة، وأن قصيدته سوف تدخل في مقارنة فنية مع نموذجها الأصلي، ووعيه بهذه الحقيقة يجعله يحرص أشد الحرص على الإبداع والتجاوز، بسبب ضيق دائرة الإبداع التي يتحرك فيها، فموضوعه هو موضوع الشاعر السابق، وشكل قصيدته هو شكل القصيدة السابقة، لهذا فالمعارضة الصريحة تقتضي من الشاعر المتأخر جهداً مضاعفاً، وموهبة شعرية عالية، يستطيع بوساطتها الانعتاق من شبك النموذج الأصلي، والاستقلال بشخصيته الفنية.

أما المعارض ضمناً فإن المجال أمامه أوسع وأرحب، فهو لا يعتبر نفسه معارضاً، فلا يتقيد بحدود المعارضة الصحيحة، فيغير الموضوع، أو يغير

---

(١) موسوعة عصر سلاطين المماليك: د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، الأولى، ١٩٦٥م، ٨ /

(٢) ينظر: المعارضات الشعرية، ص ١٩.

الشكل، فتتسع أمامه دائرة الإبداع، وتتعدد طرق الاستفادة من النموذج الأصلي"<sup>(١)</sup>.

بقي أن نبحث في صلاحية المعارضة لحمل رسالة الفن الجيد، فعلى الرغم من اقتناعنا بأن المعارضة صناعة في المقام الأول فإن ذلك لا يمنع من أن يبدع الشاعر معاني وصور لم تكن موجودة في القصيدة الأولى، ناهيك عن العاطفة ومدى امتلاء الشاعر بها وهو يبدع قصيدته، شريطة أن تتوفر في الشاعر موهبة جيدة، ذلك أن "إفلات الشاعر من سطوة التراث لا يتم إلا بوساطة موهبة ذاتية متميزة، يستطيع بها أن يبدع بما يولده أو يضيفه من معان أو صور جديدة تميزه عن السابقين، من أجل ذلك فإن إمكانية بقاء قصيدة المعارضة في ذهن القارئ تكمن في إبداع الشاعر، وقدرته على التخلص من شبك نمودجه القديم، وهذا قليل جداً في المعارضات بنوعها"<sup>(٢)</sup>.

وإضافة إلى هذه الأهمية الفردية التي توحى بقدرٍ من فحولة الشاعر المتأخر حين يُجيد في معارضة قصيدة متقدمة اكتسبت شهرة بقصيدة تجري في مضمارها، وتحقق لنفسها قدرًا موازيًا من الشهرة والقبول - تأتي أهمية دراسة المعارضات في الدراسة الأدبية من كونها تؤدي "دورًا مهمًا في عملية الإحياء التراثي في فترات اليقظة والتأصيل الأدبي، لأن قارئ الموازنة إما أن يكون جاهلاً تماماً بالنص الغائب وهو القصيدة النموذج، فتضيف المعارضة

---

(١) المعارضات الشعرية، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) المعارضات الشعرية، ص ٨٠.

إلى ذخيرته الأدبية نصاً جديداً بوساطة الناقد الذي يقوم بدور الوساطة بين المتلقي والتراث، أو يكون القارئ على علم بالنص الغائب، ولكنه غائب عن ذهنه حتى يقرأ قصيدة المعارضة، فيعود إلى ذهنه مرة ثانية بوساطة تلك القصيدة"<sup>(١)</sup>.

وإذا اتفقنا في النهاية على أن المعارضة هي "أن ينظم الشاعر قصيدة على نمط قصيدة أخرى لشاعر آخر، معاصر له أو غير معاصر، يتفق معه في بحرهما ورويها وموضوعها، أو في موضوعها فقط، بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحاً للقصيدة المتقدمة . إذا اتفقنا على ذلك، فأمامنا كم هائل من المعارضات التامة أو الناقصة التي ظهر فيها أثر عينية ابن سينا واضحاً، وهذه القصائد والمقطعات لم تكن على درجة واحدة من الجودة أو الاحتذاء والتقليد، في ظل إيماننا أن العمل الأدبي "بناء لغوي يستغل كل إمكانات اللغة الموسيقية، والتصويرية والإيحائية والبدالية، في أن ينقل إلى المتلقي خبرة جديدة منفعلة بالحياة"<sup>(٢)</sup>؛ ومن ثم فستقوم المعالجة الفنية للنصوص على ثلاثة محاور، نراها تحقق البغية في فهم النص، وتسهل الطريق إلى تصنيفه وتوصيفه توصيفاً جيداً، وهي: (البناء الفكري) و (التصوير الفني) و (الموسيقى الشعرية)، حيث إننا نرى أن الوقوف على هذه العناصر في النص الأدبي يمكن أن يشكل محاولة فنية جادة لكشف عناصر الفن فيه،

---

(١) المعارضات الشعرية ، ص ٨١ .

(٢) الأدب وفونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الثامنة، ص ٢٥ .

دون تقليل من شأن الصياغة، إذ غالباً ما كانت تسيطر مفردات ابن سينا على المشهد الشعري في هذه القصائد، ناطقة بوجود التأثير فيها.

### أولاً. المعارضات الصريحة لعينية ابن سينا

#### أولاً. (البناء الفكري):

يلوح الموضوع ملمحاً رئيساً من ملامح المعارضة التي لا يجوز إهمالها، لأنه يحمل جوهر المعارضة، بخاصة مع إمكانية تحقق المعارضة في الشعر والنثر على السواء، وبما أنها في الشعر قد تتم حتى مع اختلاف الوزن والقافية كما سلفت الإشارة، كما يلوح الموضوع في عينية ابن سينا من الصعوبة بحيث لا يستطيع الشعراء أن يتابعوا الشاعر الأول فيه، ذلك أن الشاعر الأول شاعر فيلسوف، والموضوع فلسفي عميق، دقيق غاية الدقة، لأنه يتعلق بموضوع شائك هو علاقة النفس بالبدن، ومن ثم "يبدو الشاعر في ذلك تابعاً للفيلسوف في طبيعة تصويره وإن اختلف معه في طبيعة تصويره، لأنه إنما يستمد منه مادة لتصويره وطرح رؤيته ... على نحو ما يعكسه موقفه من القضايا الكونية أو الميتافيزيقية أو القيمية التي يشغل بها عالم الفلسفة، ويعد اقتحام الشعراء إياها ضرباً من المغامرة التي لا يُطمأن إلى نتائجها إلا من حيث الوعي الواضح لما يصوره الشاعر أو يقرره ... لأنه هنا يعارض فيه الفيلسوف أكثر من معارضته له كشاعر، فلا بد أن يشغل عقلياً بما شغل به حتى يستطيع أن يطوع التجربة لاستيعاب فكرته بين ما أخذه منه وما أضافه

إلى مادته<sup>(١)</sup>، شريطة أن تتم هذه الفرضية مع الحفاظ على أسس الشعر التي لا يكون شعراً بدونها، بحيث لا يطغى الفكر على الشعر فيفقد جوهرة بما هو عاطفة وانفعال.

ومسألة تصور ابن سينا لأصل النفس من أين جاءت وعلاقتها بالبدن ومصيرها بعد مفارقتها مسألة فلسفية غامضة، ولكن الشاعر الفيلسوف استطاع أن يعالجها معالجة شعرية جيدة في قصيدته العينية، وذلك يضيف إلى قيمتها الأدبية قيمةً فكرية، تطلعك على فكر الرجل وفلسفته ورأيه في الحياة والموت، حيث رأى ابن سينا أن النفس قد جاءت من محل أرفع أي من فوق وأنت رغماً عنها وهي كارهة لذلك، ثم اتصلت بالبدن وهي كارهة له، لكنها بعد ذلك ألقت وجودها به، والسبب في ذلك أنها نسيت عهدها السابقة.

ونتيجة لدقة الموضوع وعمقه ابتعد شعراء المعارضة عن حرفة الموضوع قليلاً أو كثيراً، فأخذوا في تصوير أثر الحب والبين وما يحدثاه من شوق ولوعة، عن طريق تشبيه المحبوبة بالنفس في إلفها للجسد وإلفه لها، وتصوير البكاء على الطلل كأنه المرحلة التي هبطت فيها النفس إلى الدنيا مصطدمة بالواقع المرير، ومن ثم كانت صورة الهيام بالحب وتصوير الشوق واللوعة من أثر البين. هي المحور الذي دارت حوله معظم الاستلهامات الشعرية الجيدة لهذه القصيدة.

---

(١) المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع، د. عبدالله التطاوي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، ص ٢٩٧.

فَعْفِيفُ الدِّينِ التَّلْمَسَانِي يَمْزِجُ الهِيَامَ بِالمَحْبُوبِ بِهِيَامِ الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ  
بِعَشْقِ نَفْسِهَا، تَعْبِيرًا عَنِ مَذْهَبِهِ فِي وَحْدَةِ الوجودِ، فَقَدْ أَحْبَبَتِ الذَّاتُ نَفْسِهَا  
فِي نَفْسِهَا، وَأَحْبَبَتِ نَفْسِهَا فِي مَرَائِي خَلْقِهَا، وَمِنْ ثَمَّ بَدَتِ مَحَبَّةَ الخَلْقِ  
مُظْهِرًا مِنْ مَظَاهِرِ مَحَبَّتِهَا لِنَفْسِهَا، حَيْثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ: (١)

مَا لِلْمَلِيحَةِ غَيْرَهَا مِنْ عَاشِقٍ      فَهِيَ المَصُونَةُ فِي الجَمِيِّ المَتَمَنِّعِ  
وَلَقَدْ بَدَتْ فَرَّاتٌ بَدِيعِ جَمَالِهَا      كَلُّ العُيُونِ وَحُجْبُهَا لَمْ تُرْفَعِ  
لَكِنْ وَعَى مِنْ لَا يَعِي عَنْ غَيْرِهَا      وَأَنَا الَّذِي هُوَ عَنْ سِوَاهَا لَا يَعِي

وهي قصيدة جيدة في معالجة موضوعها، ناهيك عن اعتماد الشاعر فيها  
على بعض المبالغات المقبولة التي تبدو في قوله: (أفديهِ أدنى لِلْحَشَا مِنْ  
أضلعي)، التي تجعل المحبوب أقرب إلى محبوبه من الأمعاء إلى الضلوع  
الملتصقة بها، وقوله:

وَحَدَّثْتُ مَعْنَى الحُسْنِ فِيهِ وَلَا أَرَى      ثَنَوِيَّةً فَالْقَوْلُ أَشْهَدُهُ مَعِي

الذي يدل على انفراد المحبوب بالحسن بشهادة الشاعر ونفسه، وهما  
شاهدان كما هو مقرر في الشرع.

---

(١) ينظر: مقدمة الإشارات والتنبيهات ج ١ / ١٠١، والشاعر هو سليمان بن علي بن عبدالله بن  
علي الكومي التلمساني (عفيف الدين) ٦١٠ . ٦٩٠ هـ (من قبيلة كومة) تنقل في بلاد الروم،  
يتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله. واتهمه فريق برقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية،  
وشعره مجموع في (ديوان، خ) وابنه الشاب الظريف أشعر منه، مات في دمشق. وفي شذرات  
الذهب نعتة بأحد زنادقة الصوفية، وصنف كتباً كثيرة، منها (شرح الفصوص) لابن عربي، وكتاب  
في (العروض، خ) وغيره، ينظر شذرات الذهب ٥ / ٤١٢.

وأما معارضة الشوكاني فيبدو فيها إجحاح الشاعر على التركيز على معاناة العاشق ومكابدته في عشقه، فهو يخاطب نفسه المتطلعة إلى رؤية الحبيبة، فهي نافرة منه هائمة على وجهها في طلبها، على النحو الذي يبدو في قوله: (١)

لم تَدْرِ مِمَّا هَاجَهَا مَا هَاجَهَا      فَتَعَسَّفْتُ أَتْبَاجَ ظَهْرِ الْبُلُغِ (٢)  
هَجَرْتُ مَعَاهِدَهَا وَلَمْ تَظْفُرْ بِمَا      طَلَبْتُ وَقَدْ نَكَّرْتُ طَرِيقَ الْمَرْجِعِ  
ذَهَلْتُ فَلَا الْمُنْشَاءَ تَأْلُفُهُ وَلَا      حَظِيَّتْ لَدَى لَيْلَى بِكَشْفِ الْبُرُوعِ  
يَا مَنْ تَقَطَّعَ فِي الْغَرَامِ فُؤَادُهُ      وَعَدَا الْغَرِيقَ بِفَيْضِ نَبْجِ الْأَدْمَعِ  
كَيْفَ السُّلُوِّ عَنِ الْمَلِيحَةِ بَعْدَمَا      هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ

أما المهجريون فقد تحرروا كثيراً من قيود المعارضة، وحاولوا الموازنة بين التعامل مع القضية الفلسفية والمحافظة على أسس الشعر وجماليات القصيدة، فقد شغلت النفس الإنسانية قسطاً هائلاً من شعر المهجريين، وكأن الغربة قد تركت لهم مساحة هائلة للتأمل في حقيقة هذه النفس، لدرجة جعلت بعضهم يرى في الموت خلاصاً من الخوض في التفكير وحل المشكلات التي تواجهه،

(١) ديوان الشوكاني (أسلاك الجوهر) تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر الثانية، ١٩٨٦م، ص ٢٣٠، ٢٣١. والشاعر هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، ١١٧٣، ١٢٥٠هـ/ ١٧٦٠، ١٨٣٤م، فقيه مجتهد من كبار علماء البحث من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكماً بها، له ١١٤ مؤلفاً منها (نبيل الأوطار) و (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) و (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة). ينظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أدورد فنديك، دار صادر، بيروت، ١٨٩٦م، ١/٤٩٦.

(٢) ثبج كل شيء وسطه.

كما آمن بعضهم بخاصة جبران بفكرة التناسخ، أي أن الأرواح تخرج من جسد لتحل في جسد آخر.

وقد ظهر أثر عينية ابن سينا واضحاً في شعر المهجريين في قصيدتين إحداهما لنسيب عريضة، وهي معارضة غير صريحة، والأخرى لإيليا أبي ماضي.

أما إيليا أبو ماضي فقد استطاع "أن يثبت لنا أن الثورة على الشكل وحده ليست ثورة حقيقية، وأن العيب ليس في طبيعة القصيدة العربية، بل في نوع الانفعال ودرجته، وقدرته على لم التجارب وجمعها جمعاً جديداً، وفي قصيدة (العنقاء) وهي قصيدة على بحر واحد فخم [وهو بحر الكامل]، برهن الشاعر على أنه قادر على إخراج أقدم النظرات إخراجاً جديداً دون أن يلجأ إلى شيء من التنويع والتلوين، فالموضوع في القصيدة قديم جداً وهو البحث عن السعادة، ولكن الشاعر وهبه من تعبيره جدة جذابة، وصور قلقه وسعيه تصويراً دقيقاً متدرجاً نامياً متحركاً"<sup>(١)</sup>، حيث أدار الشاعر قصيدته في قالب قصصي جيد، حيث بدأها بإبداء هيامه بالمحبوبة، والسؤال عن كنهها:<sup>(٢)</sup>

---

(١) الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٩٨٢، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: ديوان أبي ماضي، دار العودة، ١٩٩٦، ص ٤٩٢ . ٤٩٤. والشاعر هو إيليا بن ظاهر أبي ماضي (١٣٠٦، ١٣٧٧هـ = ١٨٨٩، ١٩٥٧م) من كبار شعراء المهجر. ومن أعضاء (الرابطة القلمية) فيه. ولد في قرية (المحيدثة) ببلنان. وسكن الإسكندرية (سنة ١٩٠٠م) يبيع السجائر. وأولع بالأدب والشعر حفظاً ومطالعة ونظماً. وهاجر إلى أميركا (١٩١١)، فاستقر في (سنسنتي) خمسة أعوام. وانتقل إلى نيويورك (١٩١٦)، فعمل في جريدة (مرآة الغرب)، ثم أصدر جريدة (السمير) أسبوعية (سنة ١٩٢٩) فيومية في بروكلن إلى أن توفي بها. نضج شعره في كبره، وغنّي ببعضه، وزار وطنه قبيل وفاته، ومن أهم أعماله دواوين: (تذكار الماضي)، (ديوان إيليا أبي ماضي)، (الجداول)، (الحمائل)، (تبر وتراب). الأعلام للزركلي، ٣٥ / ٢.

أنا لست بالحسناء أول مولع  
هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي  
فاقصص علي إذا عرفت حديثها  
واسكن إذا حدثت عنها واخشع  
ألمحتها في صورة؟ أشهدتها  
في حالة؟ رأيها في موضع؟  
إني لذو نفس تهيم وإنها  
لجميلة فوق الجمال الأبدع  
ويزيد في شوقي إليها أنها  
كالصوت لم يسفر ولم يتقنع

"وهو لا يمعن كثيراً في تقمص الروح المسيحية والدعوة إلى المحبة كما  
أمعن جبران ونعيمة، وبهذا يظل أقرب منها إلى تمثيل الأمة العربية في روحها  
الفلسفي وفي نظراتها الاجتماعية"<sup>(١)</sup>، ومن ثم يأتيه الجواب بأن عليه أن يتورع  
ويسلك سبيل الزاهد الورع، لأن هذا هو الطريق الأمثل للوصول إليها:

قالوا: تورّع إنها محجوبة  
إلا عن المترهد المتورع  
فوأدت أفراحي وطلقت المنى  
ونسخت آيات الهوى من أضلعي  
وحطمت أقداحي ولما أرتو  
وعففت عن زادي ولما أشبع  
وحسبتي أدنو إليها مسرعا  
فوجدت أنني قد دنوت لمصرعي  
ما كان أجهل نصّحي وأضلني  
لما أطمعتهم ولم أتمنع  
ثم يفاجأ الشاعر . مع نهاية القصيدة بالنهاية المفاجئة، وهي عدم  
استطاعة الوصول إليها حيث يقول:

لما حلمت بها حلمت بزهرة  
لا تجتنى، وبنجمة لم تطلع

(١) الشعر العربي في المهجر، ص ١٥١.

ثم انتبهت فلم أجد في مخدعي إلا ضلالي والفراش ومخدعي  
وعلمت حين العلم لا يجدي أن التي ضيعتها كانت معي  
ومن الشعراء من ركز على جانب التبرج والسفور، مشاكلاً بين قضية  
النفس وقضية حجاب المرأة المسلمة في بدايات العصر الحديث، كما فعل  
الشاعر أحمد شوقي وعلي نصوص الطاهر، حيث طلب شوقي من المحبوبة  
أن تخلع القناع، ثم شاكل بينها وبين الروح المستترة، في شبه إقرار بأن  
الحبيبة هي روحه التي يشتاق إلى رؤيتها في قوله: (١)

ضمي قناعك يا سعاداً أو ارفعي هذي المحاسن ما خلقت لبرقع  
الضاحيات الضاحكات ودونها ستر الجلال وبعد شأو المطلع  
يا دمية لا يستزاد جمالها زديده حسن المحسن المتبرع  
ماذا على سلطانه من وقفة للضارعين وعطفة للخشع  
بل ما يضريك لو سمحت بجلوة؟ إن العروس كثيرة المتطاع  
ليس الحجاب لمن يعز مناله إن الحجاب للهين لم يمنع

(١) ينظر: الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقي، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م،  
الشوقيات ٢ / ٦٠ . ٦٣، والشاعر هو أحمد شوقي ١٨٦٨، ١٩٣٢م، أشهر شعراء العصر  
الأخير، يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، نشأ في ظل البيت المالک بمصر، وتعلم  
في بعض المدارس الحكومية، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله  
الخدوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق في مونبلييه، واطلع على الأدب  
الفرنسي وعاد سنة ١٨٩١م، فعين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي،  
ونذب سنة ١٨٩٦م، لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بحينيف، عالج أكثر  
فنون الشعر: مديحاً وغزلاً ورتاءً ووصفاً.

كما أن التصريح بالمعارضة من شوقي نابع من عجزه وعدم إلمامه بالموضوع، أو خوفه من الوقوع دون قصيدة ابن سينا، أو إجلاله قامة الرئيس ابن سينا، وقدرته على تناول الموضوع وإدراك أبعاده، ومن ثم سار في ركبته، وأعمل آتته الشعرية في التلويح بالموضوع، ومحاولة تديبجه في إطار شعري، حيث يقول شوقي:

نظر الرئيسُ إلى كمالك نظرة      لم تَحُلْ من بَصَرِ اللبيبِ الأروع  
 فرآه منزلة تَعَرَّضَ دُونَهَا      قَصُرَ الحياةِ وحال وشك المصرع  
 لولا كمالكُ في الرئيسِ ومثله      لم تُحْسِنِ الدُّنيا ولم تترعَّع  
 الله ثَبَّتَ أرضَهُ بدعائمٍ      هم حائِطُ الدنيا وركن المجمع  
 لو أنَّ كُلَّ أخِي يَراعٍ بالغٍ      شَأوَ الرئيسِ وكلِّ صاحب مبضع

أما الدكتور محمد رجب البيومي فكانت قصيدته أقرب إلى طبيعة المعارضة، حيث "عرج بنا إلى السماوات العلى فرأينا ما رأينا من عالم الروح الشفاف، الذي استطاع أن ينفذ إليه بقوة الشاعرية الموهوبة له، وجعلنا نطوف به ونحلق ونسبح، دون أن نتكلف عناء الرحلة ووعثاء الطريق، ذلك كله قبل أن تهبط الروح، أما ابن سينا فقد أهبط الروح إلينا دون أن يثير فينا تطلعا إلى موضوعه، واستقبالا لضيغه الزائر، وتلك لفتة ذكية لا يسلك سبيلها إلا الشعراء الأفاضل الموهوبون، ... من ناحية أخرى فإن الدكتور محمد رجب البيومي قد تحدد بإطار موضوع ابن سينا، فانطبقت عليه كل

## كل شروط المعارضة<sup>(١)</sup>.

طف بالسماء محلقا وتسمع      فالروح تهتف بالمحل الأرفع  
ورقاء تبعث لحنها فتخالها      سلبت شعورك بالرحيم المبدع  
دعها تخض لجاج الأثير فدوحها      بسط الظلال على الجهات  
طوت الفضاء فما تغادر موضعا      إلا لتطلق صوتها في موضع  
هب النسيم مؤرجاً فتطوعت      معه فيا للصاحب المتطوع  
سجعت على الفنن الرطيب ولو      ماذا يخبئ دهرها لم تسجع  
عما قريب سوف تفقد عرشها      وتنوح في القفص الرهيب المفزع  
ومن الشعراء من تعامل مع القضية (قضية النفس) معاملة فلسفية صرفة،  
حيث أخذ يعالج في القصيدة قصة بدء الخلق، كما فعل رفيع الدين

---

(١) من حديث المعارضات ص ١٠٥. وينظر: ديوان صدى الأيام د. محمد رجب البيومي، مطبعة السعادة، الثانية، ١٩٨٢، ص ١٥٠. ١٥٢، والشاعر هو الدكتور محمد رجب البيومي، رئيس تحرير مجلة الأزهر السابق، وأحد عمداء كلية اللغة العربية بالمنصورة، والأستاذ المتفرغ بقسم الآداب والنقد بجامعة الأزهر. ولد عام ١٩٢٣ في الكفر الجديد التابعة لمدينة المنزلة بمحافظة الدقهلية بمصر. نال عالمية الأزهر ١٩٤٩، ودبلوم معهد التربية ١٩٥٠، والماجستير ١٩٦٥، والدكتوراه في الأدب والنقد ١٩٦٧ توفي يوم السبت ٢ ربيع الأول ١٤٣٢هـ الموافق ٥ فبراير ٢٠١١م، نال جائزة شوقي بالمجلس الأعلى للفنون والآداب بمصر، سنة ١٩٦١م، نال جائزة مجمع اللغة العربية الأولى، سنة ١٩٦٢م. ١٩٦٣م، ١٩٦٤م، ١٩٦٥م، ١٩٧٢م، له ديوان صدى الأيام. مطبعة السعادة، وديوان حنين الليالي. مطبعة السعادة، وديوان حصاد الدمع. دار الأصالة، بالرياض، وديوان من نبع القرآن. دار الأصالة، بالرياض. كما كتب في مجلات أدبية منها: الرسالة، الثقافة، الكتاب، الهلال، الأديب، الفيصل، الأزهر، المجلة العربية، الأقلام، منار الإسلام، الحج، الضياء، المنهل، رابطة العالم الإسلامي، علامات الأدب الإسلامي... وغيرها

الدهلوي، حيث يبدو منذ بداية القصيدة أن الهدف من إنشائها هو الرد على ابن سينا، على ما يبدو من قول الآلوسي: "وقد رد عليه العارف العلامة الشيخ رفيع الدين بن مسند الوقت أحمد ولي الله الدهلوي -رحمهما الله تعالى- في قصيدة بديعة وهي هذه: {الكامل} <sup>(١)</sup>

عجباً لشيخ فيلسوف ألمعي      خفيت بعينه منارة مشرع  
هلا تفتن أن بعث النفس في الأ      بدان ينشأ من مواطن شفيع  
منها مواطن عاممات الحكم أو      مختصة مترتبات الموقع  
ولكلها حكم وغايات بها      تستوجب التخصيص في المتفرغ <sup>(٢)</sup>  
ومن ثم تركز التعليق في القصيدة على إخراج أجوبة الشاعر على ابن سينا، على ما يبدو من قول الآلوسي أيضاً: "تضمنت هذه القصيدة الجواب عن السؤال المذكور بسبعة أوجه: الوجه الأول: بالنظر إلى فيض القضاء. والسابع: بالنظر إلى فيض القدر. والرابع: بالنظر إلى صفات التشريع

---

(١) تنظر القصيدة في: جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، خير الدين نعمان بن محمود أفندي الآلوسي، الكتبة العصرية، بيروت، الأولى ٢٠٠٦م، ص ١٥٩. ١٦٣. والشاعر هو الشيخ رفيع الدين عبدالوهاب بن ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي المحدث المتكلم الأصولي الحجة، ولد بمدينة دهلي، ونشأ بها واشتغل بالعلم على صنوه عبدالعزيز وقرأ عليه ولازمه مدة، وبرع في العلم، وأفتى ودرس وله نحو العشرين، وصنف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة أخيه المذكور، وقام مقامه في التدريس بعد ما أصيبت عيناه، فازدحم عليه الناس، وتلقى كل أحد من تلك اللطائف على قدر الاستعداد، واعترف بفضل علماء الآفاق وسارت بمصنفاته الرفاق. وله قصيدة بليغة تدل على علو كعبه في العلوم الفلسفية واقتداره على العربية، عارض بها قصيدة ابن سينا، توفي رحمه الله في حياة صنوه الكبير عبدالعزيز لست ليال خلون من شوال سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف بمدينة دهلي. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٧/ ٩٧٤. ٩٧٦.

(٢) جلاء العينين، ص ١٥٩.

والكلام، والخامس: بالنظر إلى صفات التدبير وحسن الانتظام، والثالث: بالنظر إلى النشأة الدنيا، والثاني: بالنظر إلى اقتضاء النشأة العقبى، والسادس: بالنظر إلى طبائع النفوس أنفسها. وبعض هذه الوجوه السبعة يشتمل على وجوه عدة جزئية في ضمنها، فهذا تفصيل لقوله (مواطن شفع)<sup>(١)</sup>. ولكن القصيدة لا تخلو من أثر لابن سينا في صور الرجل، على النحو الذي يبدو من قوله:

فهبوطها في الجسم سنخ كمالها ولو أنه كالبارق المتلمع

وأما عادل الغضبان، فقد مهد لقصيدته بقوله: "... غير أننا لم نجر فيها على مذهبه. يعني ابن سينا. في النفس، بل ذهبنا إلى أن الله سبحانه وتعالى . وهو مثال الكمال . قد خلق الإنسان كاملاً، ويتجلى كمال الإنسان في اتحاد النفس والجسد، وهما اللذان خلقهما الله، أما قصة النفس الآثمة فلا يخفى أنها من معتقدات الهند القديمة، وأحر بها أن تكون رمزاً إلى قصة أبينا آدم في عصيانه وطرده من الفردوس"<sup>(٢)</sup>.

ويبدو هذا التركيز في قول الشاعر:<sup>(٣)</sup>

أسطورة النفس الأثيمة قصة نبتت على دمن الزمان المهجع  
أيام يرتع بالجهالة أهله ويدين بالأوثان كل سميذع

(١) جلاء العينين، ص ١٦١.

(٢) مقدمة الإشارات والتنبيهات، ج ١ / ١٠٣، نقلاً عن مجلة الكتاب عدد إبريل، ١٩٥٢م.

(٣) ينظر: مقدمة الإشارات والتنبيهات، ج ١ / ١٠٧، والشاعر هو عادل الغضبان، كاتب ضليع وشاعر ممتاز، عرف بشاعر الشباب، وناقد حصيف وقاص لامع، حلبي الأصل والنشأة، مصري الدار والإقامة، ولد بمدينة مرسين في تركيا حيث كان والده ضابطاً، هاجر مع عائلته إلى مصر، وتلقى الدروس الثانوية في معهد الياسوعيين في القاهرة، ثم درس في هذا المعهد نفسه اللغة العربية. تولى رئاسة مجلة (الكتاب) التي صدرت عن دار المعارف في القاهرة أواخر عام ١٩٤٥م إلى ١٩٥١، له ديوان شعر يسمى (قيثارة العمر) لم يطبع بعد، ينظر: مصادر الدراسة الأدبية، ص ١١٩٣، ١١٩٤.

وحى بها بُودا فسارت في القرى      وسرت بأجنحة الرِّيح الأربع  
وروت لها أن النفوسَ ظغائنٌ      تبكي على وطنٍ أعزَّ مُضيع  
تنفكُّ عن جسم وتلبسُ غيرَه      حتى تعود إلى حماها الأُمنع  
تلك الرّوايةُ رمزُ قصة آدم      في فنّها، وختامها، والمطلّع  
النفسُ في البدنِ المرقّقِ بالسّنا      كالشمسِ في الكونِ البديع الأسنع  
كلُّ بصاحبه ييتُّ وقيده      ويحقُّه بضيائه المتفرِّع

فقد خرج الشاعر من موضوع القصيدة الأساس كما هي عند ابن سينا .  
إلى موضوعات متعددة، إضافة إلى موضوع النفس حقيقتها ومردّها، فكانت  
قضية النفس بين الفلاسفة والدين هي الأساس في قصيدته، كما "أن الوحدة  
الفنية في عمومها غير محققة في النص، إذ أمكن لنا أن نستسيغ التقديم  
والتأخير بين بعض أبياتها دون أن ينهدم بناؤها، حتى لو استشفعنا بالوحدة  
النفسية والشعورية ... كما أن التجربة الشعرية لم تدفع الشاعر إلى التأمل  
والاستبطان والتريث، حتى تعمل بها المشاعر والأحاسيس، لأن التأمل حتى  
الاحتمار غالباً ما يوحد بين الأفكار، ولكننا رأينا في القصيدة أمشاجاً من  
الأغراض"<sup>(١)</sup> على النحو الذي بيديه لنا الفاصل بين البيتين الأخيرين في النص  
السابق وباقي الأبيات.

وأما الدكتور عبدالكريم اليافي، فقد قال جملة من الأبيات على سبيل  
الاستدراك على من عارض العينية، كما يحدث في التأليف العلمي، الأمر

(١) من حديث المعارضات، ص ١١٩.

الذي يؤكد قوله قبل الأبيات: "وختمنا المقال بأن سؤال ابن سينا شعر، ولا بد لنا من أن يكون جوابنا الختامي شعراً لزيادة الإيضاح في موقفنا ولإسباغ التناسب"، ومن ثم يبدو تركيزه على عدم شغل النفس بالتركيز في أصلها وكنهها، والتركيز على شغلها بالعمل الصالح، كما يبدو من قوله: (١)

مهما بلوت النفس بالتحليل لم تحصل على حلٍّ أكيد مقنع  
سر من الأسرار أعياف فهمه من شئت من طب ومن متنوع  
قل للرئيس مقالة من واثق بجوابه من علمه المتنوع  
... فاصرف جهودك للعلا متحفزاً يكفيك نبل القصد والمتطلع

وأما معارضة داود بن عمر أنطاكي فتبدو بمثابة التعليق الشعري أو الاعتراض على بعض الأمور التي وردت في قصيدة ابن سينا، الأمر الذي يوضحه قول المحبي: "وشرح قصيدة النفس المشهورة للشيخ الرئيس ابن سينا- وهو شرح فصل فيه حقيقة النفس وجوهرها النفيس- يرضي السائل وإن كان هو الشيخ الرئيس، وله قطعة منظومة في هذا المعنى تشعر باعتراضه فيها

---

(١) ينظر: القصيدة العينية في النفس ومعارضاتها، د. عبدالكريم اليافي، ص ١٨٧، والشاعر هو الدكتور عبدالكريم اليافي، ولد في مدينة حمص في سورية عام ١٩١٩. بدأ دراسة الطب في الجامعة السورية عام ١٩٣٦. أوفد بعدها للدراسة في جامعة السوربون في باريس حيث حصل على إجازة في العلوم الطبيعية عام ١٩٤٠. ومن ثم حصل على إجازة في الآداب عام ١٩٤١ وشهادة في علم النفس عام ١٩٤٢. في عام ١٩٤٣، نال إجازة في الفلسفة ومن ثم دكتوراه في الفلسفة عام ١٩٤٥. عاد إلى سورية في عام ١٩٤٥، وعين أستاذاً مساعداً في علم الاجتماع في عام ١٩٤٧. نال مرتبة أستاذ ذي كرسي في علم الاجتماع في الجامعة السورية عام ١٩٦١. له مؤلفات عدة أهمها: بدائع الحكمة، المجتمع العربي، تقدم العلم، جدلية أبي تمام، معالم فكرية في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، توفي في ١٢ / ١٠ / ٢٠٠٨ م.

على الشيخ<sup>(١)</sup>، ومن ثم نلاحظ أن هجوم الشاعر كان مركزاً على مناقشة القضية من جانب عقلائي بحت، بعيد عن جوهر الشعر، وخيال الشعر حيث يقول: (٢)

من بحر أنوار اليقين بحسنها      فلوصل أو فصل تنوب كما ادعى  
أو للكمال فهيكل لا ترضى      للمطلق الثاني يصح لأربع  
هبه يصح فقدره من أوج ما      قدست يكمل بالحضيض البلقع  
تالله ما هبطت ولكن أهبطت      فبقسر أو بالاختيار لمن يعي  
وعليهما تتبدد الأحيان أو      تفنى فتدخل في المحل المفقع

وأما معارضة محمد جواد البلاغي فالموضوع فيها جيد ومحكم، وقد هجم فيه الشاعر على موضوع النفس مباشرة، فبين مدى سعادتها حين يقال ارجعي، ثم ذكر المحاذير التي كانت مكلفة بتجنبها في قوله: (٣)

اللّه سواها وألهمها فهل      تنحو السبيل إلى المحل الأرفع  
نعمت بنعماء الوجود ونوديت      هذا هداك وما تشائي فاصنعي

(١) خلاصة الأثر، ٢ / ١٤٣.

(٢) ينظر: خلاصة الأثر، ١ / ٤٠٧، والبدر الطالع، ١ / ٢٤٦.

(٣) الرّدُّ على الوهابية . محمد جواد البلاغي . تحقيق: السيد محمد علي الحكيم . مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ص ٢٢، والشاعر هو محمد جواد البلاغي، عالم جليل، وأحد كبار رجال الفكر في النجف الأشرف، فقيه ومفسر مشهور ومجتهد محدد و كاتب وشاعر مجيد. ولد في النجف، وتلقى فيه علومه اللسانية والدينية على مهرة الأستاذة في عصره، وبعد نضجه العلمي اشتغل بالتدريس في الجامعة النجفية، له معارضة مشهورة لقصيدة النفس لابن سينا، وله منظوم كثير ذهب في أوراق ذهبته خلال أسفاره وتنقلاته، ينظر: مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، مكتبة لبنان ناشرون، الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٦٧٢، ٦٧٣، أعلام الأدب في العراق الحديث، مير بصري، دار الحكمة، الأولى، ١٩٩٤م، ١ / ٣٠٧.

ودعي الهوى المردي لثلا تهبطي في الخسر ذات توجع وتفجع  
إن شئت فارتفعي لأرفع ذروة وحذار من درك الحضيض الأوضع  
كما أن ختام القصيدة بالإشارة إلى النص القرآني عن حقيقة الروح في  
قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ  
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، هذا الختام جعل نهاية القصيدة نهاية طبيعية مقبولة،  
وقريبة من نفوس المستمعين، كما يبدو في قوله:

سل عن حقيقتها ومعناها الذي قد زفها محجوبة لك أودع  
كم قائل فيها يقول وسائل وجوابه في (يسألونك) إن يع  
وأما حسين بن علي بن حبشي العبيدي الأعظمي، فقد طبعت له رسالة  
بعنوان (مع ابن سينا)، وهي قصيدة عصماء فلسفية مع شرحها، وقد ألقاها  
في المهرجان الألفي الذي عقد باهتمام الجامعة العربية، وقد اختاره العراق  
ليمثله في هذا المهرجان، وفيها يخاطب روح ابن سينا ويناشدها الهبوط  
لتشهد مهرجانه قائلاً:<sup>(٢)</sup>

هلا هبطت من المحل الأرفع روحاً لتشهد مهرجان المجمع

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٥.

(٢) ينظر: أدب الطف أو شعراء الحسين، للخطيب المرحوم السيد جواد شبر، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ج ١٠ / ١١٠، أعلام الأدب في العراق ٢ / ٤٥٠، والشاعر هو حسين بن علي بن حبشي العبيدي الأعظمي (١٣٢٥، ١٣٧٥ هـ = ١٩٠٧، ١٩٥٥م)، فقيه متأدب، من أهل الأعظمية في العراق، كان أديباً شاعراً، له مؤلفات قيمة منها: (أحكام الأوقاف)، بغداد ١٩٤٧م، (أصول الفقه)، بغداد، ١٩٤٨م، و(مع ابن سينا)، بغداد، ١٣٥٢، وديوان شعر فخم، ما يزال مخطوطاً، توفي في ٥ / ٩ / ١٩٥٥م، ودفن في مقبرة الخيزران بالأعظمية. ينظر: الأعلام للزركلي ٢ / ٢٥٠.

أما الشاعر جميل صدقي الزهاوي فقد ركز بداية على مفارقة الروح للبدن، واصفاً ضيقها بحبسها في الجسد الضيق، مؤكداً على أن رحلتها في الجسد كانت رحلة طارئة، إذ ما لبثت أن قيل لها ارجعي: (١)

طارت بعزٍّ للسماء الأرفع      ورقاء كانت فيك ذات تخضع  
قد كان مسكنها بجسمك ضيقاً      واليوم تسبح في مكان أوسع  
اللّه أرسلها إليك وبعد أن      مكثت قليلاً فيك قال لها ارجعي  
وقد ترتب على طغيان الفكر الفلسفي وقوع بعض شراح العينية في  
أخطاء معنوية، منها تفسير الشرك بالكفر، على النحو الذي يبدو في قول

---

(١) لم أعثر عليها في ديوانه، طبعة المكتبة العربية بمصر، ١٩٢٤م، والشاعر هو: جميل صدقي بن محمد فيضي بن المنلا أحمد بابان، الزهاوي (١٢٧٩، ١٣٥٤هـ = ١٨٦٣، ١٩٣٦م): شاعر، ينحو منحى الفلاسفة، من طلائع نهضة الأدب العربي في العصر الحاضر. مولده ووفاته ببغداد، كان أبوه مفتيها، وبيته بيت علم ووجاهة في العراق، كردي الأصل، أجداده البابان أمراء السليمانية (شرقي كركوك) ونسبة الزهاوي إلى (زهاو). نظم الشعر بالعربية والفارسية في حدائته، وتقلب في مناصب مختلفة فكان من أعضاء مجلس المعارف ببغداد، ثم من أعضاء محكمة الاستئناف، ثم أستاذاً للفلسفة الإسلامية في (المدرسة الملكية) بالأستانة، وأستاذاً للآداب العربية في دار الفنون بها، فأستاذاً للمجلة في مدرسة الحقوق ببغداد، فثابراً عن المنتفق في مجلس النواب العثماني، له مقالات في كبريات المجالات العربية. ومن كتبه (الكائنات، ط) في الفلسفة، و(الجاذبية وتعليلها، ط) و(المجمل مما أرى، ط) و(أشراك الداما، خ) و(الدفع العام والظواهر الطبيعية والفلكية، ط) صغير، نشر تباعاً في مجلة المقتطف، و(رباعيات الخيام، ط) ترجمها شعراً ونثراً عن الفارسية. وشعره كثير يناهز عشرة آلاف بيت، منه (ديوان الزهاوي، ط) و(الكلم المنظوم، ط) و(الشذرات، ط) و(نزغات الشيطان، ط) في كتاب (الزهاوي وديوانه المفقود) لهلال ناجي، وفيه شطحاته الشعرية، الأعلام للزركلي ١٣٧/٢، ١٣٨.

بعضهم: "قد يريد بالشرك الكفر، والكفر هو التغطية والباطل، فكنتى ابن سينا عن عالم الجسم بالشرك، لأنّه هو أيضاً باطل فهو لا شيء، وهو كفر، فهو يُعمّي النفس عن أصلها، وهذا الشرك الكثيف أي الغليظ، إذ لفّ هذه النفس الكريمة، فقد عاقها عن أن تتصل بأصلها العلويّ الذي جاءت منه، وكان لها قفصاً وسجنأ يمنعها من أن تسبح في أوج فسيح وعالم مُربّع"، بينما نرى أن الشاعر يعني به قفص الصدر الذي يشبه شرك الصياد طالما أن النفس قد شبهت بالورقاء.

ورغم إحكام قصيدة ابن سينا إلا أننا نرى أن لجوء الشاعر بعد انقضاء شحنته الأدبية، إلى السؤال عن الحكمة في هبوط النفس إلى البدن . كان محاولة منه إطالة نفسه الشعري، أو ممارسة الفلسفة ولكن بلغة شعرية، ولذلك قال:

فألي شيء أهبطت من شامخ	عال إلى قعر الحضيض الأوسع
إن كان أهبطها الإله لحكمة	طويت عن الفذ اللبيب الأروع
وهبوطها إن كان ضربة لازب	لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية	في العالمين فخرقتها لم يرقع

والسؤال ليس عيباً على الإطلاق، فكثير من الأدباء قد وقف أمام الأبيات وسأل نفسه أسئلة متعددة، على ما يبدو مثلاً من قول بهاء الدين العاملي الكشكول (١٠٣١، ٩٥٣هـ)، بعد أن أورد قصيدة ابن سينا أن "حاصل الأبيات الستة (فأليّ شيء... فكأنها برق)، أنها لأي شيء تعلقت

(النفس) بالبدن؟ إن كان لأمر غير تحقيق الكمال فهي حكمة خفية على الأذهان، وإن كان لتحصيل الكمال فلم ينقطع تعلقها به قبل حصول الكمال؟ فإن أكثر النفوس تفارق أبدانها من دون تحصيل الكمال، ولا تتعلق ببدن آخر لبطلان التناسخ"<sup>(١)</sup>.

ولعل الطول أو الحرص عليه هنا كان سبباً من أسباب هبوط المستوى في القصائد المشار إليها، عكس ما كانت عليه الحال من إحكام في قصيدة ابن سينا، وذلك. فيما أرى. راجع إلى أن الشعر الفلسفي يجيده الشاعر في المقطعات والقصائد القصار، لأن التجربة فيها لا تتعدى الخاطرة السريعة، والتجربة ذاتها هي التي تختار بناءها قصيدة أو مقطعة، فهناك نوعيات معينة من القول لا تستطيع القصيدة أن توفيقها حقها من الإجادة كما يتضح هذا من قول ابن خلدون: "ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبوات قليل الإجادة في الغالب ولا يحذق فيه إلا الفحول، وفي القليل على العشر، لأن معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك"<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً. التصوير الفني:

لا تعد معارضة العمل الجيد. في حد ذاتها. عملاً جيداً يضاف إلى مسيرة الفن، أو يسهم في وضع القصيدة المعارضة في مكانة سامية، لأن الحكم الفصل في ذلك ينبغي أن ينبثق من احتواء القصيدة المعارضة على

(١) الكشكول، ص ٢٠٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ص ٤٢٣.

خصوصيات معرفية أو بيئية أو نفسية تضمن لها حسن التفرد، حتى وإن التقت القصيدتان في الوزن والقافية والموضوع، ومن ثم كان علينا أن نقرر ما قرره الدكتور إبراهيم عوضين من "أن حكماً على شاعر بأنه عارض آخر يكون حكماً ناقصاً يحتاج منا إلى تحديد مساره في المعارضة، وما إذا كان أصيلاً ذا شخصية في معارضته، أو كان متفانياً في الاحتذاء فاقد الشخصية معدوم الوجود"<sup>(١)</sup>، وذلك لا يتم . في نظري . إلا إذا احتكنا إلى الصورة الفنية في المعارضة، من حيث التقليد والتجديد، أو الجودة والرداءة، أو غير ذلك.

وبالنظر في تصوير الروح عند شعراء المعارضة الصريحة تبين لنا انقسام الشعراء في تصويرها إلى فريقين:

الفريق الأول يتصورها كالحمامة كما تصورها ابن سينا، ومن هؤلاء جميل الزهاوي وعلي نصوح الطاهر وعادل الغضبان والدكتور محمد رجب البيومي، وإذا كان ابن سينا موفقاً غاية التوفيق في اختيار رمزه الشعري للنفس بالورقاء من الطير كما أشرت عند تحليل القصيدة، فإن السؤال هنا هو: هل استطاع المعارضون مجارة ابن سينا في تصويره؟ أم أن هناك تقدماً أو ارتداداً قد حدث في التصوير تبعاً لطبيعة المحاذاة أو الرغبة في التجديد؟

---

(١) المعارضة في الأدب العربي، د. إبراهيم عوضين، ص ٦٥.

أما جميل صدقي الزهاوي فيلاحظ تركيزه على الصورة المشرقة، وهي صورة المغادرة، التي انتقلت بها الوراق إلى آفاق واسعة، بعدما سكنت هذا الجسد الضيق:

طارت بعزٌّ للسماء الأرفع      ووراق كانت فيك ذات تخضع  
قد كان مسكنها بجسمك      واليوم تسبح في مكان أوسع  
اللّه أرسلها إليك وبعد أن      مكثت قليلاً فيك قال لها ارجعي

في حين كان التركيز في قصيدة ابن سينا قائماً على لحظة الهبوط التي تعكس حزن النفس حين أريد لها سكنى الجسد الضيق.

أما الشاعر علي نصوح الطاهر، فقد ركز في تصويره على لحظة تفكر الفلاسفة في كنه الروح، حيث شبهها بالطيف في روحها وجيئتها:<sup>(١)</sup>

ورقاءً يا طيف الفلاسف رجّعي      نغمًا يُردّد لحنه في مسمعي

---

(١) والشاعر هو علي نصوح الطاهر، (١٩٠٦، ١٩٨٢م)، ولد في مدينة يافا (فلسطين)، وتوفي في القاهرة، عاش حياته في فلسطين ومصر، التحق بمدرسة الاقتصاد السياسي بباريس، وعمل أستاذًا للغة الإنجليزية في المدرسة الصلاحية بمدينة نابلس عام ١٩٢٤، وفي عام ١٩٣٢، عُيّن مساعدًا لكبير مفتشي البستنة وكبيرًا للمفتشين العرب عام ١٩٤٣، فمديرًا عامًا للزراعة والبيطرة والمعادن في الأردن، فوكيلًا لوزارة الزراعة بين عامي (١٩٥١، ١٩٦٠)، كما عُيّن وزيرًا للزراعة والإنشاء والتعمير عام ١٩٦٠، كان عضوًا في مجلس الأعيان الأردني، له عدد من المؤلفات منها: بحث فلسفي عنوانه (الروح الخالدة)، ١٩٦٠، إلى جانب عدد من المؤلفات التي يدور معظمها حول اهتماماته بعلمي النبات والحشرات). ينظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين - مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

[http://www.almoajam.org/poet\\_details.php?id=7665](http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=7665)

وتسربلي بالخير لا ثوب الهوى      بالخير قد وُسم الوجودُ فأبدعي  
فلکم أثرتِ بنا تباريحَ الجوى      وغويت عقلاً لَلَّيب الأبرع!  
أنتِ التي سَفرتَ فحيرتِ الورى      ثم انثتِ وتخمّرتِ بالبرقع  
ثم التفت إلى فكرة السفور والتقنع، فرأى من آيات ربه ما أبهره، حيث  
علاقة الظلام والفجر، والليل والضيء في علاقتهما بنشاط الفكر وحموله،  
والورد وشغف العيون برؤيته ملثماً.

حيرت أفكار الرئيس فأصبحت      نازُ العلوم تُحيطه بتشعشع  
لا تسفري يوماً برّبك بل أرى      كلّ الجمال بكنهك المتبرقع  
كم يزدهي الكونُ المبرقع في      والفجرُ يزهو بالسحاب الموشع!  
والليل أجلى للتأمل في السّها      والفكر يخمل في الضياء  
والورد تعشقه العيونُ ملثّماً      وإذا تفتّح زال سحرُ المطلع  
وهناك اضطراب في المستوى الفني للقصيدة حيث يعلو المستوى،  
ويحلق الشاعر حين لا يحصر آله الشعرية في إطار معاني العينية، فنراه يدير  
آله الشعرية في اقتناص الصور الجيدة للتخفي، تدليلاً على أن حسن النفس  
يكمن في ذلك التخفي، كما ظهر مثلاً في الصور السابقة، بينما يخبو ضوء  
آله إذا حاول العكس، كما يبدو مثلاً من التقريرية الفجة في قوله:

والعلمُ نورُ الكون في إشراقه      (والعلم يرفع كلّ من لم يرفع)  
طلب الرئيس جواب ما هو فاحصٌ      عنه وأعيتَه بحوث الأروع

أما عادل الغضبان فنتيجة لطغيان الفكر الفلسفي ركز الشاعر على إبراز أساسيات الجمال عند الورقاء من خلال الصورة البصرية التي ركز فيها على تميز الورقاء بالصوت الحسن والثوب الجميل كانت، على النحو الذي يبدو في قوله:

ورقاء يا صنو الملائك رجعي      نغم الهوى، وبحمد ربك فاسجعي  
وتخايلي بالأجملين: عقيرة      تسبي، وثوبٍ بالجمال مرصع  
كما يبدو أيضاً في التذليل على واقعية الصورة الحسية في قوله:

النفسُ في البدنِ المرقَّقِ بالسَّنَا      كالشمسِ في الكونِ البديعِ الأسنع  
كلُّ بصاحبه يبتُّ وقيده      ويحفُّه بضيائه المتفرِّع  
وعمق التصوير عند الشاعر يتمثل في المقارنة التصويرية بين العرش والملائكة والريش والروح حيث يقول:

الله خصيك بالجمال مُلائئاً      في الريش منك وفي الصِّداح الأبرع  
خُلِقاً معاً، وبدا كمالك فيهما      يُزجى الدليل على كمالِ المُبدع  
سبحان من بدع السماء وشادها      ملكوتَ أبرارٍ، وجنَّةَ خُشَّع  
وأحاط قائم عرشه بملائكٍ      من قائمين على الصلاة، ورُكَّع  
نثروا على ذرَج الجنان أشعَّةً      مجلوة بسنى الإله الأسطع  
ولكن الخضوع لمغريات الصورة كان مدعاة تكلف من الشاعر، بخاصة عند قوله:

حتى إذا نفضَ اليدين، رنا إلى بشرٍ سويٍّ بالبهاءِ مُوشَّعٍ  
سطعَ الجمالُ بكلِّ جارحةٍ بهِ وَجَرَى بأجنحِ رُوحِهِ المُتَرَفِّعِ  
أما الدكتور محمد رجب البيومي فقد أفنعا بتصوير النفس بالورقاء حتى  
قبل أن يصرح بكونها ورقاء، ويبدو ذلك من إيحاء كلمة (تهتف) في قوله:

طف بالسماء محلّقاً وتسمع فالروح تهتف بالمحل الأرفع  
ورقاء تبعث لحنها فتخالها سلبت شعورك بالرخيم المبدع  
واحتذاء الشاعر لطريقة ابن سينا في معالجة موضوعه جعله يختتم  
قصيدته بتشبيه الورقاء بالبرق كما فعل ابن سينا، كما يبدو من قوله:

فكذلك الروح ارتمت من حالق حيناً وطارت مثل برق مسرع  
أما الفريق الثاني فقد تصور الروح كالمراة، ومن هؤلاء التلمساني  
والشوكاني وشوقي والبلاغي وأبو ماضي، والملاحظ أن هؤلاء قد أخذتهم  
حيرة في شأن أوصاف هذه المراة فأخذوا يتساءلون لعل أحداً يغيثهم بإجابة.  
أما الشاعر عفيف التلمساني فركز على بعض الصفات التي تتميز به هذه  
المراة، كالمليحة والمصونة، لكنه ركز على صورة بديعة، بناها على المفارقة،  
حيث تستطيع العيون أن ترى بديع جمال هذه المراة دون أن ترفع حجابها  
حيث يقول:

ما لِلْمَلِيحَةِ غَيْرَهَا مِنْ عَاشِقٍ فَهِيَ الْمَصُونَةُ فِي الْجَمِيِّ الْمَتَمِّعِ  
ولقد بدتُ فَرَأْتُ بَدِيعَ جَمَالِهَا كُلُّ الْعُيُونِ وَحُجْبُهَا لَمْ تُرْفَعِ

لَكِنَّ وَعَى مِنْ لَا يَعِي عَنْ غَيْرِهَا وَأَنَا الَّذِي هُوَ عَنْ سِوَاهَا لَا يَعِي  
وأما الشوكاني فقد وصفها بالمليحة التي وصل إليها أو وصلت إليه بعد  
لأي ومشقة، على النحو الذي يبدو من قوله:

يَا مَنْ تَقَطَّعَ فِي الْعَرَامِ فُؤَادُهُ وَعَدَا الْعَرِيقَ بِقَيْضِ نَبْجِ الْأَذْمَعِ  
كَيْفَ السَّلْوُ عَنِ الْمَلِيحَةِ بَعْدَمَا هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْزَعِ  
وقد استقى الشاعر بعض الصور الجيدة من البيئة العربية على أثر رؤية  
البرق في قوله:

يَا بَرْقُ قَدْ أَجْرَيْتَ بَحْرَ مَدَامِعِي وَشَبَّتَ نَارَ الْوَجْدِ بَيْنَ الْأَضْعِ  
وَأَطَّرْتَ بِاللَّمَعَانِ طَيْرَ نَزْوِعِهَا فَيُسِفُّ وَهُوَ أَخُو الْجَنَاحِ الْأَقْطَعِ  
وَأَثَرَتْ نَارَ الشَّقُوقِ وَهِيَ مَنَاحَةٌ فَتَحِبُّ وَهِيَ عَلَى الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ

وأما الشاعر إيليا أبو ماضي فقد ركز على وصف حاله في محاولة  
الوصول إلى كنه هذه المرأة دون جدوى، رغم يقينه من جمالها، ولكنه في  
البيت الأخير يركز هذه الحيرة في صورة جيدة تعبر عن رحلة الشاعر في  
البحث عن كنه النفس، حيث شبهها بالصوت الذي يدرك بالسمع، ومن ثم  
فإنه بالنسبة للعين مجهول الحرم، سواء سفر أم لم يسفر، حيث يقول:

أنا لست بالحسناء أول موع هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي  
فاقصص علي إذا عرفت حديثها واسكن إذا حدثت عنها واخشع

المحتها في صورة؟ أشهدتها      في حالة؟ أرايتها في موضع؟  
إني لذو نفس تهيم وإنها      لجميلة فوق الجمال الأبدع  
ويزيد في شوقي إليها أنها      كالصوت لم يسفر ولم يتقنع

أما الشاعر أحمد شوقي، فقد ركز في تصويره النفس بالمرأة على طلبه  
من هذه المرأة أن تسمح بالجلوة، وأن تتخلص من القناع، لأن القناع لا  
يكون للشيء عزيز المنال، لأنه لا فائدة من القناع حينئذ، حيث يقول:

يا دميةً لا يستزاد جمالها      زيديه حسن المحسن المتبرع  
ماذا على سلطانه من وقفة      للضارعين وعطفةٍ للخشع  
بل ما يضيرك لو سمحت بجلوة      إن العروس كثيرة المتطلع  
ليس الحجاب لمن يعز مناله      إن الحجاب لهين لم يُمنع

وقد أبدع الشاعر حين صور الجمال، وهو يتخذ مركزه في النفس  
ويشكلها بأنامله في قوله:

أنت التي اتخذ الجمال لعزه      من مظهر ولسره من موضع  
وهو الصنّاع يصوغ كل دقيقة      وأدقّ منك بنانه لم تصنع  
لمستك راحتته ومسك روحه      فأتى البديع على مثال المبدع

وأما الشاعر جواد البلاغي فيبدو تركيزه على جمال المرأة حسياً ومعنوياً على ما يبدو من قوله:

هي عادة برزت جمالا واختفت      لطفاً وزفت في الوجود ببرقع  
برزت محجبة فتاه ذوو الهوى      في كنهها وصفا وكل يدعي  
قربت وباعدت الظنون وإن تكن      ضمت مخائلها حواني الأضلع

حيث يبدو الجمال الحسي ظاهراً في قوله (عادة)، ويبدو الجمال المعنوي في وفرة الصفات المتقابلة في المرأة، والتي تكسبها مزيداً من الجمال، على النحو الذي يبدو من مقابلة (برزت واختفت، برزت محجبة، قربت وباعدت).

وأما من تعامل مع القضية معاملة فلسفية كالدهلوي واليافي فنلاحظ ندرة الصور الأدبية الجيدة في هذا الشعر، ويرجع ذلك إلى طبيعة العلاقة بين الشعر والفلسفة، ومدى استطاعة الأديب أن يوفق بينهما، لأن "الفلسفة عمل في الحقائق من خلال التجريد العقلاني المحدد، والشعر يعمل في الأشياء من خلال التجسيد الصوري المخيل، والتدخل الجبري بينهما على هذا النحو يصيب جوهر كل منهما بعطب صميمي"<sup>(١)</sup>.

ولكم كان النقد العربي القديم دقيقاً حقاً حين نص على أن الشعر يظل شعراً مهما حمل في إهابه من حكمة أو فلسفة، طالما أنه أصاب المعنى بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، فيقول الآمدي: "قالوا: وإذا

(١) أصول الأنواع الأدبية: د. محمد أحمد العزب، دار والي الإسلامية، ١٩٩٦م، ص ٧٣، ٧٤.

كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لها، حتى يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة الهند أو أدب الفرس، ويكون ما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج مضطرب، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليم النظر، قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيماً، أو سميناً فيلسوفاً، ولكن لا نسميك شاعراً، ولا ندعوك بليغاً، لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم"<sup>(١)</sup>.

فالآمدي قد حسم القضية - فيما أرى - حين نص على اشتراط ألا يكون هذا الفكر في صورة ألفاظ متعسفة ونسج مضطرب؛ لأن انسجام الفكر والشعر معاً مما لا تقوم به مثل تلك الألفاظ المتعسفة وذلك النسج المضطرب، ومن ثم فلا تعارض بين الشعر والفلسفة أو التأمل، بشرط ألا يطغى الفكر والتأمل إلى الحد الذي تستلب معه ماهية الشعر الجمالية.

### ثالثاً. الموسيقى الشعرية:

يأتي اختيار ابن سينا للشكل الشعري الذي يأتي على (تام الكامل صحيح العروض والضرب) اختياراً موقفاً حتى ولو لم يكن للشاعر دخل فيه، وقد التزم جل المعارضين بتوفير التفعيلة المضمرة والتصريع<sup>(٢)</sup> في قصائدهم،

---

(١) الموازنة: الآمدي، ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) التصريع هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته، أو هو: إجراء العروض على حكم الضرب بمخالفتها لما تستحقه بزيادة أو نقص. والبيت المقفى: ما وافقت عروضه ضربه وزناً وتقفية، من غير تغيير لها عمّا تستحقه من أجل إلحاقها بالضرب،

كما كان متوفراً في عينية ابن سينا، حيث تحقق التصريح في مطلع قصيدة الشاعر عفيف الدين التلمساني حيث يقول:

يا طيب ما أهدى نسيماً الأجرع عنهم فأشكرني وأطرب مسمعي  
وقصيدة الشيخ رفيع الدين الدهلوي حيث يقول:

عجباً لشيخ فيلسوف ألمعي خفيت بعينه منارة مشرع  
وقصيدة الشاعر احمد شوقي حيث يقول:

ضمي قناعك يا سعاداً أو ارفعي هذي المحاسن ما خلقن لبرقع  
وقصيدة الشاعر محمد جواد البلاغي حيث يقول:

نعمت بأن جاءت بخلق ثم السعادة أن يقول لها ارجعي  
وقصيدة الشاعر حسين بن علي بن حبشي العبيدي الأعظمي حيث يقول:

هلا هبطت من المحل روحاً لتشهد مهرجان المجمع  
وقصيدة الشاعر جميل صدقي الزهاوي حيث يقول:

طارت بعزّ للسماء الأرفع وراقاً كانت فيك ذات تخضُّع  
وقصيدة الشاعر إيليا أبو ماضي حيث يقول:

---

ينظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل الدكتور محمود مصطفى (المتوفى: ١٣٦٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ص ٨٤، ٨٧، والعمدة ١/ ١٧٣.

أنا لست بالحسنة أول مولع هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي  
وقصيدة الشاعر علي نصوص الطاهر حيث يقول:

ورقاء يا طيف الفلاسف رجعي نغمًا يُرَدَّدُ لحنه في مسمعي  
وقصيدة الشاعر عادل الغضبان حيث يقول:

ورقاء يا صنو الملائك، رجعي نغم الهوى وبحمد ربك فاسجعي  
وقصيدة الشاعر الدكتور محمد رجب البيومي حيث يقول:

طف بالسماء محلقا وتسمع فالروح تهتف بالمحل الأرفع  
ولم يشذ عن التصريح سوى قصائد داود أنطاكي والشوكاني واليافي،  
حيث تبدأ قصيدة الشاعر داود بن عمر البصير أنطاكي بقوله:

من بحر أنوار اليقين بحسنها فلوصل أو فصل تنوب كما ادعى  
و تبدأ قصيدة الشوكاني بقوله:

هَوَتْ الْعَقِيْقَ وَمَا هَوَتْ فَكَأَنَّهَا وَقَفَّتْ وَمَا وَقَفَّتْ بِغَيْرِ الْأَجْرَعِ  
وتبدأ قصيدة الشاعر الدكتور عبدالكريم اليافي بقوله:

مهما بلوت النفس بالتحليل لم تحصل على حلٍّ أكيد مقنع  
ويرجع ذلك إلى كون قصيدة الأول عبارة عن اعتراض يناقش القضية من  
جانب عقلائي، ومن ثم لم تكن المعارضة كاملة، بينما يرجع ذلك إلى بعد  
قصيدة الثاني إلى مدى بعيد عن المعالجة التقليدية، حيث أثر الشاعر

الهجوم على موضوعه المشوق دون ممهّد موسيقي، ويرجع ذلك بالنسبة لقصيدته الثالث إلى أن الشاعر كان مهموماً بجزئية واحدة يريد إيضاحها، وهي الإجابة عن جزئية أبهماها ابن سينا، وليس مهموماً بالمعارضة الكلية، حتى مع موافقة القصيدتين لقصيدته ابن سينا في الوزن والقافية.

وقد ظهرت بعض الاضطرابات الموسيقية في هذا اللون من القصائد كقول الشاعر علي نصح الطاهر:

إنا نقدّم للرئيس جوابَ ما أسدّ      تعصّى عليه في الزّمان الأضيق  
حيث أتت تفعيلة الكامل (متفاعِلن) على (متفعلن) بدخول الوقص<sup>(١)</sup>  
وهو ما عاد على التفعيلة بالثقل الذي ترتب عليه إشباع الهاء في (عليه).

ثانياً. المعارضات غير الصريحة لعينية ابن سينا

سبقت الإشارة إلى أن لجوء الشاعر إلى نص تراثي كان يرجع . فيما يرجع إليه . إلى دوافع عدة ، يأتي الإعجاب على رأسها، سواء أسر ذلك الشاعر أم جهر به، إذ غالباً ما يكون الشاعر في المعارضة مدفوعاً بموسيقى القصيدة أو طرافة فكرتها أو الأمرين معاً، لأن القول باشتراط اجتماع الشكل والموضوع في القصيدة المعارضة يهدر كثيراً من القصائد التي تنطق بمحاكاة القصيدة الأساس دون أن تلتزم الشكل أو ترتبط بالموضوع.

---

(١) الوقص: حذف الثاني المتحرك ينظر: أهدي سبيل إلى علمي الخليل، ص ٢٠.

والسؤال هو: هل أضافت الحرية في معارضات العينية مساحة من الحرية للشاعر في معالجة تجربته؟، وهل فاق شعراء هذا اللون نظراءهم من الذين عارضوا العينية معارضة صريحة؟

يبدو أن علينا أن نقف أولاً على المحاور التي ارتضيها لدراسة المعارضة، إذ من خلالها نستطيع أن نجيب بالإيجاب أو النفي، في ظل معايير فنية خضع لها شعراء اللون الأول، على النحو الذي يعكسه البيان الآتي:

## ١ . الموضوع:

أما بالنسبة للموضوع، فنرى أن كثيراً من شعراء المعارضة في هذا القسم قد ابتعدوا عن جوهر الموضوع قليلاً أو كثيراً إلى موضوعات أخرى، نتيجة لدقة موضوع العينية وعمقه، كتصوير أثر الحب والبين وما يحدثاه من شوق ولوعة، عن طريق تشبيه المحبوبة بالنفس في إلفها للجسد وإلفه لها، وتصوير البكاء على الظلل وكأنه المرحلة التي هبطت فيها النفس إلى الدنيا مصطدماً بالواقع المرير، ومن ثم كانت صورة الهيام بالحب وتصوير الشوق واللوعة من أثر البين . هي المحور الذي دارت حوله معظم الاستلهامات الشعرية الجيدة لهذه القصيدة، اللهم إلا ما كان من الشعارين نسيب عريضة وفريد عقيل، أما نسيب عريضة فقد استخدم في قصيدته كثيراً من الألفاظ والمعاني التي وردت

في العينية، مما يؤكد أنه استقى مادته الفلسفية من عينية ابن سينا، على النحو الذي يبدو في قوله: (١)

يا نفسُ إن حُمَّ القَضا      ورَجَعَتِ أنتِ إلى السما  
وعلى قميصك من دِما      قلبي فماذا تصنعين  
ضحَّيتِ قلبي للوُصول      وهرعت تبغين المثلول  
فإذا دُعيتِ إلى الدُحول      فبأيِّ عين تَدْخُلين

وفي القصيدة تبكيت للنفس على مغادرة الجسد بعد إلفه، (٢) كل ذلك يوضح أن النفس عند الشاعر هي النفس السيناوية "التي هبطت من المحل

---

(١) الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، دار الغزو. الأردن، الثانية، ١٩٢٢م، ص ٥٨. ٥٩. والشاعر هو: نسيب عريضة، ١٣٠٤، ١٣٦٥هـ/ ١٨٨٧، ١٩٤٦ م شاعر أديب، من مؤسسي (الرابطة القلمية) في المهجر الأميركي. ولد في حمص وتعلم بها، ثم بالمدرسة الروسية بالناصرية، وهاجر إلى نيويورك (سنة ١٩٠٥)، فأنشأ مجلة (الفنون) سنة ١٩١٣ وأغلقها ثم أعادها، وأضاع في سبيلها ما يملك. وعمل في التجارة، ثم تولى تحرير (مرآة الغرب) الجريدة اليومية، فجريدة (الهدى)، وتوفي في مدينة بروكلن. له (الأرواح الحائرة) ديوان شعره، (أسرار البلاط الروسي) قصة مترجمة، و(ديك الجن الحمصي) قصة نشرها في (مجموعة الرابطة القلمية). الأعلام للزركلي ١٧/٨.

(٢) للشاعر قصيدة أخرى تتكرر فيها المعاني نفسها، حيث يقول في قصيدة (يا نفس تبكي):  
يا نفس قد حان الغروب      والقلب ضل على الدروب  
أبكيَت شوقاً كي يثوب      هيهات يرجع ذو قروح  
.... يا نفس أسقمت البدن      شوقاً فهل لك من وطن  
صبراً سيقنذك الكفن      والجسم أولى أن ينوح

ينظر: الشعر العربي في المهجر، ص ٦٧.

الأرفع بعد تدلل وتمنع، ثم دخلت الجسد وهو سجنها الطيني، ولذلك تعيش في حالة صراع مع الجسد، لأن الحنين يزعجها ويدفعها للعودة إلى مصدرها، وحول هذه الأفكار في النفس دارت قصيدة نسيب (يا نفس)، وهي من أوضح قصائده وأشدها صلة بجوهر الفكرة المتضمنة في قصيدة ابن سينا، ولكن الناحية الشعرية غلبت على الفلسفة فيها، وجاءت ألفاظها كألفاظ المتصوفة:

أصعدت في ركب (التُّزوع) حتى وصلت إلى (الرُّبوع)  
فأتاك أمراً (بالرُّجوع) أعلى (هُبوطك) تأسفين  
فالتُّزوع والرُّجوع والرُّبوع من ألفاظ المتصوفة، والهبوط من ألفاظ ابن سينا، ويتساءل نسيب - وفي هذا التساؤل سر شاعرية القصيدة - عن هذا العراك والنزوع، ويحاول أن يتلمس له الأسباب الممكنة المعقولة، وهذا التجاهل أضفى على قصيدته جواً شعرياً من الحيرة ما كان ليتوفر لها لو أنه سرد الحقائق عن النفس كما فعل ابن سينا، وزاد في جمال الجو فيها أن الشاعر على الرغم من معرفته الدقيقة لما تريده النفس، ظل يبدي عطفاً على جسمه وقلبه، ولم يسمح لنفسه مرة واحدة أن يشعرنا بأنه يحتقر الحياة في سبيل عالم مثالي تسعى إليه النفس<sup>(١)</sup>.

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٥، ٦٦، بتصرف يسير.

أما الشاعر فريد عقيل فقد أخذ يتابع ابن سينا في رحلة البحث عن حقيقة النفس في ثمانية وعشرين بيتاً، وهي الأبيات التي يمكن أن يطلق عليها معارضة حقيقية، وهذه الأبيات يستهلها بقوله: (١)

طَلَعَ ابْنُ سِينَا رُكْبُهُ وَالْيَلْمُؤُ	وَمُطَهَّمٌ يُرْجِي الصَّفُوفَ وَيَبْرِقُ
عَيْنِيَّةٌ سَجَعَتْ هُنَاكَ وَغَرَّدَتْ	وَتَوَغَّلَتْ عَبْرَ السَّمَاءِ تُحَلِّقُ
"ورقاء" بالحبلِ الوحيدِ تمسكتُ	تشدُّو، وبالنورِ البهِيِّ تعلقُ
مجهولةٌ فينا، ويسفر وجهها	محبوبةٌ عنَّا، وما تمنطقُ
أذن، وما سمعت، وعينٌ ما رأَتْ	وبصيرةٌ مكفوفةٌ تتحرِّقُ
لا يستطيعُ الحسُّ أنْ يشْتَفِّها	والعقلُ لا يقوى، ولا هوَ يصدُقُ
كانتْ تهْمٌ بسدرَةٍ، وبمنتهى	وتجدُّ في دربِ الوصولِ، وتُعرِّقُ

(١) مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ٥/٦، السنة الثانية، حزيران "يونيو" ١٩٨٢، ص ١٨٨، والشاعر كان يعمل محاضراً في جامعة دمشق، إضافة إلى عمله الأساس مستشاراً في محكمة الاستئناف، واليملق: القباء اليملق وتجمعه يلامق، كما قالت هند بن عتبة:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمَشِي عَلَى النَّمَارِقِ وَنَلْبَسُ الْيَلَامِقِ

والمطهم: قال الأصمعي: الْمُطَهَّمُ: التام كل شيء منه على حدته، فهو بارع الجمال. ووجهة مُطَهَّمٌ، أي مجتمع مدور، والبيرق: راية أو علم، والجمع بيارق ينظر: المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي. أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريدي النهرواني (المتوفى: ٣٩٠هـ، تحقيق: عبدالكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥ م، ص ٤٠، وتاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ٥/ ١٩٧٧). المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة ١/ ٥١.

لكنّها اشتاقت إلى أهل الحمى      وتوفّقت بالغيّب، ما تستغرّق

ثم يبدأ بعد ذلك في مخاطبة ابن سينا على طريقة التقرّيز قائلاً:

يا سيّدي الشيخ الرئيس وجدتها      ومضيتُ تتبعُ سرّها، وتُحقّقُ

وتجيلُ فيها الفلسفاتِ جميعها      وتجوّلُ فيما حاولوهُ، وأخفقوا

لَمَّا تخلّفتِ العلومُ ولمْ يُعدْ      يقوى على حمل السؤالِ

رؤّضته بمعارج صوفيّةٍ      ما غيرها يصلُ الحجابَ ويطرُقُ

عجز عن الإدراك؟ لا بل قدرةٌ      إدراكها متأمّلاً، مُستغرِقُ

أما الشعراء الذين ركزوا على تصوير أثر الحب والبين وما يحدثاه من شوق ولوعة، فقد اهتموا بتشبيه النفس في إلها للجسد وإلفه لها بالمحوبة، وتصوير البكاء على الطلل وكأنه المرحلة التي هبطت فيها النفس إلى الدنيا مصطدمة بالواقع المرير، وتصوير أثر البين على المحب، وما يحدثه من شوق ولوعة.

ويأتي السهوردي الحلبي على رأس شعراء هذا الاتجاه، فقد استطاع أن ينقل الحديث من النفس إلى الحديث عن الحب وتصوير أثره على المحب الذي وقف يبكي الديار حتى أخبرته في حسرة بأن سبل اللقاء أصبحت ممتنعة فيقول: (١)

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان ٧ / ٢٦٨ . ٢٧٤، وفيها أربعة أبيات فقط من القصيدة. والوافي بالوفيات، ٢ / ٢٣٦ . ٢٣٩. والشاعر هو محمد بن حبش بن أميرك شهاب الدين أبو الفتوح السهوردي الحكيم المقتول بحلب، وقيل يحيى بن حبش الحكيم، شهاب الدين السهوردي.

خَلَعَتْ هَيَاكِلَهَا بِجِرْعَاءِ الْجِمَى      وَصَبَتْ لِمَغْنَاهَا الْقَدِيمَ تَشَوُّقًا  
مَحْجُوبَةً سَفَرَتْ وَأَسْفَرَ صُبْحَهَا      وَتَجَرَّدَتْ عَمَّا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا  
وَتَلَفَّتْ نَحْوَ الدِّيَارِ فَشَاقَهَا      رَبْعَ عَقَّتْ أَطْلَالُهُ فْتَمَزَّقَا

كما أن من الشعراء من ركز على جانب التبرج والسفور، مشاكلاً بين قضية النفس وقضية حجاب المرأة المسلمة في بدايات العصر الحديث كما سلفت الإشارة في المعارضات الصريحة، على النحو الذي صنعه الشاعر أحمد تقي الدين، حين اتخذ من الوسطية في الحجاب طريقاً للحديث عن  
حبس

---

٥٤٩، ٥٨٧هـ، فلسفي ينسب إليه أشعار من ذلك ما قاله في النفس على مثال عينية ابن سينا، وكان يتهم بانحلال العقيدة فأفتى علماء حلب بإباحة قتله فقتله الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٧ وعمره ستة وثلاثون سنة، والسهورودي نسبة لسهورود بلدة قريبة من زنجان.

<http://ara.bi/poetry/133492>

النفس في صدر الإنسان حيث يقول: (١)

عفاؤك يا زهرتي سافرٌ بطيب شذاك فلا تفزعي  
فما في الحجاب حفاظٌ وإن كان أحوطاً للمقنع  
ولا في السفور بلاءُ الحياء وإن كان أهوناً للمطمع  
وما بينَ هذا وذاك يكون مجالٌ لمعتدل فاتبعي  
هلمي أبثك سرّ الحياة ألسرّ عندك من موضع  
وفيها يخاطب الشاعر نفسه قائلاً:

أقلّي من اليأس والمطمع وزيدي رجاءً ولا تجزعي  
فإن حياتك أجملُ من ضياعك هيهات من مرجع  
خلقت بصدري محبوسَةً تأبّد حبسك في أضلعي  
فمهما يكن من ليالي الحياة أهوّن سُراها وأنتِ معي

---

(١) والشاعر هو أحمد تقي الدين ١٨٨٨، ١٩٣٥م، هو أحمد بن عبدالغفار بن حسين تقي الدين. ولد في بلدة بعقلين بلبنان، وبها توفي. عاش في لبنان وبيروت، ودرس مبادئ العربية والفرنسية. زاول مهنة المحاماة، ثم عين قاضياً، فريساً لمحكمة، وظل بسلك القضاء حتى آخر حياته، وكان مرجعاً للطائفة الدرزية في قضاياها المذهبية، شاعر مطبوع. منح وسام الاستحقاق اللبناني بعد رحيله، ورفع رسمه في دار الكتب الوطنية (١٩٧٤) إحياءً لذكراه، ورصد ريع ديوانه لإنشاء نادٍ باسمه في مسقط رأسه. له، ديوان الشيخ أحمد تقي الدين: شاعر القضاة وقاضي الشعراء، صدر سنة ١٩٦٧، طبعة ثانية ١٩٨٢ عن دار الأحد للطبع والنشر، بيروت ينظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

[http://www.almoajam.org/poet\\_details.php?id=716](http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=716)

## ٢ . التصوير:

سبق أن قررنا أن الصورة يمكن أن تكون فيصلاً بين المعارضات الجيدة والمعارضات غير الجيدة، مما يمكننا من الوقوف على مدى حركية المعارضة غير الصريحة، ومدى تقدمها أو تأخرها عن المعارضة الصريحة، فإذا ما وقفنا على قصيدة السهروردي وجدنا الشاعر يرسم صورة جيدة للمحب والمحبوب تنم عن التماهي في الحب، وترمز إلى صورة النفس وعلاقتها بالبدن، حيث يقول:

وَصَبْتُ لِمَغْنَاهَا الْقَدِيمَ تَشْوَقًا	خَلَعْتُ هَيَاكِلَهَا بِجَرَعَاءِ الْجَمِي
وَتَجَرَّدَتْ عَمَّا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا	مَحْجُوبَةً سَفَرَتْ وَأَسْفَرَ صُبْحَهَا
رَبِيعَ عَقَّتْ أَطْلَالُهُ فَتَمَزَّقَا	وَتَلَقَّتْ نَحْوَ الدِّيَارِ فَشَاقَهَا
فَيَرُومُ مُرْتَبِعًا يَرُوقُ الْمُرْتَقَى	وَعَدَّتْ تَرَدُّدُ فِي الْقَضَاءِ حَبِيبَهَا
رَجَعَ الصَّدَى أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى اللَّقَا	وَقَفَّتْ تُسَائِلُهُ فَارَدَّ جَوَابَهَا
ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَا أَبْرَقَا	فَكَأَنَّمَا بَرَقُ تَأَلَّقَ بِالْحِمَى

فإذا ما وضعنا نصب أعيننا قول الصفدي في المقارنة بين قصيدة السهروردي وعينية ابن سينا: "وبينهما فرق بعيد وبون لأن أبيات الرئيس أمتن وأعذب وأفصح وأطول"<sup>(١)</sup>، أمكننا أن نقف على عمومية الأحكام النقدية في تراثنا العربي، وحاجتها الى التعليل في كثير من الأحيان، وإلا فالصورة في أبيات السهروردي صورة جيدة، ذلك أنه استطاع أن يلبس المجرّد ثوب

(١) الوافي بالوفيات، ٢ / ٢٣٧.

المحس، ثم استطاع أن ينقل علاقة تعلق النفس بالبدن لتعلق الحبيب بالحبيبة، واستطاع بمهارة أن يصف الجسد الذي فارقته النفس وهو الربع الذي عفت أطلاله، وهي صورة لا نجد مثلها في عينية ابن سينا.

أما التصوير عند نسيب فهو تصوير جيد يركز على العمق والعضوية في آن معاً، فمع كل خطاب للنفس من الشاعر يحدث التجديد الصوري الذي يؤكد الحقيقة التي يصر عليها الشاعر، فمثلاً مع أول نداء للشاعر نراه يقول:

يا نفسُ مالك والأين	تتألمين وتؤلمين
عدَّبتِ قلبي بالحينين	وكتمتيه ما تقصدين
قد نامَ أربابُ الغرام	وتدثروا لحفَ السلام
وأبيتِ يا نفسُ المنام	أفأنتِ وحدكِ تشعرين؟
الليلُ مرَّ على سواك	أفما دهاهم ما دهاك؟
فلم التمرُّدُ والعِراك	ما سُورُ جسمي بالمتين
أطلقتِ نوحَكَ للظلام	إيَّاكِ يسمَعُكِ الأنام
فِيظُنُّ زَفَرَتِكَ النَّيام	بوقِ النُّشورِ ليومِ دين

فهو يركز في الصورة السابقة على حال النفس معه في الليل، وحركتها القلقة المضطربة، ثم يصورها مع القلب بالطفل، أو بالرجل الكفيف فيقول:

والقلبُ . وا أسفي عليه	كالطُّفلِ ييسطُ لي يديه
هلا مددتِ يداً إليه	كالأمِّهاتِ إلى البنين

غذّيته مُرَّ الفِطَامِ      وحرمته ذَوْقَ العَـرَامِ  
وصنعتِ شيخاً من غُلامِ      يَحبو على بابِ السَّينِ

....

....

حتى إذا اقترب المراد      تُطلّى رؤاه بالسَّوادِ  
ويعود مكفوفاً يُقاد      برنين عُكَّازِ الحنّين  
يتلمّس النورَ البعيد      بأنامل الفكرِ الشريدِ

كل هذا يجعلنا نؤكد على أن الحرية في المعارضة قد تأتي بالحديد، طالما توفر لها خيال خصب وأدوات جيدة، وشاعر يستطيع أن يصنع من هذا وذاك شيئاً مذكوراً، فإذا وقفنا مثلاً على المقارنة بين عينية ابن سينا وقصيدة نسيب عريضة . ظهر لنا إلى أي مدى كان "شعر نسيب أفسح مجالاً وأرق شاعرية وأنضر لغة، وتصوير حيرة النفس لديه وعذابها وحنينها وأشواقها أكثر حيوية وأكثر خصوبة، لقد كان صاحب العينية فيلسوفاً يقيد أفكاره عن النفس في نسق شعري، أما نسيب فكان شاعراً يصور صراعاً حاداً يعانیه بكل ذرات كيانه، وبكل التفاتات حياته، فهنا حرارة التجربة المعاشة وثرؤها بالصور والألوان وترقرقها في مختلف القوافي"<sup>(١)</sup>.

وأما الدكتور فريد عقيل فيبدو امتلاؤه بالموضوع متمثلاً في دقة تصويره للنفس المحجوبة عنا، مستغلاً موروثنا الإسلامي في التعبير عن كنه احتجابها، مما جعلنا نتصورها وهي تشدو مستمسكة بالحبل ومتعلقة بالنور،

(١) التحديد في شعر المهجر، د. أنس داود، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ص ٢١٧.

وهي لللطافتها لا تسمعها أذن ولا تراها عين ولا تدركها بصيرة، وكأنها كانت تتطلع إلى سدرة المنتهى، حيث الوصول الذي ما بعده وصول، لكنها اشتاقت إلى الأرض لسر لا نعلمه، فهوت ثم ألقت الجسم من طول مكنتها به، وتعلقت به كما يتعلق الطفل بأمه، حيث يقول: (١)

من أبصر الورقاء تهبط من عل	والروحُ تجتاحُ الحجابَ وتخرقُ؟
نزلتُ لتنفخَ بالترابِ فيستوي	وتدبُّ بالعرض الحياءُ وتُخلقُ
وليتارة تبقى ولما تنقضني	يفد الفضاءُ بموعِدٍ ويفرقُ
لكنَّها والإلفُ ظل أليفه	والقلبُ من طول المودَّة يعشقُ
تعاذُ صحبتهُ، وتألفُ أسرهُ	وتخافُ من يوم الرحيل وتشفقُ
تهواهُ حتى تستفيقَ من الهوى	وتفكُّ من أسر الحياة وتعتقُ
فتعودُ للملكوتِ ظلاً حاوياً	هرُمتُ ملامحه وشابَ المَفرقُ
كالطفل للثدي القديم وكالرؤى	للعينِ إمَّا عاودت تترقرقُ

### ٣ . الموسيقى:

نلاحظ بداية حرص القدماء على محاذاة وزن العينية، ومحاولة الخروج على القافية مع إهمال للتصريع، على النحو الذي يبدو في قول السَّهْرَوْردي الحلبي المقتول:

خلعت هياكلها بجرعاءِ الحمى      وصبت لِمغناها القديم تشوقاً  
أما شعراء العصر الحديث فقد بدا حرصهم على التطوير في شكل  
المعارضة، متمثلاً في التحرر من الارتباط بالوزن والقافية في آن، فكان هناك

(١) مجلة التراث العربي، العددان ٦/٥، السنة الثانية، حزيران "يونيو" ١٩٨٢، ص ١٨٩، ١٩٠.

أوزان غير وزن القصيدة الأساس وهو (تام الكامل)، وقد تمثلت هذه الأوزان في: وزن المتقارب عند أحمد تقي الدين، ومجزوء الكامل عند نسيب عريضة، حيث يقول الشاعر أحمد تقي الدين:

أقلّي من اليأس والمطمع      وزيدي رجاءً ولا تجزعي  
ويقول نسيب عريضة: في شكل موشحات

يا نفسُ مالك والأنين      تتألّمين وتؤلّمين  
كما تعددت القوافي فوجدنا القاف رويّاً في قصيدة فريد عقيل حيث يقول:<sup>(١)</sup>

طلّع ابنُ سينا ركبُهُ واليلمقُ      ومُطهّمٌ يُزجي الصفوفَ ويبرقُ  
ووجدنا النون رويّاً في قصيدة نسيب عريضة حيث يقول:

يا نفسُ مالك والأنين      تتألّمين وتؤلّمين  
ومن الجدير بالذكر هنا التأكيد على حرص شعراء المهجر على التجديد في شكل القصيدة بصورة ملفتة، حيث احتذى نسيب عريضة طريقة الموشحات<sup>(٢)</sup> في قصيدته التي مطلعها:<sup>(٣)</sup>

---

(١) مجلة التراث العربي، العددان ٦/٥، السنة الثانية، حزيران "يونيو" ١٩٨٢، ص ١٨٨.  
(٢) الموشح: كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له: التام، وفي الأقل من خمسة أفعال، وخمسة أبيات، ويقال له: الأقرع. فالتام ما ابتدئ فيه بالأفعال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات. دار الطراز في عمل الموشحات، أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك الكاتب (ت ٦٠٨هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة:

١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ص ٣٢)

(٣) الأرواح الحائرة، ص ٥٨.

يا نفسُ مالكِ والأنيبِ  
عذبتِ قلبي بالحنينِ  
قد نامَ أربابُ الغرامِ  
وأبيتِ يا نفسُ المنامِ  
الليلُ مرَّ على سواكِ  
فلمِ التمرُّدُ والعِراكِ  
تتألمينِ وتؤلَمينِ  
وكتمتِه ما تقصُدينِ  
وتدثِّروا لحفَ السَّلامِ  
أفأنتِ وحدكِ تشعُرينِ؟  
أفما دهاهم ما دهاكِ؟  
ما سُورُ جسمي بالمتينِ

## الخاتمة

لقد اتضح من خلال البحث مدى زخم الشعر العربي بأثر القصيدة العينية لابن سينا، حيث بلغ عدد الشعراء المتأثرين بها أكثر من ستة وعشرين شاعراً، يتنوع تأثيرهم ما بين المعارضة أو التضمين أو التشطير أو التحميس، وقد أحيط هذا التأثير بهالة من التقديس النثري لنص ابن سينا، متمثلة في العديد من المبالغات التي تناولت عينيته، صادرة من أمثال الصلاح الصفدي وابن أبي أصيبعة وجبران وغيرهم.

وقد توصل البحث في تحقيق هذه المقولات إلى نتائج عدة يمكن إجمالها فيما يلي:

• كان اختيار ابن سينا للورقاء رمزاً للنفس اختياراً موفقاً إلى مدى بعيد، ويأتي التوفيق فيه من فهم طبيعة الرمز وشهرته بالإلف والمحبة لمكانه وأليفه، وعدم تغير هذه الطبيعة إلا بصعوبة بالغة، كما كان للاختيار الجيد والمعالجة الجيدة فكرياً وموسيقياً أثر في شهرة عينية ابن سينا وإعجاب الشعراء بها، معارضة وتشطيراً وتحميساً وتضميناً، ونظراً إلى المعاني:

• برهن التضمين والمخمسات والمشطرات والمعارضات على إعجاب الشعراء بعينية ابن سينا، حيث حاذى الشعراء المعاني التي عالجها ابن سينا في قصيدته، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما تعداه إلى تشطير بعض القصائد التي تعارض العينية، كما في تشطير جرمانوس فرحات، وكل هذا يبرهن على أن الفيلسوف الشاعر يستطيع أن يصوغ تجربته في ثوب فني

جيد، شريطة أن يمتلئ بالموضوع امتلاءً جيداً، وأن يختار للتجربة ما يناسبها من أثواب فنية.

• ليست المعارضات ترفاً فنياً أو محاولة للتقليد كما ظن بعض الدارسين، لأن الشاعر المعارض يجهد نفسه من أجل تقديم جديد يضاف إلى رصيد القصيدة الأصل، ويضع قصيدته في مصاف القصائد الجيدة، وخير دليل على ذلك لجوء الشاعر إلى المعارضات غير الصريحة كلون من محاولة إثبات الذات، مع وضع القصيدة المعارضة نصب عينيه، وقد أضافت الحرية في المعارضات غير الصريحة مساحة من الحرية، استطاعت أن تحدث تطوراً في المعاني والألفاظ والصور، على النحو الذي يبدو مثلاً في قصيدة السهروردي ونسيب عريضة.

• لم تكن المعارضات الصريحة على درجة واحدة من الجودة في معالجة الفكرة الفلسفية، حتى وإن اتفق الجميع في عامل الوزن والقافية، فقد اختلفت مشارب الشعراء منذ البداية في تصور الروح، بين من يتصورها امرأة أو يتصورها ورقاء كما تصورها ابن سينا، ومنهم من جمع بين التصويرين، ليبرهن عن حيرته في فهم كنهها، كما اختلف اتجاه الشعراء في معارضة العينية بين من يعارض إعجاباً كالدكتور محمد رجب البيومي، ومن يعارض تقريباً كفريد عقيل، ومن يعارض رداً كرفيع الدين الدهلوي، ومن يعارض علاجاً لقضية كعادل الغضبان.

• لا تعد المشطرات ولا المخمسات ولا المضمنات من صور المعارضة، وذلك نتيجة للنقل الحرفي في المخمسات والمشطرات، ووقوع الشاعر أسيراً للمعنى في البيت المنقول، لا يحيد عنه قيد أنملة، ونتيجة لضالة الأثر في التضمين، وعدم الارتباط بالموضوع الأساس.

• اختلفت الصور الفنية في المعارضة بنوعيتها، نتيجة تنوع نزوع الشاعر، فأجاد كثير من الشعراء في رسم صورة جيدة للنفس، معارضين عينية ابن سينا معارضة المباراة، ومن ثم وجدنا تفوق نسيب عريضة وفريد عقيل، في مجال التجديد التصويري وابتكار بعض الصور الجيدة المستقاة من تراثنا الإسلامي الجيد، بينما لم تكن صور الشعراء الذين تعاملوا مع القضية معاملة فلسفية على القدر المطلوب.

ببلوجرافيا أثر العينية في الشعر العربي<sup>(١)</sup>

عدددها	نوعها	مطلع القصيدة	الشاعر
٢	تضمين	بعد الحواميم التي بشائها	ابن نباتة
١	تضمين	هبطت بمغناك العلوم وإنما	ابن نباتة
١	تضمين	فالشمس لو علمت بأئك دونها	داوود الأنطاكي
٦	تضمين	يا يوسف العصر العزيز ومن	علي بن إسماعيل
١	تضمين	لو رمت من زمر الكواكب جحفلا	كاظم الأزري
١	تضمين	فاسلم ودم فخرأ لنا ما غرّدت	جرمانوس الشمالي
٤٢	تضمين	رفرفي فوق القبور وعلى الأشلاء طيري	وليد الأعظمي
١٠	تضمين	يَا مَنْ شَكَّتْ أَلْمِي مَعِي	خليل مطران
١	تخميس	يا سائلاً عن كنه ذات البرقع	منصور المصري
٢	تخميس	من بعد ما سكنت بعش أمتع	عبيدالله الميدني
٤٠	تشطير	هبطت إليك من المحلّ الأرفع	جرمانوس فرحات
١٠	تشطير	خلعت هياكلها بجرعاء الحمى	جرمانوس فرحات

(١) يخضع الترتيب في هذه الببلوجرافيا لترتيب النصوص حسب صفحات البحث.

١٩	معارضة صريحة	يا طيب ما أهدى نَسِيمُ الأجرع	عفيف الدين التلمساني
٥	معارضة صريحة	من بحر أنوار اليقين بحسنها	داود بن عمر البصير أنطاكي
١١٦	معارضة صريحة	عجباً لشيخ فيلسوف ألمعي	رفيع الدين الدهلوي
١٤	معارضة صريحة	هَوَتْ العُقَيْقَ وما هَوَتْ فَكَأَنَّهَا	الشوكاني
٤٥	معارضة صريحة	ضَمِّي قنَاعَكَ يا سَعَادُ أو ارفعي	أحمد شوقي
٢١	معارضة صريحة	نعمت بأن جاءت بخلق المبدع	محمد جواد البلاغي
١	معارضة صريحة	هلا هبطت من المحل الأرفع	حسين بن علي الأعظمي
٣	معارضة صريحة	طارت بعزّ للسماء الأرفع	جميل صدقي الزهاوي
٤١	معارضة صريحة	أنا لست بالحسناء أول مولع	إيليا أبو ماضي
٢١	معارضة صريحة	ورقاء يا طيف الفلاسف رجعي	علي نصوح الطاهر
٥٢	معارضة صريحة	ورقاء، يا صنو الملائك رجعي	عادل الغضبان
٣٨	معارضة صريحة	طف بالسماء محلّقاً وتسمع	د. محمد رجب البيومي
١٢	معارضة صريحة	مهما بلوت النفس بالتحليل لم	د. عبدالكريم اليافي
٧	معارضة غير صريحة	خلعت هياكلها بجرعاء الجمي	السهروردي

٣٣	معارضة غير صريحة	أَقْلَى من اليأس والمَطْمَعِ	أحمد تقي الدين
٦٠	معارضة غير صريحة	يا نفسُ مالك والأنين	نسيب عريضة
٣٧	معارضة غير صريحة	طَلَعَ ابنُ سينا ركبُهُ واليلمقُ	د. فريد عقيل

## فهرس المراجع

### أولاً . الكتب :

- ابن سينا ومذهبه في النفس، د. فتح الله خليف، دار الأحد البحيري، بيروت، ١٩٧٤م.
- أحوال النفس، ابن سينا، تحقيق: د. أحمد فؤاد الأهواني، دار ومكتبة بيليون، الأولى، ٢٠٠٧م، مقدمة المحقق.
- أدب الطف أو شعراء الحسين، للخطيب المرحوم السيد جواد شبر، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
- الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، الثامنة.
- الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، دار الغزوة، الأردن، الثانية، ١٩٢٢م.
- الاستهلال، ياسين النصير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، يونيه، ١٩٩٨م.
- الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، الثالثة، ١٩٨٣م.
- أصول الأنواع الأدبية، د. محمد أحمد العزب، دار والي الإسلامية، ١٩٩٦م.
- أضواء علي الأدب الحديث، د. أحمد الحوفي، دار المعارف، الأولى، ١٩٨١م.

- أعلام الأدب في العراق الحديث، مير بصري، دار الحكمة، الأولى، ١٩٩٤م.
- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الإعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبدالحى بن فخر الدين الحسنى، دار ابن حزم، الأولى، ١٩٩٩م.
- الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد شوقى، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.
- أعيان الشيعة، الإمام السيد محسن الأمين، تحقيق: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، الخامسة، ٢٠٠٠م.
- الأغاني، لأبى الفرج الأصبهاني، تحقيق: علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر، لبنان.
- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أدورد فنديك، دار صادر، بيروت، ١٨٩٦م.
- أهدي سبيل إلى علمى الخليل الدكتور محمود مصطفى (ت ١٣٦٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
- إيضاح المكنون، إسماعيل باشا البغدادى، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- البدائع والطرائف، جبران خليل جبران، المكتبة الثقافية، بيروت.
- البداية والنهاية، ابن كثير (إسماعيل بن عمر)، دار الحديث، السادسة، ٢٠٠٢م.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، الأولى، ١٩٩٠م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة الإيمان، الأولى، ١٩٩٧م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان، دار الهلال.
- تاريخ الآداب العربية، لويس شيخو، منشورات دار المشرق، الثالثة، ١٩٩١م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الأولى، ١٩٨٧م.
- تاريخ المعارضات في الشعر العربي، د. محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٩٨٣م.

- التجديد في شعر المهجر، د. أنس داود، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.
- جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين، خير الدين نعمان بن محمود أفندي الألوسى، المكتبة العصرية، بيروت، الأولى، ٢٠٠٦م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الحريرى النهروانى (ت ٣٩٠هـ)، تحقيق: عبدالكريم سامى الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- حديث الأربعاء، د. طه حسين، دار المعارف، ١٩٩٣.
- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميرى، دار الطباعة المصرية الفاخرة، ١٢٧٥هـ.
- الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفى، وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٨م.

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبى الحموي الأصل، الدمشقي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- دار الطراز في عمل الموشحات، أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك الكاتب (ت ٦٠٨هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ديوان ابن نباتة المصري، مطبعة التمدن بعابدين، الأولى، ١٩٠٥م.
- ديوان أبي ماضي، دار العودة، ١٩٩٦م.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، جمع: عبدالعزيز الكرم، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
- ديوان الخليل، خليل مطران، دار المعارف بمصر، مطبعة دار الهلال، ١٩٤٨م.
- ديوان الزهاوي، المطبعة العربية بمصر، ١٩٢٤م.
- ديوان الشوكاني (أسلاك الجواهر)، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، الثانية، ١٩٨٦م.
- ديوان جرمانوس بن فرحات مطر الماروني، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٦٦م.
- ديوان صدى الأيام، د. محمد رجب البيومي، مطبعة السعادة، الثانية، ١٩٨٢م.

- ديوان وليد الأعظمي، الأعمال الشعرية الكاملة، تقديم: المستشار عبدالله العقيل، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، أيار، ٢٠٠٤م.
- الرَّدُّ على الوهايبية، محمد جواد البلاغي، تحقيق: السيد محمد علي الحكيم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- سلافة العصر في محاسن الشعراء بمصر، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني الحسيني، الشهير بابن معصوم (ت ١١١٩هـ)، تقديم: محمد أمين الخانجي، مكتبة الخانجي، مصر، تصوير: المكتبة المرتضوية بإيران، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وأعيد طبعه: بمطابع علي بن علي، قطر (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥م.
- الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، الثالثة، ١٩٨٢م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاکر، دار الحديث، الثالثة، ٢٠٠١م.
- شعراء إسلاميون، نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، الثانية، ١٩٨٤م.

- الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا، د. أمين سليمان سيدو (كتاب الرياض ٧٠ أكتوبر ١٩٩٩م)، مؤسسة اليمامة الصحفية.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٠م.
- العمدة لابن رشيقي القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، الخامسة، ١٩٨١م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، دار الحديث.
- كتاب (الكامل) للمبرّد، طبعة مصطفى الباني الحلبي، سنة ١٣٥٥هـ.
- كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- الكشكول، محمد بهاء الدين العاملي، دار البيان، بيروت، لبنان.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، الأولى.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، [ت ٤٥٨ هـ] تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ٦ / ١٤١.

- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، بتحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، الأولى، ١٩٩٤ م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.
- مصادر الدراسة الأدبية، يوسف أسعد داغر، مكتبة لبنان ناشرون، الأولى، ٢٠٠٠ م.
- المعارضات الشعرية، د. عبدالرحمن إسماعيل السماعيل، مطبوعات النادي الأدبي الثقافي بجدة، الأولى، ١٩٩٤ م.
- المعارضة الشعرية بين التقليد والإبداع، د. عبدالله التطاوي، دار الثقافة للنشر.
- المعارضة في الشعر العربي، د. إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، الأولى، ١٩٨٠ م.
- معجم الأدباء، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- مقالات وبحوث في الأدب المعاصر، د. صابر عبدالدايم، دار المعارف، الأولى، ١٩٨٣ م.
- مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية.

- من حديث المعارضات الأدبية، د. عبدالوارث الحداد، مطبعة السعادة، الأولى، ١٩٨١م.
- الموازنة، الآمدي (الحسن بن بشر)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الرابعة.
- موسوعة عصر سلاطين المماليك، د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، الأولى، ١٩٦٥م.
- نصرة الثائر على المثل السائر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، محمد بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٩٦٧م.
- نكت الهميان في نكت العميان، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، المطبعة الجمالية بمصر، ١٩١١م.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، ١٩٩٠م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: هلموت ريتز، فرانز شتايز بفسبادن، ١٩٦٢م.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان (أحمد بن محمد)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر.

ثانياً . الدوريات:

- عينية ابن سينا، أحمد أمين، مقال بمجلة الثقافة، العدد ٦٩١، السنة ١٤ مارس ١٩٥٢م.
- عينية ابن سينا أو قصة الروح، د. زكي نجيب محمود، مجلة الرسالة، السنة الثالثة، إبريل، ١٩٣٥م، العدد ٩٣.
- القصيدة العينية في النفس ومعارضاتها، د. عبدالكريم اليافي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ٦/٥، السنة الثانية، يونيو ١٩٨٢م.

## التراجمة العرب والاصطلاح الطَّبِّي في القرن التاسع الميلاديّ

الدكتور نشأت الحمارنة

صارَ من المعروفِ - في أوساطِ تاريخِ العلمِ - منذُ أواخرِ القرنِ التاسعِ عشرِ أنَّ العربَ أحسنوا ترجمةَ الطَّبِّ اليونانيِّ، وأنَّهم أظهرُوا براعةً فائقةً في اختيارِ الاصطلاحاتِ الطَّبِّيَّةِ العربيَّةِ المناسبةِ للأصلِ الإغريقيِّ. وهذا يعني أنَّ التراجمةَ كانوا يجيدونَ إجادَةً تامَّةً اللُّغةَ التي كانوا يترجمونَ منها واللُّغةَ التي كانوا ينقلونَ إليها إضافةً إلى معرفةٍ جيدةٍ بالثقافةِ اليونانيَّةِ عموماً.

وقد كانت الترجمةُ تجري على أحدِ شكلين:

أولهما: على مرحلتين، من اليونانيَّةِ إلى السُّريانيَّةِ في المرحلةِ الأولى، ومن السُّريانيَّةِ إلى العربيَّةِ في المرحلةِ الثانية.

وثانيهما: من اللُّغةِ اليونانيَّةِ إلى اللُّغةِ العربيَّةِ مباشرةً.

عَبَّرَ عن هذه الحقيقةِ - التي تشهدُ بمقدرةِ التراجمةِ وكفاءتِهِم - اثنان من أهمِّ مؤرِّحي الطَّبِّ العربيِّ في القرنِ العشرين.

أولهما: يوليوس هيرشبرغ Hirschberg, Julius<sup>(١)</sup> في السَّنواتِ الأولى من ذلكَ القرنِ.

وثانيهما: ماكس مايرهوف Meyerhof, Max<sup>(٢)</sup> في الربعِ الثاني من القرنِ نفسه.

- أسماءُ أجزاءِ العين:

نسوق هنا أمثلةً عن إجادة الترجمة للغتين اليونانية والعربية، نختارها من ترجمة حنين بن إسحاق (ق ٩ م)<sup>(٣)</sup> لعبارات جالينوس Galenos<sup>(٤)</sup> في موضوع تشريح العين وأسماء أجزائها: طبقاتها ورطوباتها.

- حنين بن إسحاق:

١ - ((واحدة [من الرطوبات].. شبيهة بالزجاج الدائب، المُسمَّاهُ باليونانية (إيالويداس) أي: (الزجاجية)). حنين<sup>(٥)</sup>.)

٢ - ((وأخرى.. شبيهة ببياض البيض، وتسمى باليونانية (أويداس) أي: (البيضية)). حنين<sup>(٥)</sup>.)

٣ - ((وهي شبيهة بالشبكة، وتسمى باليونانية (امفيليس طرويديس خيطن) أي: (حجاب شبكي)). حنين<sup>(٥)</sup>.)

٤ - ((وهي شبيهة بالمشيمة، وتسمى باليونانية (خوريويديس خيطنون) أي: (الطبقة المشيمية)). حنين<sup>(٥)</sup>.)

٥ - ((وهي صلبة جاسية، ولذلك تسمى باليونانية (سقليروس) أي (الغشاء الصلب)). حنين<sup>(٥)</sup>.)

وهكذا يمضي حنين في سرد أسباب التسمية في اللغة اليونانية، مفسراً ذلك بالعربية، أي: مترجماً المعنى من اليونانية إلى العربية. وهذا يعني أن المترجم كان يجيد اللغة اليونانية (الإغريقية) إجادة تامة، وكذلك العربية - لغته الأم -.

ونحن نعرفُ أنَّ حنينَ بنِ إسحاقٍ ترجمَ هذه الاصطلاحاتِ اليونانيَّةَ من كتاباتِ جالينوس (ق ٢ م)، ونعرف كذلك أنَّ حنيناً ترجمَ جُلَّ أعمالِ جالينوس إلى السُّريانيَّةِ، وأنه ترجمَ بعضها إلى العربيَّةِ.

وهكذا يسمِّي حنينُ طبقاتِ العينِ الستةَ: الصُّلبةَ والمشيميةَ والشبكيَّةَ في الخلفِ، والقرنيةَ والعنبيَّةَ والعنكبوتيَّةَ في الأمامِ، ويُسَمِّي كذلكِ رطوباتِ العينِ الثلاثةَ: البيضيةَ والحليديَّةَ والزُّجاجيَّةَ. كما يُسمِّي الغشاءَ الملتحمَ الذي يضمُّ العينَ ويلتحمُ بها<sup>(٦)</sup>.

ومنذ أن نشر مايرهوف كتابَ حنين هذا (العشر مقالات في العين) اعترف مؤرِّحو الطَّبِّ بأنَّ الفضلَ في ترجمةِ هذه الاسماءِ الاصطلاحيةِ من اليونانيَّةِ إلى العربيَّةِ يعودُ إلى حنين، فهُم يعزون إليه هذا السَّبَقَ، وهذا صحيحٌ.

\* \* \*

من المعروف أنَّ يوحنا بن ماسويه<sup>(٧)</sup> كَتَبَ كتابين في علمِ العينِ: (دَعَلُ العين) و(معرفةِ مِحنةِ الكَحَّالين)، وهذان الكتابان لم يُحَقِّقا بعد وإن كان پروفِر. C. Prüfer<sup>(٨)</sup> ومايرهوف قد وصَفَا كتابَ (دَعَلُ العين) وعَرَضَا محتواه<sup>(٩)</sup>.

في نطاقِ دراستنا لأطبَّاء القرنِ التاسعِ الميلاديِّ حاولنا تحقيقَ المادَّةِ العلميَّةِ غيرِ المكتملة<sup>(١٠)</sup> التي وصلت إلى عصرنا والتي تنسبها المصادرُ العربيَّةُ إلى ابنِ ماسويه، فلَقَّت نظرنا أنَّ ما وصلنا من هذين الكتابين يكفي للقول أنَّ ابنَ ماسويه حاول تفسيرَ أسماءِ أجزاءِ العينِ هذه في اللُّغةِ اليونانيَّةِ

وكتب التفسير بالعربية، تماماً كما فعل حنين، وهذه حقيقة لا يعرفها مؤرّحو الطبّ العربيّ ونسوق هنا الدليل على ما نقول وسوف نراعي الاختصار.

– ابن ماسويه:

– من (محنة الكحالين):

((.. .) فإن قال قائل: فلم سميت الطبقات... قرنيّة وبيضيّة وعينيّة وزجاجيّة وجليديّة وشبكيّة؟

قيل له: إنّما اشتقت أسماء هذه الطبقات.. من خلقتها وجوهرها، وأنها تُشبه ما سميت به.))

((.. .) فأما الزجاجيّة فهي رطوبة زجاجيّة لأنّها تشبه الزجاج المُذاب في صفائه ورقته وقبوله للأنوار.))

((.. .) وكذلك البيضيّة فإنّها أشبه ما خلق بماء البيض الذي قد خرج عن رقة الماء وعن لطافة الهواء فصارت كذلك، تشبه ماء البيض.))<sup>(١١)</sup>.

((.. .) وأما الشبكيّة فلأنّ فيها عُروقاً رفاقاً محيطّة بها من كلّ ناحية بسدى ولحمة.))<sup>(١٢)</sup>

– من (دغل العين):

((.. .) الرطوبة التي تشبه الزجاج المُذاب، وهي التي سمّاها اليونانيون (إيالويداس)، تفسيرها: الشبيه بالزجاج.))

((.. رطوبةٌ أخرى رفيقةٌ تشبهُ بياضَ البيضِ تُسمَّى باليونانيَّةِ (أويداس)،

تفسيرها: الشَّبِيهَةُ ببياضِ البيضِ.))

\* \* \*

هذه أمثلةٌ كافيةٌ للدلالةِ على أنَّ ابنَ ماسويه كان يَعْرِفُ ما يَعْرِفُهُ حنين،  
وقد قام بمحاولةٍ شبيهةٍ بما فعله حنينٌ لتفسيرِ الاسمِ اليونانيِّ للأطباءِ  
والدَّارسين العرب.

وربَّما عَرَفَ ابنُ ماسويه هذه الحقائق عن طريق حنين الذي كان يجيد  
اليونانيَّةَ، ونحن نَعْرِفُ أنَّ ابنَ ماسويه كان يطلب من حنين أن يُتَرْجِمَ له  
الكتبَ اليونانيَّةَ إلى اللُّغةِ السُّريانيَّةِ.

– أسماء الأمراض:

وكما فهمَ الأطباءُ العربُ – بخاصَّةِ التراجمَةِ منهم – معاني أسماءِ أجزاء  
العين فقد فهموا معاني أسماءِ الأمراض.

وهذه أمثلةٌ ممَّا كتبه حنين بن إسحاق:

(سباسموس)<sup>(١٣)</sup> اليونانيَّةُ تعني (التَّشْنُج) بالعربيَّةِ.

(بارالوسيس)<sup>(١٤)</sup> اليونانيَّةُ معناها (الاسترخاء) بالعربيَّةِ.

(ألكوس)<sup>(١٥)</sup> اليونانيَّةُ تعني بالعربيَّةِ (القَرْح) [أَيَّ التَّقْرُح]... الخ.

وهكذا تمكَّن التراجمَةُ العربُ من وضعِ اصطلاحٍ عربيٍّ يقابلُ الاصطلاحَ  
اليونانيَّ في حقلِ الطَّبِّ.

وهذه الكلمات العربيّة كلماتٌ أصيلةٌ في اللّغة منذ أقدم العصور، وقد أعطاهما التراجمة والأطباءُ معنىً اصطلاحياً محدّداً. ففي عصر الترجمة إذن عرفت اللّغة العربيّة ما يُسمّى (الاصطلاح الفنيّ)<sup>(١٦)</sup>، وما ذكرناه هنا دليلٌ واضحٌ على ذلك.

فالكلمة العربيّة يمكن أن يكون لها دلالةٌ واضحةٌ منذ القدم يفهمها عامّة الناس، ويمكن أن يصير لها دلالةٌ جديدةٌ في أحد الحقول وهذه الدلالة الجديدة لا يفهمها إلاّ أصحابُ الاختصاص في هذا الحقل<sup>(١٧)</sup> أو على الأقل لا يهتمُّ بها إلاّ هؤلاء.

ونوردُ هنا أمثلةً من الاصطلاحات التي وضعت في حقل (طبّ العيون): فالرّمَد هو المقابل العربيّ لاصطلاح (أوفتالميا Ophthalmia)<sup>(١٨)</sup> اليونانيّ.

والطرّفة هي مقابل (هيبوسفاغما Hyposphagma)<sup>(١٩)</sup>.

والشّترّة مقابل (لاغوفتالموس Lagophthalmos)<sup>(٢٠)</sup>.

والانتفاخ مقابل (انفوسيميا Emphysema)<sup>(٢١)</sup>.

والبثرة مقابل (فلوقتاينا Phlyktaina)<sup>(٢٢)</sup>.

كُلُّ هذه الكلمات العربيّة - بطبيعة الحال - معروفةٌ في اللّغة العربيّة منذ أقدم العصور، وتحمل - فيما تحمّل من معانٍ<sup>(٢٣)</sup> - معنىً طبّيّاً هو الذي استخدمه التراجمة وجعلوه اصطلاحاً.

فإذا عدنا إلى معجمٍ عربيٍّ ظهر قبل عصر الترجمة فإننا نجد هذه الكلمات فيه، وهي تحمل المعنى نفسه الذي صار يحمله الاصطلاح ويدلُّ عليه. فالكلمة منذ القديم تحمل الدلالة نفسها التي يحملها الاصطلاح الحديث.

وعامةُ الناسِ \_ وليس الأطباء \_ يعرفون منذ أقدم عهود اللُّغة العربيَّة ماذا تعني كلمة الرَّمَد أو الطَّرْفَة أو الشَّترة. .. الخ.

والمعجمُ الذي استعملناه هنا هو المعجمُ الأهمُّ في هذا المجال، لأنَّه ظهرَ قبلَ عصر الترجمة، نعني به معجمَ (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي<sup>(٢٤)</sup>، وقد ظهر في القرن الثامن الميلاديّ (الثاني الهجريّ).

وفي معجم (مقاييس اللُّغة) الذي كتبه ابنُ فارس<sup>(٢٥)</sup>، نجدُ جميعَ الدَّلالات التي يحملها الجذرُ الثلاثيُّ للكلمة.

\* \* \*

لكنَّ التراجمة والأطباءَ لم يجدوا - في اللُّغة العربيَّة - دائماً المعنى الذي يبحثون عنه، وهو المعنى الصريح الذي يمكن أن يكونَ في دلالتهِ مقابلاً للمعنى الذي يحمله الاصطلاحُ الإغريقيُّ، فعلى سبيل المثال: الوَرَم الذي يكونُ في (طَرْفِ)<sup>(٢٦)</sup> الجفنِ والذي يكون (مستطيلاً)<sup>(٢٦)</sup> في شكله شبَّههُ الإغريقُ (بحبَّة الشعير)<sup>(٢٦)</sup>، والذي سمَّوه (قريثي)<sup>(٢٧)</sup>، أيّ (الشَّعيرة) أو (حبَّة الشعير)، ولا يوجد في اللُّغة العربيَّة اسمٌ يدلُّ على مثل هذا الوَرَم، لذلك أطلقَ التراجمة على هذا المرض اسمَ (الشَّعيرة) تشبُّهاً بالإغريق<sup>(٢٨)</sup> وكلمة (الشَّعيرة) في اللُّغة العربيَّة ليس لها دَلالةٌ مخصَّصةٌ يمكن أن تشيرَ إلى أحد الأمراض، لكنَّها صارت كذلك بعد أن جعل الأطباء منها اصطلاحاً.

فالشَّعِيرَةُ في معجم (العين) وفي معجم (مقاييس اللُّغة)<sup>(٢٩)</sup> ليست مرضاً، لكنَّها في كتب الأَطْبَاءِ صارت اسماً لمرضٍ معين، وكذلك في (المعجمات الطَّبَّيَّة). الشَّعِيرَةُ في (العين) عند الخليل هي (حَبَّةُ الشَّعِيرِ)، وهي كذلك عند ابن فارس في (مقاييس اللُّغة)، وصار لها دلالةٌ جديدةٌ نجدها في المعجمات الحديثة، وقد نقلها أصحابُ هذه المعجمات عن كُتُبِ الأَطْبَاءِ.

\* \* \*

يكتبُ القَمَرِيُّ<sup>(٣٠)</sup> في معجمه (التَّنْوِيرُ في الاصطلاحات الطَّبَّيَّة): ((الشَّعِيرَةُ: وَرْمٌ مستطيلٌ في الجفنِ يشبهُ الشَّعِيرَةَ.))، وهذا المعجمُ هو أقدمُ المعجمات الطَّبَّيَّةِ التي كتبها العربُ<sup>(٣١)</sup>.

والخوارزميُّ<sup>(٣٢)</sup> في (مفاتيح العلوم) يقول: ((الشَّعِيرَةُ في الجفنِ وَرْمٌ مستطيلٌ.)) و(مفاتيح العلوم) - كما هو معلومٌ - معجمٌ من أقدمِ المعجمات التي تُعنى باصطلاحات العلوم، وفي جملتها الاصطلاحات الطَّبَّيَّة.

\* \* \*

فالشَّعِيرَةُ هنا (اصطلاحٌ مولَّدٌ) أصلُهُ كلمةٌ قديمةٌ في اللُّغة تطوَّرت معناها (تطوُّراً دلاليًّا)، أيَّ أنَّه (استُخدِمَ استخداماً مجازياً)، وهذا (الانتقالُ المجازيُّ) علاقتهُ (المُشَابَهَةُ)<sup>(٣٣)</sup> بين شكلِ الوَرْمِ وشكلِ حَبَّةِ الشَّعِيرِ.

وكما استوحى العربُ من المعنى الإغريقيِّ للكلمة اصطلاحاً عربياً هو هنا (الشَّعْبِرَة) فقد استوحوا اصطلاحاتٍ كثيرةً أخرى، نعطي هنا مثلاً آخر عليها، وهو كلمة (البَرْدَة).

تعرفُ اللُّغةُ العربيَّةُ منذ القديم كلمة (البَرْد) (وحبَّة البَرْد)، لكنَّ كلمة (البَرْدَة) غير موجودةٍ في العربيَّة، ولذلك فقد استحدثها الأطباءُ أو التراجمَةُ لحاجتهم أن يضعوا اصطلاحاً طبَّياً، ذلك أنَّ الإغريقَ شَبَّهوا أحد الأورام التي تصيبُ سُمْكَ الجفنِ بحبَّة البَرْد، ووَجَّهَ الشَّبَّهَ عندهم هنا هو (الاستدارة) و(الصَّلابة) وبوَحِّيٍّ من الإغريق جعلَ العربُ من كلمة (البَرْد) أو (البَرْدَة) اصطلاحاً يَدُلُّ على هذا المرض الذي وصفه الإغريق. وسبب اختيار هذه الكلمة هو (المشابهة). لقد فعل العرب ما كان الإغريق قد فعلوه قديماً لكنَّهم هنا استخدموا مرَّةً كلمةً معروفةً هي (البَرْد) بينما استحدثوا إلى جانب ذلك كلمةً جديدةً هي (البَرْدَة)، وقد لجؤوا هنا إلى أحد أسلوبيين: الأوَّل هو اختيار كلمةٍ معروفةٍ في اللُّغة وشائعةٍ الاستعمال<sup>(٣٤)</sup> (البَرْد). والأسلوب الثاني: هو استحداثُ كلمةٍ جديدةٍ لها أصلٌ في اللُّغة (البَرْدَة).

في هذين المثالين جاء اختيارُ اللَّفظة العربيَّة بسبب علاقة (المُشابهة)، لكنَّ (المُشابهة) بين الكلمة التي اختارها الأطباءُ أو التراجمَةُ وبين اسم المرض لا تكون دائماً من وحي (شكل المرض) بل تكون أحياناً من وحي أحد الأعراض الرَّئيسة التي يتظاهر المرض بها، فالسَّعْفَة<sup>(٣٥)</sup> مرضٌ جلديٌّ معروفٌ عند العرب منذ القديم، ويمتاز هذا المرض بظهورِ الوسوف أو

القُشور على الجلد قبل أن يتقرَّح. وهذه القُشور أو الوسوف هي التي أوجت للأطباء العرب باختيار كلمة (السَّعْفة) لتدلَّ على مرضٍ يصيبُ حوافَّ الأجنانِ ويتظاهرُ بالوسوفِ والقُشورِ قبل أن يدخل مرحلة التَّقْرُح.

**صفات المرضِ إذن - أيّ أعراضه -** قد تكون سبباً لإعطائه اسماً فنيّاً

اصطلاحياً تماماً كما هو الأمر في شكل المرض، فمن وحي صفات هذا المرض - الذي لا علاقة له أصلاً بالجفن - والذي هو معروفٌ في اللُّغة منذ القديم اجتهد الأطباء العرب - وليس التراجمة - ووضعوا له اسماً اصطلاحياً فصار الاسم - الذي هو السَّعْفة هنا - يحمل دلالةً جديدةً تشير إلى مرضٍ يصيبُ حافةَ الجفن. يقول حنين عن هذا المرض: ((أن يُرى في أصول الأشعارِ [الأهداب] شيءٌ شبيهٌ بنُحالة الدَّقِيق. .. وربما تقرَّح...))<sup>(٣٦)</sup>.

ونؤكِّد هنا أن الذي أعطى هذا المرضَ اسمه الاصطلاحِيّ (السَّعْفة) هم الأطباء وليس التراجمة ذلك أن كتب الطَّبُّ الإغريقيَّة<sup>(٣٧)</sup> لم تصف هذا المرضَ لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ. وإنَّ أقدمَ وصفٍ مكتوبٍ لهذا المرض موجودٌ في العربيَّة، ولا يستطيع أحدٌ حتى الآن الجزمُ بأنَّ العرب كانوا أوَّل من وصفه، ذلك أن كثيراً من الأمراض التي ذكرها العرب كانوا قد أخذوا اسمها أو وصفها من السُّريانيَّة مشافهةً أو من كتبٍ طبَّيَّةٍ سُريانيَّةٍ ضاعت منذ القديم ولم تصل إلى عصرنا، ومن هنا فإنَّ مؤرِّخي طبِّ العيون المعاصرين لا يعرفونها.

وفي العربيَّة ظلَّت المعجمات اللُّغويَّة<sup>(٣٨)</sup> - وكذلك المعجمات

الطَّبَّيَّة<sup>(٣٩)</sup> - تُعرِّفُ المرضَ بوصفه من أمراض الجلد (الرَّأس أو الوجه) بينما

تواضع أطباءُ العيون العرب على استعمال هذا الاصطلاح بوصفه اسماً لمرضٍ يصيبُ حافةَ الجفن، فهو اصطلاحٌ خاصٌّ بهم.

\* \* \*

وكما استفاد الأطباء العرب من هذا الاصطلاح (السَّعْفَة) الذي يحمل في اللُّغة دلالةً لها علاقةٌ بمرضٍ آخر لا علاقة له بالجفن استفادوا أيضاً من أسماء أمراضٍ أخرى. وفي مثل هذه الحالات صار للاصطلاح دالتان، أوَّلهما الدلالة القديمة التي تشير إلى المرض المعروف الذي لا علاقة له بطبِّ العين، وثانيهما الدلالة الجديدة التي تقع في حقلِ أمراض العين الذي نحن بصدده. ونسوق هنا مثالين على ذلك:

١ - السُّلاق: مرضٌ من أمراض اللِّسان.

الخليل (العين): ((والسُّلاقُ بَثْرٌ يخرجُ على اللِّسان)).

ابن دُرَيْد (الجمهرة)، وابن فارس (مقاييس اللُّغة): ((فَيَتَقَشَّرُ منه

اللسان)).

وقد استفاد الأطباء العرب من هذا الاصطلاح فجعلوا له دلالةً جديدةً في حقلِ أمراض العين.

ولعلَّ ماسرجويه البصري<sup>(٤١)</sup> هو صاحبُ الفضلِ في استحداث هذا

المعنى الجديد للكلمة، فقد عاش ماسرجويه في أواخر القرن السابع الميلاديّ أو أوائل القرن الثامن أو عاش في هذين القرنين.

يقول ماسرجويه: ((إذا كان ذهاب الأشعار مع غَلْظِ الأَجْفَانِ وَحُمْرَةِ  
وَحِكَّةِ فَذَلِكَ سُلَاقٌ))<sup>(٤١)</sup>.

ويقول صاحب (الدَّخِيرَةِ)<sup>(٤٢)</sup>: ((السُّلَاقُ: غِلْظُ الأَجْفَانِ، وَحُمْرَةٌ وَانْتِشَارُ  
الأَشْفَارِ)).

وقد تعايش هذان الاصطلاحان في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بعد ذلك، وأورد  
أصحابُ المعجماتِ تعريفين مختلفين للكلمة من حقلين مختلفين، بوصف  
هذه الكلمة من الاصطلاحات التي يمكنُ أَنْ يَكُونَ لها أَكْثَرُ من دَلَالَةٍ،  
وذلك حسب الحقل العلمي الذي تستعمل فيه.

ويقول القوصوني (ق ١٧ م) في معجمه (قاموس الأطباء وناموس  
الألباء):

((السُّلَاقُ، كَعْرَابٍ، قَالَ الشَّيْخُ<sup>(٤٣)</sup>: (هُوَ غِلْظُ فِي الأَجْفَانِ عَن مَادَّةِ  
عَلِيظَةٍ رَدِيئَةٍ. .. تَحْمُرُّ لَهُ الأَجْفَانُ وَتَنْتَثِرُ الهُدْبُ، وَيؤدِّي إِلَى تَقْرِيحِ أَشْفَارِ  
الجفن. ..)).

ويقول القوصوني أيضاً: ((قال أئمة اللُّغَةِ. .. السُّلَاقُ. .. بُنُورٌ تَخْرُجُ فِي  
اللِّسَانِ. .. فَيَنْتَشِرُ مِنْهَا. ..))، ((وقال الأطباء: السُّلَاقُ بُنُورٌ صِغَارٌ تَتَوَلَّدُ فِي  
الفم. ..))<sup>(٤٤)</sup>.

٢ - الجَرَبُ: وهو اسمٌ عَرَبِيٌّ قَدِيمٌ لِمَرَضٍ يَصِيبُ الجِلْدَ يَتَصَفُّ  
بِالحِكَّةِ الشَّدِيدَةِ وَيَشَاهِدُ فِي الإنسانِ كَمَا يَشَاهِدُ عِنْدَ الإِبِلِ.

الخليل: ((الْجَرْبُ: معروفٌ، وجَرْبُ البعيرِ يجربُ جرباً، فهو جَرْبٌ وأجربُ)).

وقد أوحى العَرَضُ الرَّئِيسُ في هذا المرض وهو (الجِحَّةُ الشَّدِيدَةُ) باستعمال هذا الاصطلاح في حقل طِبِّ العيون فنقله الأَطْبَاءُ من الدَّلالة العامَّة إلى الدَّلالة الخاصَّة، وقالوا (جَرْبُ العين) وصارَ اسماً لمرضٍ يصيبُ الجفنَ ويتصف بشِدَّةِ الجِحَّةِ.

ولَعَلَّ أَوَّلَ من استعملَ كلمة الجَرْبِ جاعلاً منها اصطلاحاً فنيّاً في حقل طِبِّ العيون هو ماسرجويه البَصْرِيّ (ق ٧ م)، ولم يصل إلى عصرنا ممَّا قاله ماسرجويه في هذا المرض إلاَّ عبارةً قصيرةً لا تسمح لنا بمعرفة ما إذا كان ماسرجويه قد وصف هذا المرضَ أو عرَّفَهُ، ذلك أنَّ أعمالَ ماسرجويه ضاعت ولا نعرفُ منها إلاَّ الاقتباسات<sup>(٤٥)</sup> التي حفظها الرازي في (الحاوي).

ولَعَلَّ أقدمَ تعريفٍ للجَرْبِ بوصفه مرضاً من أمراض الجفن هو ما كتبه يوحنا بن ماسويه في كتابه (دَغَلُ العين): ((وإذا رأيتَ العينَ تدمعُ، حمراءَ، فاقلبها، فإن رأيتَ في الجفنِ حبّاً صِغاراً حُمراً وبيضاً فذلك جَرْبٌ.))

وقد صارت كتبُ اللُّغة تستعمل الاصطلاحين في الوقت نفسه، جَرْبُ الجلد وجَرْبُ العين<sup>(٤٦)</sup>.

وكذلك فإنَّ المعجمات الطَّبَّية العربيَّة<sup>(٤٧)</sup> ذَكَرَت المرضين ووضعت تعريفاً واضحاً لكلِّ منهما.

وبعد مرور زمنٍ قصيرٍ لم يعدْ أطبَّاءُ العين ملزمين بكتابة (جَرَبُ الجفن) أو (جَرَبُ العين) بل اكتفوا بكلمة (الجَرَب) ومعنى الكلمة هنا يفهم من السِّياق، فالمؤلّف يكتب في طِبِّ العين وليس في الطَّبِّ العامِّ.

يكتب الهروي في (بحر الجواهر): ((الجَرَبُ.. بُورٌ صِغارٌ تبتدئ حمراءً ومعها حِجَّةٌ شديدةٌ، ورَّما تقيِّحت، وهي على نوعين: رَطْبٌ ويابسٌ.))، ((وجَرَبُ العين: حُشونةٌ تعرِّضُ في داخل الجفن)).

### - بين (ترجمة الاصطلاح) واختيار الاصطلاح:

لم يكن العرب إذن بارعين في ترجمة الاصطلاح الطَّبِّيِّ فحسب، بل برعوا أيضاً في وضعه، وكان لهم إلى ذلك أكثر من طريقٍ - كما بيَّنا -:

أولاً - اختيار كلمةٍ والحفاظ على معناها الذي يدلُّ تماماً على صفات المرض الذي يريدون ترجمة اسمه، فهُم هنا يجعلون من اسم مرضٍ معروفٍ اصطلاحاً فنيّاً، فالكلمة التي صارت اصطلاحاً ليس لها دلالةٌ أخرى غيرُ تلك الدلالة المعروفة في اللُّغة منذ القديم.

من هذه الكلمات التي صارت اصطلاحاتٍ: الفالِجُ، واللَّقوة، والدُّوارُ، والشَّرى. وكُلُّها في الطَّبِّ العامِّ ومن الاصطلاحات المتعلقة بطِبِّ العين: الحَوْلُ والقَبْلُ والشَّتْرُ والعَشَا.

ثانياً - اختيار كلمةٍ مناسبةٍ وإعطاؤها دلالةً جديدةً، ومن هذه الكلمات في حقل طِبِّ العيون: السَّعفة، والشَّعيرة.

في الحالة الأولى: يستدعي هذا العملُ فَهْمَ معنى الاصطلاح الأعجميِّ فهماً دقيقاً، ومعرفةً مفرداتِ اللُّغة العربيَّة معرفةً واسعةً تسمحُ باختيار الكلمة المناسبة للمعنى الذي يحمله الاصطلاح.

وفي الحالة الثانية: يستدعي العملُ مقدرةً وموهبةً في التصرفِ بكلمات اللُّغة لتغيير دلالة كلمةٍ شائعةٍ كما يستدعي هذا العملُ معرفةً معنى الاصطلاح الأعجميِّ.

\* \* \*

وكثيراً ما لجأ الأطباءُ أو التراجمَةُ إلى وضع اصطلاحٍ مُكوَّنٍ من كلمتين، وذلك حينما يودِّي اجتماعُ هاتين الكلمتين إلى إعطاء المعنى الدقيق للاصطلاح الذي يرغبون في ترجمته، ذلك أنَّهم لم يجدوا لهذا الاصطلاح الأعجميِّ كلمةً واحدةً مفردةً مناسبةً تؤدِّي المعنى.

فعلى سبيل المثال: طريخياسيس Trichiasis تعني (انقلاب الأهداب).

إكتروبيون Ectropion تعني (انقلاب الجفن).

والأمثلة كثيرةٌ، وبهذا صار عند التراجمة في القرن التاسع \_ وعند الأطباء كذلك \_ عددٌ من الاصطلاحات المركَّبة:

انتثار الأهداب<sup>(٤٨)</sup>.

الشَّعر الزائد<sup>(٤٩)</sup>.

كثرة الطَّرْف (٥٠).

التصاق الأشفار (٥١).

ويلاحظُ الأطباء اليومَ أنَّ كُلَّ هذه الاصطلاحات الإغريقيَّة ما تزال حيةً، وقد دخلت إلى اللُّغات الأوربيَّة الحديثة عن طريق اللُّغة اللاتينيَّة، فقد ترجم الأوربيون \_ في العصور الوسطى \_ بدءاً من القرن الحادي عشر الميلاديّ الطَّبَّ العربيَّ إلى اللاتينيَّة في سالرنو، وبعد ذلك تُرجم إلى العبريَّة وإلى اللاتينيَّة، وازدهرت حركة الترجمة من العربيَّة إلى اللاتينيَّة في طليطلة في القرن الثاني عشر. بعد ذلك بفترةٍ طويلةٍ من الزَّمن ترجم الأوربيون من الإغريقيَّة إلى اللاتينيَّة مباشرةً، وهنا أخذوا الاصطلاحات الطَّبيَّة الإغريقيَّة التي كانوا قد عرفوها عن طريق الكتب الطَّبيَّة العربيَّة التي سبق أن ترجموها، وهكذا صار عندهم عددٌ كبيرٌ من الاصطلاحات الإغريقيَّة تجمَّع عندهم من مصدرين الأوَّل هو كُتُبُ العرب والثاني كُتُبُ الإغريق.

فالأوربيون تعرَّفوا أولاً على الطَّبَّ العربيَّ وعن طريقه سمعوا بالطَّبَّ الإغريقيَّ، وفي مرحلةٍ ثانيةٍ تعرَّفوا على الطَّبَّ الإغريقيَّ عن طريق الترجمات العربيَّة، وفي المرحلة الأخيرة تعاملوا مع بقايا الطَّبَّ الإغريقيَّ تعاملًا مباشرًا، لكنَّهم هنا تعاملوا في الواقع مع ما تبقى من النُّصوص الإغريقيَّة الأصيله، وكثيراً ما كانت هذه النُّصوص معروفةً في أوروبا عن طريق الطَّبَّ العربيَّ كما ذكرنا.

- الاصطلاح المُعرَّب:

في الترجمات التي جرت في العراق في عصر حنين نصادف ظاهرةً متميزةً: فالعرب كانوا يعرفون بعض الاصطلاحات الطَّبَّية الفارسيَّة التي عرَّبها الناسُ نتيجةً لاختلاط العرب بالفرس في العراق قبل الإسلام، أو نتيجةً للعيش المشترك بين الشَّعبين في منطقة جُنْدِيسَابور، التي شهدت على مدى قرونٍ عديدةٍ نهضةً طَبَّيةً فريدةً من نوعها، بسببِ أنَّ الفرس والعرب كانوا يعرفون المركز الطَّبَّيَّ السُّريانيَّ الذي كان على صلةٍ باللُّغة الإغريقيَّة ويعرِفُ بعضُ أطبَّائه هذه اللُّغة معرفةً جيِّدةً.

من هنا صارت بعض الاصطلاحات الطَّبَّية الفارسيَّة مفهومةً لدى عامَّة الناس من العرب الذين كانوا يعيشون في الأحواز، - وفي العراق عمومًا - فعلى سبيل المثال كان العرب - مثل الفرس - يطلقون على الأعشى اسمَ (شَبْكَور)، من (شب الفارسيَّة) التي تعني (ليل) و(كور) التي تعني (أعمى)<sup>(٥٢)</sup>، ولذلك فإنَّهم حينما ترجموا الطَّبَّ الإغريقيَّ اشتقوا من (شَبْكَور) كلمة (شَبْكَرَة) لتعني (العمى الليلي) أيَّ (العشا) أو (العشاوة) بالعربيَّة. والغريب هنا أنَّهم آثروا استعمال الكلمة الفارسيَّة الأصل وتركوا الكلمة العربيَّة الأصيلة المفهومةً لدى كلِّ الناس.

#### - السَّرْسَام:

والشَّيْءُ نفسه يقال عن اصطلاح (فرانيطس) اليونانيِّ الذي يعني (التهاب الدِّماغ) أو (التهاب السحايا) بلغة اليوم، فقد ترجموه إلى الفارسيَّة وليس إلى العربيَّة فقالوا (سِرْسَام)، ذلك أنَّ الاصطلاح الفارسيَّ كان قد عُرِّبَ

وصار مفهوماً، لقد أزال التراجمة العربُ عُجْمَةَ الاصطلاح اليونانيِّ باستعمال اصطلاحٍ أعجميِّ مفهومٍ، لأنَّ هذا الاصطلاح الذي أتى من لغةٍ أخرى صار مفهوماً في اللُّغة العربيَّة من قبل عامَّة الناس، فهو في الأصل اصطلاحٌ أعجميٌّ لكنَّه اقتُرِضَ فصارَ (اصطلاحاً معرباً) (٥٣).

\*\*\*

وهذا مثالٌ أخيرٌ على استخدام اصطلاحٍ فارسيٍّ معرَّبٍ لإزالة عُجْمَةِ اصطلاحٍ يونانيٍّ يريدون ترجمته إلى العربيَّة، فقد ترجموا الاصطلاح اليونانيِّ إلى اصطلاحٍ معرَّبٍ كانت اللُّغة العربيَّة قد اقترضته من اللُّغة الفارسيَّة منذ زمنٍ طويلٍ، أيَّ أنَّها عرَّبته.

- الوردنج:

كان الإغريقُ قد فسَّموا (الرَّمَد) من حيث شدَّته إلى ثلاثة أشكالٍ سريريَّة، أشدُّها وأبشعُها هو (خيموسيس Chimosis). ويصفُ حنين بن إسحاق هذا الشَّكلَ السَّريريَّ بقوله: ((تشتدُّ فيه الأعراضُ ..)) حتى ((إنَّ الجفنين كليهما يَرْمَان وينقلبان .. ويكونُ بياضُ العينِ أرفعَ من سوادها.)) (٥٤) وهو يعني بذلك: (إنَّ التهابَ الملتحمة يجعلها ترتفعُ عن مستوى القرنيَّة) بلغة اليوم.

ويصفُ ابن ماسويه هذا الشَّكلَ السَّريريَّ من الرَّمَد بقوله: ((.. ورَّما تورَّم الإكليلُ حتى يُنظرَ إلى سوادِ العينِ في وسطِهِ كهَيْئَةِ فصِّ الخاتم، قد تورَّم البَيَاضُ وعلا عليه.)) (٥٥).

والإكليل هنا هو إكليل السَّوَادِ، أيَّ الخطُّ الذي يصلُّ القرنيَّةَ في محيطها بالملتحمَة، فتبدو القرنيَّةُ سوداءَ لأنَّها شفافةٌ يظهر من خلالها سوادُ القرنيَّةِ، بينما تكون الملتحمَة بيضاءَ لأنَّها نصفُ شفافةٍ يظهر من خلالها بياضُ الطبقة الصُّلبة.

فَهَمَّ الأَطبَاءُ العَرَبُ معنَى هذا النَّوعِ من أنواع الرَّمَدِ، وبالتالي فقد فهموا معنَى الاصطلاح (خيموسيس)، فَهَمُّ يعرفون هذا المرض منذ زمنٍ طويلٍ تحت اسمٍ فارسيٍّ معرَّبٍ، وذلك نتيجةً لاختلاط الفرس بالعرب وتعايشهم في العراق قبل الإسلام وبعده. فالاسم الفارسيُّ هو (وَرْدِينَج) كما يلفظه العرب، وأصله (وردينه) بالفارسيَّة<sup>(٥٦)</sup>، ولذلك فقد ترجموا (خيموسيس) إلى (وَرْدِينَج).

بعد مرور أكثر من مئة عامٍ على تدوين هذا الاصطلاح بالعربيَّة يقول ابنُ سينا: ((ومنه [الرَّمَد] ما هو عظيمٌ مجاوزٌ للحدِّ في العظم، يربو البياضُ. . . ويمنعُ التَّغميضَ، ويسمَّى (كيموسيس Kēmosis)، ويُعرَفُ عندنا بالوَرْدِينَج)).<sup>(٥٧)</sup>

كان ابنُ ماسويه - في حدود ما نعلم - أوَّل من دوَّن هذا الاصطلاح في كتابِ طَبِّيّ: ((إذا رأيتَ العينَ وارمئةً، والحفنَ يتقلَّبُ إذا فُتِحَتْ وهي حمراءُ فذلك وَرْدِينَج، ويُسمَّى وَرْدِين))<sup>(٥٨)</sup>.

## الحواشي:

(١) - أهُمُّ مُؤرِّخي طِبِّ العيون على الإطلاق، عاش بين (١٨٤٣ - ١٩٢٥) في برلين، وعمل في الطَّبِّ وهو أوَّل من أَرخَ لِطِبِّ العيون العربيِّ اعتماداً على المصادر المخطوطة، وما يزال كتابه الذي ظهر في نهاية القرن التاسع عشر بعنوان (تاريخ طِبِّ العيون) المرجع الرَّئيسَ في هذا الموضوع.

(٢) - اشتغل في القاهرة في النِّصف الأوَّل من القرن العشرين طبيباً للعيون، وأرَّخَ لِلطَّبِّ العربيِّ، بِخاصَّةٍ لِطِبِّ العيون وعلم الأدوية. عاش بين (١٨٧٤ - ١٩٤٥ م).

(٣) - أشهرُ التراجمِ العربِ وأهمُّهم، نقلَ معظمَ التراثِ الطَّبِّيِّ الإغريقيِّ إلى السُّريانيَّةِ وإلى العربيَّةِ، توفي (٨٧٧ م = ٢٦٤ هـ).

(٤) - أشهرُ الأطبَّاءِ الإغريقِ وأهمُّهم بعدَ إبقراط Hippocrates (ق ٥ ق م)، وهو من أهل القرن الثاني الميلاديِّ.

(٥) - هذه الصيغة العربيَّة للكلمة اليونانيَّة هي ما حقَّقه مايرهوف حينما نشر كتاب حنين (العشر مقالات في العين). وقد كتب هذه الاصطلاحات بالأحرف الإغريقيَّة حينما ترجمَ نصَّ كتابِ حنين من العربيَّة إلى الإنكليزية. (إيالويداس Hyaloide) (سقليروس Skleros).

ينظر: (ص ٧٤) من النَّصِّ العربيِّ للمقالات و(ص ٤) من الترجمة الإنكليزية.

(٦) - العشر مقالات: (ص ٧٤ - ٧ - ٨٠).

(٧) - من أهل القرن التاسع كان يجيد السُّريانيَّة والعربيَّة ويعرف شيئاً من اللُّغة اليونانيَّة، وتنسب المصادر العربيَّة له هذين الكتابين.

(٨) - بروفر: مستشرقٌ ألمانيٌّ تعاون مع مايرهوف في كتابة هذه المقالة.

(٩) - نشرها المقالة عام (١٩١٥). ينظر قائمة المراجع.

(١٠) - حينما وصف مايرهوف المخطوطة الشهيرة الموجودة في القاهرة في

مكتبة أحمد تيمور باشا، الموجودة اليوم في دار الكتب الوطنية وتحمل

الرقم: (تيمور - طب - ١٠٠) التي تحتوي على كتابي ابن ماسويه،

بيِّن أنَّ فيها نقصاً شديداً وأنَّ بعض سطورها مطموسٌ، وقد تبين لنا

بفحص هذه المخطوطة أنّ مايرهوف محقّق، وأنّ الناسخ أهمل كتابة بعض السطور أو بعض الكلمات، ومن المعروف أنّ مخطوطة القاهرة هذه هي مجموعٌ يحتوي على ثمانية كتبٍ، كلّها في علم العين، وأحد هذه الكتب هو كتاب (العشر مقالات في العين) لحنين.

(١١) - وقد تكون العبارة على الشكل الآتي: (فصارت بذلك تشبه ماء البيض).

(١٢) - يعني بذلك أنّها منسوجةٌ كالثوب: القاموس المحيط: (٣٤١/٤): ((السدى من الثوب: ما مُدَّ منه)).

القاموس المحيط: (١٧٤/٤): ((اللحمة ما سُدِّي به بين سدى الثوب)).

(١٣) - Spasmos. العشر مقالات: (ص ١٤٣).

(١٤) - Paralysis. العشر مقالات: (ص ١٤٣).

(١٥) - Ulcus. العشر مقالات: (ص ١٤٣).

(١٦) - terminus technicus.

(١٧) - للتوسع في هذا الموضوع: يُنظر: مجلة مجمع دمشق، (المعجمات

الطبيّة) (١٩٨٥) (مجلد ٦٠، ص ١١١-١١٧).

(١٨) - العشر مقالات: (ص ١٢٨).

(١٩) - العشر مقالات: (ص ١٢٧).

(٢٠) - العشر مقالات: (ص ١٣٢).

(٢١) - العشر مقالات: (ص ١٢٩).

(٢٢) - العشر مقالات: (ص ١٣٧).

(٢٣) - يعطي ابن فارس (ق ١٠ - ١١ م) في معجمه (مقاييس اللُّغة) المعاني العديدة التي يدلُّ عليها الجذر الثلاثي للكلمة، وهو بذلك يُوَكِّد أصالة هذه الكلمة في اللُّغة.

(٢٤) - في (العين): (( الرَّمَدُ: وَجَعُ الْعَيْنِ ))، على سبيل المثال. والتحليل هو أحد أقدم أئمة اللُّغة العربيَّة (ق ٨ م).

(٢٥) - فعلى سبيل المثال: ((من ذلك الشَّتْرُ في العين: انقلابٌ في جفنها الأسفل مع حرقٍ يكون...)). مقاييس اللُّغة: (٢٤٤/٣).

وابن فارس من أعلام مدرسة الكوفة في النحو، توفي عام (١٠٠٤ م = ٣٩٥ هـ).

(٢٦) - هذه الكلمات نقلها حنين عن جالينوس. ينظر: العشر مقالات: (ص ١٣٣).

(٢٧) - كلمة (قريشى Kri-the) في اللُّغة الإغريقيَّة تعني (حَبَّة الشَّعِير). ينظر: الديبان: (٤١١/٢) نقلاً عن ليدل.

وسكوت Liddel & Scott.

هكذا كتبها مايرهوف نقلاً عن مخطوطة (المقالات.. ..) لحنين.

ينظر: تحقيق مايرهوف لمقالات حنين: (ص ١٣٣).

وترجمة مايرهوف للمقالات: (ص ٦١).

(٢٨) - حنين (المسائل في العين): (المسألة: ١٤٧، ص ٥٧): ((يكون شكلها كشكل الشعيرة)).

(٢٩) - ابن فارس: مقاييس اللُّغة: (١٩٣/٣).

(٣٠) - القَمَرِيُّ: أبو منصور، الحسن بن نوح، عملَ في الطَّبِّ في بُخارى. توفي حول (٣٩٩ م = ٣٩٠ هـ).

ينظر: سزكين: (٣١٩/٣).

(٣١) - ينظر: مقالتنا في مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، (المعجمات الطَّبِّيَّة) (١٩٨٥) (مجلد ٦٠، ص ١١٦).

وللتوسع: ينظر: (أقدم المعجمات الطَّبِّيَّة العربيَّة) في كتابنا (آراء ودراسات.. (١/١٧١-٢١٩).

(٣٢) - محمَّد بن أحمد بن يوسف، توفي (٩٩٧ م = ٣٨٧ هـ).

للتوسع: ينظر: مقالتنا: في مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، (المعجمات الطبية) (١٩٨٥) (مجلد ٦٠، ص ١١٦).

مقالتنا مجلة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، (المعجمات الطَّبِّيَّة) (١٩٩١) (مجلد ٦٦، ص ٤٩١ - ٤٩٣).

(٣٣) - الكلمات بين القوسين مأخوذة عن أطروحةٍ جامعيَّةٍ لإيمان الرضان، فنحن هنا نحاول أن نتقيدَ باصطلاحات أهل الاختصاص.

(٣٤) - وهذا هو الأسلوبُ نفسه الذي لجؤوا إليه حينما استخدموا كلمة (الشَّعيرة) اصطلاحاً.

(٣٥) - العين: (١/٣٤٠): ((والسَّعْفَةُ: قروحٌ تخرجُ على رأسِ الصبيِّ وفي وجهه، سَعَفَ الصبيُّ إذا ظهر به ذلك فهو مسعوف)).

- مقاييس اللُّغة: (٣/٧٣): ((سعف: السين والعين والفاء أصلان متباينان، يدلُّ أحدهما على يَبَس شيءٍ وتشعُّته، والآخر على مواتاة الشيء)).

فالأوَّل.. ومن الباب: السَّعْفَةُ: قروح تخرج برأس الصبيِّ.

ومنه قول الكسائي: سَعِفْتُ، سَعِفْتُ يَدُهُ، وذلك هو التشعُّث حول الأظفار، والشُّقاق.

ويقال ناقةٌ سَعَفَاءٌ، وقد سَعِفْتُ سَعْفًا، وهو داءٌ يتمعَّط منه خرطومها. وذلك في النوق خاصَّةً)).

(٣٦) - المسائل في العين: (المسألة: ١٥٠، ص ٥٨).

(٣٧) - هيرشبرغ في ترجمته لكتاب (تذكرة الكحَّالين) لعليِّ بن عيسى (ص ١١٣).

(٣٨) - الثعالبي: فقه اللُّغة: ((السَّعْفَةُ في الرَّأسِ أوِ الوَجْهِ: قُرُوحٌ رُبَّمَا كَانَتْ قَحْلَةً يَابِسَةً وَرُبَّمَا كَانَتْ رَطْبَةً يَسِيلُ مِنْهَا صَدِيدٌ)).

- ابن منظور: لسان العرب: (٩/١٥١): ((والسَّعْفَةُ والسَّعْفَةُ: قروحٌ في رأسِ الصبيِّ، وقيل: هي قُرُوحٌ تخرجُ بالرَّأسِ ولم يَخُصَّ به رأسُ صبي ولا غيره..)).

(٣٩) - القمري: التنوير: ((السَّغْفَةُ: بُسُورٌ تحدث في الرأس والوجه)).  
بتحقيق: غادة الكرمي: (ص ٦١). بتحقيق: وفاء تقي الدين: (ص ٢٩).

الخوارزمي: مفاتيح العلوم: ((السَّغْفَةُ قُرُوحٌ... في الرُّأْس والوجه)).

(٤٠) - عمل ماسرجويه في الدولة الأموية المروانية، وكان كتابه ناجزاً حينما جاء عمر بن عبدالعزيز إلى الخلافة، فأخرجه للناس. ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة بين سنتي (٧١٧ - ٧٢٠ = ٩٩ - ١٠١هـ). انفراد ابن جليل بهذه الرواية عن الكتاب.

(٤١) - هذا الاقتباس حفظه الرازي في (الحاوي): (٤٣٤/٢). والرازي يشير إلى ماسرجويه بقوله: (اليهودي) تمييزاً له عن ماسرجويه الجنديسابوري (ق ٩ م).

(٤٢) - كتاب (الدَّخِيرَةُ) مجهول المؤلف، لكنَّ الكثيرين قالوا إنَّه من تأليف (ثابت بن قُرَّة) على غير وجه حق، فقد نفى ثابت أن يكون هذا الكتاب من تأليفه، وكان الكتاب متداولاً بين الناس قبل وفاة ثابت عام (٩٠١ م).

(٤٣) - ينسبُ الكثيرون الاقتباسات المأخوذة عن ابن سينا مسبوقاً بكلمة (الشيخ) أو (الشيخ الرئيس).

(٤٤) - قاموس الأطباء...: (٣٠٢/١).

(٤٥) - الحاوي: (٢٨١/٢): ((للحرب في العين، يؤخذ نوار القرنفل...)).  
(٢٠٦/٢): ((إذا حَكَّكَتِ الجَرْبَ فحَكَّهْ أبدأً إلى أن يذهب الغلظ ويرجع الجفن إلى حاله)).

(٤٦) - ابن أبي ثابت: خلق الإنسان: (ص ١٢٢ - ١٢٣): ((وفي العين  
الجرّب))

وكذلك ابن سيده، وابن منظور، والفيروز آبادي وغيرهم.

(٤٧) - القوصوني مثلاً وهو آخر أصحاب المعجمات الطَّبَّية، ولعلَّه  
أهمَّهم.

(٤٨) - (ترجمة القانون: ص ١٢٠) (تذكرة عليّ بن عيسى: ص ١٠٩).

(٤٩) - Distichiasis. (ترجمة القانون: ص ١٢٢) (تذكرة عليّ بن  
عيسى: ص ٩٨).

(٥٠) - (ترجمة القانون: ص ١٢٠).

(٥١) - Symblepharon (ترجمة القانون: ص ١٢٦).

(٥٢) - هذا التفسير موجودٌ في كتب الطَّبِّ وفي المعجمات اللُّغويَّة بعامَّة -  
والطَّبَّيَّة بخاصَّة - التي تُعنى بالألفاظ الفارسيَّة.

(٥٣) - لقد وضَّح الأستاذ إبراهيم بن مراد هذه الفكرة منذ سنواتٍ طويلة في  
كتابه: (تفسير كتاب دياسقوريدوس): (ص ٥٣). عام (١٩٨٩).

(٥٤) - حنين: العشر مقالات: (ص ١٢٩).

(٥٥) - ابن ماسويه: معرفة مِخنة الكَحَّالين/ المخطوط.

(٥٦) - النهانوي: الكشَّاف: (٤/٢٨٧): ((الوَرْدِينج: معرَّب (وردينه)، وهو  
عند الأطبَّاء ورم عظيم)).

(٥٧) - القانون: (١٨٨/٢).

(٥٨) - دَعْلُ العين/ المخطوط.

### المصادر والمراجع:

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدّين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة.

(عيون الأنباء في طبقات الأطباء).

تحقيق: أوغست مولر.

الطبعة الأولى. المطبعة الوهبية، القاهرة. (١٨٨٢ م = ١٢٩٩ هـ).

- ابن جُلجل، سليمان.

(طبقات الأطباء والحكماء).

ترجمة وتحقيق: فؤاد سيّد.

منشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة. ١٩٥ م.

- ابن سينا، الحسين بن عليّ، أبو عليّ.

(القانون في الطّب).

تحقيق: سعيد اللّحام.

دار الفكر، بيروت، لبنان. (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).

— ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين.  
(مقاييس اللُّغة).

تحقيق وضبط: عبدالسَّلام محمد هارون.

دار الفكر، بيروت لبنان ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م.

— ابن مراد، إبراهيم.

(تفسير كتاب دياسقوريدوس).

تأليف: ابن البيطار المالقي.

تحقيق: إبراهيم بن مراد.

دار الغرب الإسلامي. لبنان، بيروت. (١٩٨٩).

— ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن منظور.

(لسان العرب المحيط).

ثلاثة مجلدات.

إعداد وتصنيف: يوسف خيَّاط. نديم مرعشلي.

— التهانويّ، محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي.

(كشَّاف اصطلاحات الفنون).

٤ أجزاء.

دار الكتب العلمية. لبنان. بيروت. الطبعة الثانية (٢٠٠٦م).

- ثابت بن قُرّة.

(الذخيرة في الطّب). [منحول]

تحقيق: جرجي صبحي.

دار المدينة للطباعة والنشر، بيروت، (١٩٢٨م).

- الثعالبيّ، أبو منصور.

(فقه اللّغة وسرّ العربيّة).

تحقيق: فائز محمّد.

مراجعة وفهرسة: إميل يعقوب. محمد الإسكندراني.

الطبعة الأولى (٢٠٠٦م = ١٤٢٧هـ).

دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.

- الحمارنة، نشأت.

(آراء ودراسات في تاريخ الطّب العربيّ).

الجمهورية العربيّة السوريّة، وزارة الصّحة.

جزآن (٢٠٠٤م).

- الحمارنة، نشأت.

(المعجمات الطّبيّة).

مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق. مجلد ٦٠ / ج ١.

القسم الأول: الصفحات: ١٠٤ ← ١٢٣. عام (١٤٠٥هـ =  
(١٩٨٥م)

القسم الثاني: الصفحات: ٤٨٤ ← ٥١٤. عام (١٤٠٥هـ =  
(١٩٨٥م)

القسم الثالث: الصفحات: ٥٤١ ← ٥٦٠. عام (١٤٠٧هـ =  
(١٩٨٧م)

القسم الرابع: الصفحات: ٤٦٦ ← ٥١٣. عام (١٤١٢هـ =  
(١٩٩١م)

- حنين بن إسحاق.

( المسائل في العين ).

التحقيق والترجمة الفرنسية: بولص سباط، ماكس مايرهوف.  
القاهرة. ١٩٣٨م.

- حنين بن إسحاق.

(العشر مقالات في العين).

التحقيق والترجمة الإنجليزية: ماكس مايرهوف.  
المطبعة الأميرية بالقاهرة. (١٩٢٨م).

- الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن.

(كتاب العين).

تحقيق: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي.  
ثمانية أجزاء.

وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، سلسلة  
المعاجم والفهارس، صدر بين (١٩٨٠ - ١٩٨٥).

- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف.

(مفاتيح العلوم).

تحقيق: إبراهيم الأبياري.

دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الأولى (١٩٨٤ م = ١٤٠٤ هـ).

- الرازي، محمد بن زكريا، أبو بكر.

(الحاوي في الطب).

(الجزء الثاني في أمراض العين).

صُحح من نسخة فلوارى شريف ونسخة إسكوريال (رقم ٨٠٦) مدريد،  
وطبع تحت مراقبة.

شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وسكرتها قاضي  
المحكمة العليا سابقاً.

الطبعة الثانية. بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن  
الهند. (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م).

– الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، مجد الدين.  
(القاموس المحيط).

مؤسسة النوري، الطبعة الأولى. (١٩٨٧م = ١٤٠٨هـ).

– القمري، الحسن بن نوح، أبو منصور.

(التنوير في الاصطلاحات الطبيّة).

تحقيق: وفاء تقي الدين.

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. مطبعة الصباح (١٩٩٠م).

– القمري، الحسن بن نوح، أبو منصور.

(التنوير في الاصطلاحات الطبيّة).

تحقيق: غادة حسن الكرّمِي.

بتكليف من مكتب التربية العربيّ لدول الخليج. الرياض. (١٤١١هـ –

١٩٩١م).

– القوصوني، مدين بن عبدالرحمن القوصوني المصري.

(قاموس الأطبّاء وناموس الألباء) جزآن.

مصورات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.

أوفست دار الفكر. دمشق ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.

– الهروي، محمد بن يوسف.

(بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبيّة من العربيّة واللاتينية

واليونانية).

بإشراف لجنة التعليمات العامة.

الحكيم عبدالمجيد. المطبعة الطبية (١٨٣٠).

– المخطوطات:

– ابن ماسويه، يوحنا.

(معرفة مِحنة الكَحَّالين).

مخطوطة استانبول: نور عثمانية، رقم (٣٥٧٦ - ٤).

– ابن ماسويه، يوحنا.

(دَعَل العين).

مخطوطة القاهرة، دار الكتب: رقم (تيمور طب/١٠٠).

– المراجع الأجنبية:

- Hirschberg, Julis/ Lippert, Julius: „Die Augenheilkunde des Ibn Sina“ ; Veit & Comp., Leipzig (1902).
- Hirschberg, Julius/ Lippert, Julius: „Ali Ibn Isa – Erinnerungsbuch der Augenärzte“ ; Veit & Comp., Leipzig (1904).
- Prüfer, C. Meyerhof, M.: *Die Augenheilkunde des Juhanna b. Masawaih* in *Der Islam: Zeitschrift für Geschichte und Kultur des islamischen Orients*; Bd. VI.; Verlag von Karl J. Trübner; Strassburg, (1916).

- Meyerhof, Max: „*The Book of the ten Treatises on the eye ascribed to Hunain Ibn Ishaq*“ ; Cairo (1928).

# اقترح أساليب تعليمية تهدف إلى تنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى النشء العربي

سفيان موسى الحامد

دكتور بقسم اللغة الفرنسية

جامعة ألبيرتا - كندا

## مقدمة

ما دفعني لكتابة هذا البحث هي قصة حدثت مؤخراً في دائرة معارفي: قام شاب - ذو دين وخلق وعلم وجمال ومال - بالتقدم لخطبة فتاة، إلا أنها رفضته معللة ذلك بأنه يتكلم طوال الوقت باللغة العربية الفصحى! هذه القصة دفعنتني إلى طرح السؤال الآتي: هل يعتز العرب بلغتهم اعتزاز - على سبيل المثال - الفرنسيين أو الألمان بلغاتهم؟

من المعلوم أن اللغة ليست فقط وسيلة اتصال، بل تعتبر أيضاً وعاء لفكر الأمة وإحدى مقومات وجودها. والأمم الحية تحافظ على لغاتها حفاظها على أوطانها وتعتر بها على اعتبار أنها إحدى ركائز هويتها، بل تقوم بتعزيزها في كافة الميادين وتعمل على ازدهارها واقناع شعوبها بأهميتها والمحافظة عليها والافتخار بها.

فيما يبدو لي أنه يوجد، بشكل عام، أزمة بين لغة الضاد وأبنائها فيما يتعلق بالمشاعر التي يكون لها، وذلك نظراً إلى أنه يوجد من العرب من لا يعتز بلغته ولا ينزلها المنزلة التي تستحقها، بل منهم من يعتز بمعرفته للغات أخرى، كالإنجليزية أو الفرنسية... إلخ، أكثر من اعتزازه بلغته، وهناك من

يتشدد بكلمات أجنبية يدسها وسط حديثه باللغة العربية ليظهر أنه على قدر من الثقافة والرقي والتقدم. وفي هذا السياق، يقول صالح بن عبدالله بن حميد<sup>(١)</sup>: "إن الأزمة أزمة عزة لا أزمة لغة، وأزمة ناطقين لا أزمة كلمات، لم تضعف اللغة ولم تعجز، ولكن ضعف أبنائها، وقصر حمايتها، إن من الظلم والحيف أن يتَّهم هؤلاء الأبناء العاقون الكسالى لغتهم من غير حجة ولا برهان، ضعافٌ في أنفسهم، مهازيل في طموحاتهم، يُرهبون أنفسهم بثورة المعلومات، وترتجف قلوبهم لتقدم التقنيات." ويضرب بلال عبدالهادي<sup>(٢)</sup> مثلاً واقعياً يبين فيه كيف أن هناك من العرب من يسخر من لغته: "نحن أمة تشير السخرية لأننا أمة تسخر من لغتها. ولقد سمعت بأذني فتاة تقول لزميلتها بشفتين متقزرتين: "يا ااع بُتْقري عربي؟" وكأن القراءة بالعربية، في هذا الزمن، ضرب من البغاء اللغوي! كيف نعيب من يسخر منّا ونحن، ليل نهار، نسخر من لغتنا، ونفضّل عليها لغات الآخرين؟" ولكن، كيف يمكننا تغيير هذا الواقع؟ وبعبارة أكثر تحديداً، كيف يمكننا تنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى أبنائها؟

---

١. بن حميد، صالح بن عبدالله: الدفاع عن لغة القرآن، خطبة جمعة/ المسجد الحرام، مكة المكرمة، ٢٠٠١.

<http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=4418>

٢. عبدالهادي، بلال: حكي جرائد: التسويق اللغوي، جريدة الإنشاء، العدد، ٧٠٧١، ٢٠١١.  
[www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7](http://www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7)

سأقوم، في إطار هذا البحث، باقتراح بعض الأساليب التعليمية والمواقف التدريسية التي يمكنها الإسهام في بلوغ الغاية المرجوة؛ حيث إنه لو نجحنا في غرس هذه المشاعر في عقل الطفل العربي منذ نعومة أظفاره - على اعتبار أنه صفحة بيضاء نقية تستقبل وتتقبل ما يرد عليها - فسينشأ، بحول الله وقدرته في الوطن العربي، أفراد يعتزون ويفتخرون بلغتهم، بل ويحبونها ويفضلونها على سائر اللغات الأخرى.

ولتحقيق أهداف هذا البحث، سأعتمد على مرجع أساس، من إعداد الدكتورة "روز - ماري دوغي"<sup>(١)</sup> التي قامت، في هذا الدراسة، بشكل أساسي بفحص مضمون مناهج مدارس الأقلية الكندية الفرنكوفونية (الكنديون الذين لغتهم الأم اللغة الفرنسية، والذين يشكلون تقريبا، وفق موقع إحصاءات كندا<sup>(٢)</sup>، ما نسبته ٢٢% من إجمالي عدد السكان) وخصوصاً الأسس والخطط التربوية والتعليمية التي تعتمد عليها هذه المدارس بغية جعل أطفالهم يتمسكون ويعتزون بهويتهم اللغوية والثقافية، وذلك لكي يحولوا دون فقدانهم لهويتهم وذويانهم في محيطهم الإنجليزي الذي يشكل الغالبية العظمى في هذا البلد.

---

١. وهي باحثة في مجال تربية الأطفال في كلية العلوم التربوية بجامعة مانكتون بكندا. والمرجع هو تقرير بحثي أعدته باللغة الفرنسية بعنوان: "الثقافة والهوية اللغوية والشعور بالانتماء" عام ٢٠٠٨. ويقع هذا البحث في ١١٩ صفحة، ويمكن الاطلاع على مادته كاملة في صورة بي دي أف على الرابط الآتي:

[http://www8.umoncton.ca/umcm-grpe/wp-content/uploads/2012/02/Identit\\_version\\_web21.pdf](http://www8.umoncton.ca/umcm-grpe/wp-content/uploads/2012/02/Identit_version_web21.pdf)

٢. موقع إحصاءات كندا Statistique Canada

[https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3\\_1-1-fra.cfm](https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm)

أما فيما يتعلق بهذا البحث، فسأحاول الاستناد على بعض من النتائج النظرية والعملية التي توصلت إليها الباحثة المذكورة، بغية اقتراح أساليب وممارسات وتطبيقات تعليمية وتربوية تُمكن معدي المناهج والمعلمين والمربين والمهتمين بشأن اللغة العربية، في العالم العربي، من الاستفادة منها بغية الإسهام في تحقيق الغاية المنشودة. وهنا لا بد من التنويه إلى أنه ليس من الممكن أن أعمم جميع نتائج تلك الدراسة على اعتزاز أبناء العرب بلغتهم في مجتمعاتهم العربية، وذلك نظراً إلى أن صلة أبناء الأقليات بلغتهم تختلف عن صلة أبناء الأكثرية السكانية بلغتهم. لهذا، سأحاول الاستفادة من هذه الخبرات فيما يتناسب مع خصوصية الوطن العربي.

يقسم هذا البحث إلى إطارين: نظري وعملي. في الإطار النظري، سأقوم بعرض بعض الأسس النظرية الرئيسية التي سأركز عليها، في الإطار العملي، بغية اقتراح وسائل تعليمية تسهم في بلوغ الغاية المرجوة.

## الإطار النظري

كما ذكرت سابقاً، سأقوم، في هذا الإطار، بعرض بعض الأسس النظرية التي سأعتمد عليها لاحقاً في الإطار العملي.

### ١) الهوية

الهوية مفهوم مستمد من علوم عدة: علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم الفلسفة... إلخ، لذلك فهي مفهوم يتضمن عدة دلالات وله عدة تعريفات. هذه التعريفات تصب في النهاية في دلالات تتعلق بالحقيقة والماهية والذات والوحدة والاندماج والانتماء والتساوي والتشابه. والتعريف الذي اخترته، في هذا البحث، لمفهوم الهوية، وفق روز-ماري دوغى<sup>(١)</sup>، هو: "الآلية المعرفية والعاطفية التي يتصور الطفل من خلالها نفسه ومحيطه. ويتكون، عن طريق هذه الآلية، بناؤه النفسي والعقلي، الذي

---

١. موقع إحصاءات كندا، ص ١٦ Statistique Canada

[https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3\\_1-1-fra.cfm](https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm).

يمكنه من إدراك شخصه والعالم المحيط به". وفي مرحلة الطفولة، كما في المراحل الأخرى من الحياة، تكون الهوية أشبه بالآلية الديناميكية دائمة التكوين. وتتغذى هذه الهوية، التي تحدد علاقة الطفل بمحيطه، من الروابط الاجتماعية التي ينسجها الطفل مع الآخرين. ووقود هذا التفاعل والتواصل هو اللغة.

للهوية مكونان رئيسان: معرفى وعاطفى. أما المكون المعرفى فيتكون من الصورة التي لدى الطفل عن جسمه وشخصه ومن مجموعة المعارف والخبرات المكتسبة التي تبنى شخصيته. وأما المكون العاطفى فهو تقدير الطفل لنفسه. وتكوينه العاطفى يؤثر على القدر الذي يعطيه لنفسه. والإدراك الإيجابى يتغذى بالتأكيد من النجاح الذي يحققه الطفل خلال نشأته.

الهوية ظاهرة فردية وجمعية: الهوية الفردية للطفل تعنى السمات التي تجعله فريداً ومميزاً عن الآخرين (اسمه وتاريخ ميلاده وصفاته... إلخ) والصورة التي يكونها فى ذهنه عن نفسه. بينما الهوية الجمعية فتشمل كل السمات التي يشترك فيها الطفل مع المجموعات التي ينتمى إليها، بمعنى أن كل طفل لديه هويات عدة جمعية على اعتبار أنه عضو ينتمى إلى جماعات عدة فى آن واحد. وفى السياق العربى، فإن الطفل ينتمى، على سبيل المثال، إلى جماعته (قبيلته أو عائلته) ووطنه وأمه العربية وأمه الإسلامية على اعتبار أن معظم العرب مسلمون. وباختصار، فإن مكونات الهوية الجمعية الرئيسية للطفل العربى تشمل، بشكل عام، المكون الدينى والثقافى واللغوى والحضارى والتاريخى والجغرافى.

والجدير بالذكر أن الهوية التي بينها الطفل تؤثر على نفسيته وبالآتى على سلوكه. لذلك من المهم أن يتم التركيز على بناء الهوية اللغوية لدى الطفل منذ نعومة أظفاره، حيث إنه إذا زُرِعَ فى نفس الطفل حب لغته، فستنشأ لدينا لاحقاً أجيال تعتر بهويتها اللغوية وتعلي من شأنها.

## ٢) الهوية اللغوية وبنائها لدى الطفل

الهوية اللغوية للطفل العربي تعني أن لغته الأم هي اللغة العربية، وأنه ينتمي، في آنٍ واحد، إلى بلد عربي وأمة ناطقة بلغة الضاد. وهويته اللغوية تعني أيضاً أن اللغة العربية هي من العناصر المركزية الثابتة التي تُكوِّن هويته الفردية والجمعية، وذلك على اعتبار أن هناك علاقة تلاحم حميمي بين اللغة العربية وهوية الإنسان العربي المسلم. أي أن اللغة العربية ليست فقط مجرد أصوات وألفاظ وتعايير وجمل تستخدم للتواصل والتفاعل والتبادل بين أبناء هذه اللغة، ولكن هي أيضاً الوعاء الذي يحوي ويصون عقيدتهم الدينية وتراثهم وثقافتهم وجميع مكونات هويتهم وخصوصياتهم... إلخ.

وهناك، وفق روز - ماري دوغي<sup>(١)</sup>، ثلاثة أنماط تنشئية مختلفة - ولكن مترابطة فيما بينها - تساهم وتؤثر في بناء وتثبيت الهوية اللغوية لدى الطفل. وهذه الأنماط التنشئية هي: التنشئة الاجتماعية والاستقلالية والتوعوية:

- **التنشئة الاجتماعية** تتعلق بالطريقة التي يتم من خلالها إيصال اللغة والمعايير والقيم والأدوار في المجتمع. والتنشئة الاجتماعية اللغوية للطفل تنتج من العلاقات التي ينسجها هذا الأخير مع الجماعة اللغوية التي تعيش في محيطه. وهناك عوامل تؤثر في التنشئة اللغوية للطفل: عوامل خارجية

---

١. موقع إحصاءات كندا، ص ٢١، K K Statistique Canada  
[https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3\\_1-1-fra.cfm](https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm)

كالمؤسسات التعليمية والرفاق ودور العبادة ووسائل الإعلام... وأخرى داخلية تتعلق بالدين والأسرة والوضع الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي للأسرة ... .

– **التنشئة الاستقلالية:** ترتبط التنشئة الاستقلالية للطفل بالقدرة على الضبط الذاتي والعمل المستقل في بيئة ما. وال ضبط الذاتي هو قدرة الطفل على إدارة عواطفه وسلوكه والمهام التنفيذية والعمليات العقلية، وكذلك قدرته على التوقع والتخطيط والتنفيذ. ودافع الطفل في التصرف بشكل مستقل يكون كبيراً إذا سادت الشروط الآتية:

- أن يسمح له باختيار ما يكتشفه ويتعلمه ويبدعه، وأن يتصرف وفقاً لاختياره.
- أن يكون لديه، في أغلب الأحيان، الفرصة لمواجهة التحديات التي تسمح له بالاكشاف والتعلم والإبداع.
- أن يكون لديه القدرة على بناء علاقات شخصية إيجابية ذات قيمة مع الأشخاص من حوله.

– **التنشئة التوعوية:** تتضمن القدرة على التكيف مع الواقع وكذلك القدرة على تغييره. وتتكون هوية الطفل اللغوية من التجارب الشخصية التي تسهم في تشكيل وعيه بالعوامل التي تكبح أو تعزز الحيوية اللغوية لدى الجماعة التي ينتمى إليها. ووصفُ التنشئة التوعوية هو مستوحى من الأبحاث التي قام بها باولا فريير<sup>(1)</sup> (١٩٧٤). وهذا الأخير يشير، من جهة، إلى أن الطفل قادرٌ على أن يكون واعياً بنفسه وبوجوده، ومن جهة أخرى، أن تنمية الوعي النقدي والبناء لديه، تتيح له فرصة التكيف مع واقعه والعمل على تغييره نحو الأفضل.

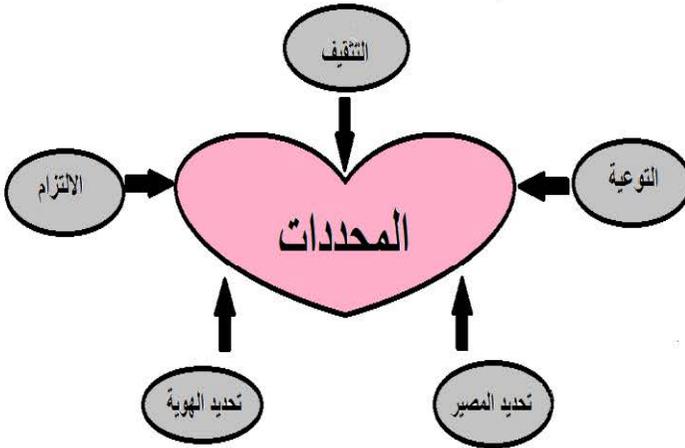
---

1 .Freire, P. (1974). Pédagogie des opprimés: suivi de conscientisation et révolution. Paris: Maspero (2006). Pédagogie de l'autonomie: savoirs nécessaires à la pratique éducative. Ramonville Saint-Agne:Érès.

تسهم هذه الأنماط التنشئية الثلاثة في بناء الكيان اللغوي لدى الطفل. وبعبارة أخرى، فإن بناء هذا الكيان هو نتاج آلية ديناميكية يتم من خلالها تدخل قوى عدة. هذه الأخيرة تؤثر في آن واحد في نفسية الطفل وفي المحيط الذي يعيش فيه.

## الإطار العملي

روز - ماري دوغي<sup>(١)</sup> تقترح خمسة محددات رئيسية يمكن الاعتماد عليها بغية اقتراح أسس نظرية ومن ثم إيجاد تطبيقات تعليمية تهدف إلى المساهمة بشكل فعال في بناء وتنمية مشاعر الاعتزاز باللغة العربية لدى الطفل العربي. وهذه المحددات هي:



١ . المرجع نفسه.

نظراً إلى أنّ هذه المحددات ذات طبيعة ديناميكية وفي تفاعل مستمر، فإنّ الممارسات التعليمية التي سنستوحيها من كل محدد قد تتداخل مع تلك المرتبطة بالمحددات الأخرى. إلا أن لكل محدد له وظيفة أساسية تختلف عن تلك المتصلة بالمحددات الأخرى. لذلك، سأقوم بعرض كل محدد بشكل منفصل. وبعبارة أكثر دقة، سأقوم، فيما يلي، بوصف مقتضب لكل محدد مبيناً الأسس النظرية المرتبطة به، ووفقاً لهذه الأسس، سأقترح بعض التطبيقات التربوية والتعليمية. وبالتأكيد، سأسعى، في هذا البحث، في المقام الأول، إلى إنشاء أساس متين يُمكن لواقعي المناهج والمعلمين والمربين والمهتمين في العالم العربي بالشأن اللغوي الاستناد والبناء عليه بغية المساهمة في تنمية مشاعر الاعتزاز لدى الطفل العربي بلغته.

## (١) التثقيف

التثقيف هنا، كما يعرفه لوجندر<sup>(١)</sup>، هو تعلم الطفل للغة وثقافته. أي: أن الطفل، في الإطار التعليمي على سبيل المثال، وخصوصاً من خلال الأعمال والأنشطة والمشاريع التعليمية الموجهة والهادفة، يستطيع أن يتعلم ويكتشف لغته ومكونات ثقافته. ونظراً إلى تأثير العولمة وانتشار وسائل الإعلام واختلاط الشعوب وتفاعل اللغات والثقافات بعضها ببعض، فإن الطفل أصبح على اتصال، في آن واحد، بلغات وثقافات عدة. لهذا، فإنه إذا لم يُشَبَّع بلغته وثقافته، فسيُتأثر حتماً بلغات وثقافات أخرى بحيث يمكنها

---

1. Legendre, R. 2005. Dictionnaire actuel de l'éducation. Montréal: Guérin.

ملء الفراغ الناتج عن هذا الأمر. وبناءً على ذلك، فمن الضروري أن يُشبع الطفل العربي بمكونات ثقافته إلى جانب تعلمه لغته. وفي هذا السياق، فإن الأسس النظرية المتعلقة بالمحدد التثقيفي يمكن إجمالها بالشكل الآتي:

● أن يتعلم الطفل المهارات اللغوية الرئيسية الأربع (الاستماع والكلام والقراءة والكتابة) مع الأخذ بعين الاعتبار أحدث المنهجيات والطرق في تعليم اللغات.

● أن يتعلم الطفل استخدام لغته بشكل صحيح ودقيق.

● أن يعرف الطفل أصل عائلته والأحداث الرئيسية المتعلقة بشعبه وأمته.

● أن يدرك الطفل مكونات ثقافته القديمة والحديثة: العقائد الدينية والتراث الفكري والعلمي للأمة العربية والتاريخ والأخطار المشتركة والمناسبات العربية المشتركة والشخصيات الدينية والوطنية والقومية التي صنعت مجد الأمة والعادات والتقاليد والأناشيد والأغاني الشعبية وأدب الطفل... إلخ.

هذه هي الأسس التي ستؤخذ بعين الاعتبار، فيما يلي، بغية اقتراح بعض

التطبيقات التربوية المتعلقة بالمحدد التثقيفي:

◀ عند تعليم اللغة العربية للطفل، يجب أن تُستهدف المهارات اللغوية جميعها (الاستماع والكلام والقراءة والكتابة) خصوصاً المهارة الكلامية، وأن تكون مكونات الثقافة العربية متضمنة في المادة المدرسة بحيث يتعلم الطفل لغته، وفي الوقت نفسه، يكتسب مكونات ثقافته.

◀ على عكس الوسائل التربوية التقليدية التي لا تثير غالباً اهتمام الطفل، يُعتبر اللعب من إحدى أفضل طرق التعليم، لهذا أقترح أن يكون هناك تركيز على هذه الوسيلة في تعليم الطفل العربي للغة وثقافته، حيث إنه من خلال الألعاب التربوية والتعليمية الهادفة والبناءة - التي تولد لديه شعور المرح والمتعة والتسلية - ينجذب الطفل بشكلٍ لا إرادي إلى لغته، فيهتم بها وتعلمها، وذلك يجعله محباً لها ومعتزاً بها وبمكونات ثقافته المتضمنة فيها. ولكل عمرٍ أعباءه التي تناسبه ولكل طفل ميوله التي تجذبه. والأمثلة على هذه الألعاب كثيرة، نذكر منها: تشكيل الأحرف بالمعجون يدوياً أو عبر قوالب، تشكيل الكلمات بالأحرف البلاستيكية، تلوين الكلمة وقصها، استخدام المكعبات في بناء مجسمات لرموز ثقافية، بطاقات الأسئلة والأجوبة، إدخال الألعاب التكنولوجية التعليمية الحديثة في حجرة الدراسة كالبرامج والتطبيقات - الموجهة والهادفة - المستخدمة في الحواسيب والأجهزة الذكية والألواح الرقمية، وغيرها. والجدير بالذكر هنا أن العديد من المدارس الكندية أدخلت حديثاً الألواح الرقمية (ما يسمى بـ Ipad/Tablet) إلى حجرة الدرس حيث إنها، وبفضل التطبيقات التعليمية التي تتيحها، أضحت تستخدم كأداة تعليمية ناجعة، في كل المقررات، نظراً لانشداد الطفل الكبير نحوها.

◀ يمكن للطفل، عن طريق الإبداع، التعبير لغوياً وفتياً عن مكونات ثقافته، فيمكنه استخدام صوته لغناء بعض الأناشيد (الدينية أو التراثية أو الشعبية أو الوطنية أو القومية، مثل أغنية طلع البدر علينا) وإلقاء بعض بيوت الشعر أمام زملائه. ويمكنه أيضاً تقليد شخصيات عربية أو إسلامية بارزة

لعبت دوراً هاماً في إبداع ومجد وتقدم الأمة. كما أنه بإمكانه رسم وبناء مجسمات لرموز ثقافية عربية كالكعبة المشرفة والمسجد الأقصى والأهرامات وأبراج بلاد الخليج. ويعتبر المسرح من الوسائل التربوية الهامة التي تسهم في تنمية الطفل لغوياً وثقافياً وعقلياً وفكرياً واجتماعياً ونفسياً، فيمكن لكل صف تنظيم مسرحية ثقافية يتم بوساطتها عرض جانب من جوانب الثقافة العربية.

◀ استخدام وسائل سمعية وبصرية حديثة من أجل عرض مواد هادفة لغوياً وثقافياً كرسوم متحركة أو أفلام تتضمن قصصاً وأحداثاً وحكايات... مقدمة بأسلوب مرح وممتع ومشوق بحيث تشد انتباه الطفل. وبعد ذلك يقوم المعلم بطرح أسئلة على تلاميذه تتعلق بما شاهدوه، ومن ثم يقوم بمحاورتهم بذلك باللغة العربية الفصيحة المبسطة، وعليه أن يلزم تلاميذه باستخدامها معه بشكل صحيح ودقيق. فذلك يسمح للطفل، من جهة، بتعلم كلمات وتعابير لغوية وخبرات ومعارف جديدة مرتبطة بثقافته، ومن جهة أخرى، بتنمية مهارات الاستماع والتفاعل والتعبير الشفوي.

◀ أن تشارك عائلة الطفل في عملية تثقيفه: فيمكن لأحد الأبوين أن يروي لطفله قبل نومه قصة مفيدة ذات مغزى ومعنى باللغة العربية الفصحى من قصص القرآن أو من قصص الصحابة أو من الموروثات الوطنية أو الشعبية. وعلى الأبوين أن يدركا أن طفلهما يتقدم لغوياً بشكل أسرع إذا تكلم معه باللغة العربية الفصيحة، وأقترح أيضاً أن يقوم الوالدين بصحبة طفلهما إلى أماكن تعزز لديه مكونات ثقافته كالمتاحف والمهرجانات

الثقافية، وغيرها. أضف إلى ذلك، فيمكن للوالدين أن يطلبوا من طفلهما أن يقرأ بصوت عالٍ التعليمات وأسماء المحلات والآفات والشواخص ومكونات المواد الغذائية التي يصادفها.

◀ أن يُطلب من كل تلميذ أن يبحث في أصل أجداده، وذلك يجعله فخوراً بانتمائه ومعتزاً بثقافته وبلغته.

◀ الطلب من الأطفال إعداد لوحات صفية تناول جوانب الثقافة العربية أو قاعدة لغوية من قواعد اللغة العربية، وذلك لترسخ مع مرور الوقت في أذهانهم.

◀ أن ينظم كل صف معرض ثقافي بحيث يشمل جميع أركان الثقافة العربية.

◀ إدراج أدب الأطفال المشوق للطفل في المناهج التعليمية.

◀ تنظيم مسابقات لغوية وثقافية.

هذه بعض المقترحات التربوية المرتبطة بالعامل الثقيفي التي يمكنها أن تسهم في تعليم الطفل للغة وبناء وتعزيز مكونات ثقافته لديه. والعامل الثاني الذي يتوجب العمل عليه بغية الوصول إلى الغاية المنشودة هو العامل التوعوي.

## ٢) التوعية

التوعية هي العملية التي يدرك الشخص من خلالها العوامل التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على أمر ما. ويتحقق وعي الطفل اللغوي والثقافي، كما يذكران

الآرد ولاندرى<sup>(١)</sup>، من خلال قدرته على تحديد ورصد وتحليل، بشكل بناءٍ ونقدي، جميع العوامل التي تؤثر سلباً أو إيجاباً على لغته وثقافته وعلى لغة وثقافة الآخرين. ويُمكن الوعي النقدي الطفل من أن يرى بنظرة مختلفة قيمه ومعتقداته، وبالتالي تعميق فهمه للظواهر اللغوية والثقافية. لذلك، فمن الممكن أن تُتاح الفرصة للطفل بأن يفكر في هويته اللغوية والثقافية وفي انتمائه لأُمته العربية، حيث إن مثل هذه الفرص تعينه في تنشئته التوعوية التي تُمكنه من تحليل وفهم وإدراك واقعه اللغوي وكذلك الواقع اللغوي المرتبط بأُمته وشعوب العالم. وبغية اقتراح بعض التطبيقات التربوية التي تسهم في توعية الطفل العربي لغوياً وثقافياً، سأقوم بالارتكاز على الأسس الآتية:

- تنمية شعور التقدير والاحترام لدى الطفل تجاه اللغة والثقافة العربية، وذلك عبر التركيز على عوامل القوة المتعلقة بهما وتلك المرتبطة بالأم العربية.
- توعية الطفل بالتحديات والمخاطر التي تواجه اللغة العربية.
- تعزيز مهارات التفكير والتحليل والحوار لدى الطفل بحيث يصبح قادراً على أن ينتقد، بطريقة بناءة، قيمه ومعتقداته والأحكام المسبقة والصور النمطية التي لديه تجاه لغته وثقافته.
- تحسين قدرته على معرفة وفهم واحترام وتقدير الجماعات اللغوية والثقافية الأخرى الموجودة في مجتمعه وأُمته والعالم.

1 . Allard, R., Landry, R. et Deveau, K. (2004). Conscientisation ethnolinguistique et comportement engagé en milieu minoritaire. Texte d'une communication présentée au colloque La vitalité des communautés francophones du Canada. Montréal, P. Q.

وبناءً على هذه الأسس، سأقترح، فيما يلي، بعض الأفكار التعليمية الهادفة إلى توعية الطفل لغوياً وثقافياً:

◀ على الطفل أن يدرك، بطريقة تتناسب مع عمره، مكانة ودور وأهمية وانتشار وجمال وبلاغة ودقة وثراء... اللغة العربية، بل وقدرتها على استيعاب العلوم والدور الجوهري الذي تلعبه في تشكيل هوية الإنسان العربي وتوحيد الأمة العربية. فعلى سبيل المثال، فى الإطار المدرسى، من الممكن أن يُطلب من كل تلميذ أن يقدم شفويّاً أمام زملائه مزية من مزايا اللغة العربية. ويستطيع التلاميذ فعل الشيء نفسه فيما يتعلق بجوانب الثقافة العربية والإنجازات التى حققها العرب والجوانب المنيرة لديهم. وبعد ذلك، على المعلم أن يناقشهم بما سمعوه على أن يسمح لهم بتحليله وانتقاده وتبيان وجهة نظرهم تجاهه. ومن ثم، يقوم المعلم بإرشادهم وتوجيههم. وذلك يجعلهم يمارسون لغتهم شفويّاً ويقوي ثقتهم بأنفسهم ويعزز من قدرتهم على التفاعل مع أقرانهم. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الإجراء التعليمى يوعيهم بقدر لغتهم ويؤلّد بالآتى لديهم صورة إيجابية تجاهها ممّا يجعلهم يعتزون بها.

◀ أن يعي الطفل أنه يعيش فى بلد عربى وأن بلده هو جزء من الأمة العربية وأن هذه الأمة تتكون من بلدان عدة شعوبها تتكلم اللغة العربية؛ أي أن هذه الأقطار تجمعها عدة جوانب من ضمنها الجانبان اللغوي والثقافي. ومع ذلك، على الطفل أن يدرك أن كل وطن من هذه الأوطان له خصوصيته اللغوية (لهجته العامية) والثقافية وأن فى الوطن العربى شعوباً لغتها الأم ليست العربية كالأكراد. ومن الممكن أيضاً أن تُطرح الثقافة الوطنية لكل بلد من منطلق أنها جزء من ثقافة الوطن العربى وأن الخصوصية الثقافية لكل وطن هى إثراء للأمة العربية وثقافتها. وكإجراء تعليمى، يمكن إبراز البلدان العربية والتركيز على الأمور الثقافية التى تجمعها خصوصاً الجانب اللغوي المتمثل باللغة العربية. فذلك من شأنه أن يوعي الطفل بأنه ينتمى إلى أمة عربية كبيرة أقطارها

تتكلم اللغة العربية، مما ينمى لديه شعور الانتماء إلى هذه الأمة وبالآتي  
اعتزازه بلغتها وثقافتها.

◀ على المناهج أن تُبصّر الطفل بالتحديات والمخاطر (على  
الصعידين العربى والعالمى) التى تواجه اللغة العربية: كتندى مستوى الأداء  
اللغوى فى بعض المجالات كالتعليم والإعلام وهيمنة بعض اللغات العالمية  
(كالإنجليزية والفرنسية) فى بعض البلدان العربية والفجوة بين لغة الضاد  
والمعرفة ومزاحمة العاميات الدارحة للعربية فى بعض المجالات وتدریس  
العلوم باللغات الأجنبية فى معظم الجامعات العربية وغيرها. وفى هذا الصدد،  
من الممكن، على سبيل المثال، للمعلم أن يطرح على تلاميذه السؤال الآتى:  
هل من الضروري على الإنسان العربى أن يُجيد اللغة العربية الفصحى  
ويستخدمها فى جميع المجالات؟ وبعد ذلك يفسح لهم المجال ليفكروا  
ويعربوا عن آرائهم ومعتقداتهم والأحكام المسبقة والصور النمطية التى لديهم  
تجاه لغتهم، ومن ثم يناقشهم ويحاورهم فى ذلك. وفى نهاية المطاف يقوم  
المعلم بإرشادهم وتصحيح أفكارهم المغلوطة وتوجيههم نحو السلوك الذى  
يتوجب على الفرد العربى تبنيه تجاه لغته.

◀ من الممكن، من جانب، أن نبين للطفل أن للآخرين أيضاً لغتهم  
وثقافتهم ودينهم، ومن جانب آخر، أن ننمى لديه حب الاكتشاف وقبول  
الاختلاف مع الآخرين والتسامح والانفتاح عليهم. أى على الطفل أن يدرك  
أن عليه الاعتزاز بأصله وانتمائه ولغته وثقافته وفرض احترام الآخرين له  
ولمعتقداته، كما أن عليه تقبل الآخرين واحترام لغاتهم ومكونات ثقافتهم  
(وذلك وفق قول الله عز وجل: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينٌ} (سورة الكافرون،  
٦). ولكى ندرّب الطفل على ذلك، من الممكن أن نطلب منه: أن يضع  
نفسه مكان الآخرين لكى يدرك ما يشعرون به أو أن يبحث عن الفرق بين  
العرب وأمة أخرى فيما يتعلق بنمط من أنماط الحياة أو أن يكون فى المناهج  
ما يجعله يطلع على خصوصية الشعوب الأخرى أو أن تُدرج فيها صوراً

لأطفال من بلاد أجنبية، ومن ثم يُسأل الطفل عن مكان وجود هذه البلدان وعن اللغات التي تتحدثها شعوبها. كل ذلك يسهل من تكوين وعيه باختلاف الآخرين عنه وبالآتي يجعله يدرك أنه مختلف لغوياً وثقافياً عنهم ويدفعه إلى احترام لغاتهم وثقافتهم، وفي الوقت نفسه، يزيد لديه رغبته بالاندماج مع مجموعته وشعوره بالانتماء إلى وطنه وأمته وتقديره لثقافته وبالآتي اعتزازه بلغته.

### ٣) تحديد الهوية

علاوة على التنقيف والتوعية، فمن الممكن أيضاً إعانة الطفل على تحديد هويته وخاصة انتمائه إلى لغته. وتحديد الهوية، بحسب لوجندر<sup>(١)</sup>، هو العملية التي يتبنى الطفل من خلالها خصائص مجموعته اللغوية والثقافية بحيث يتطابق معها بشكل جزئي أو كلي. حيث إن، كما تذكر غوز - ماري دوغى<sup>(٢)</sup>، "كون الفرد جزءاً من مجموعة لغوية وثقافية فإن ذلك لا يُؤلّد لديه تلقائياً شعور الولاء أو الانتماء إلى هذه المجموعة." وفي هذا السياق يضرب محمود حافظ<sup>(٣)</sup> المثال الآتي: "إن في مصر ٢٥٠ مدرسة أجنبية تُعلّم

---

1. Allard, R., Landry, R. et Deveau, K. (2004). Conscientisation ethnolangagière et comportement engagé en milieu minoritaire. Texte d'une communication présentée au colloque La vitalité des communautés francophones du Canada. Montréal, P. Q.

٢. المرجع نفسه، ص ٢٣.

٣. محمود حافظ (١٩١٢ - ٢٠١١) تولى رئاسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١١، وهو أول مصري يحصل على شهادات الدكتوراه في علم الحشرات، وثاني مصري يجمع بين رئاسة مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي بعد عميد الأدب العربي طه حسين. توفي حافظ عام ٢٠١١ بعد مرور أسبوع واحد من حريق المجمع العلمي إثر احتجاجات شهدتها القاهرة في نفس العام.

علومها في غياب اللغة العربية تماماً، إضافة إلى جامعات أجنبية، وهذا الأمر سيؤدي بعد جيل أو جيلين إلى وجود طبقة اجتماعية لا تنتمي إلى مصر ولا إلى اللغة العربية، بل تنتمي إلى لغات أجنبية وإلى بلدان تلك اللغات." (١)

وبناءً على ما سبق، فسأقترح، فيما يلي، بعضاً من الأسس التي من الممكن الاستناد عليها بغية إعانة الطفل على تحديد كيانه اللغوي:

- عرض نماذج لأمم تعترف بلغاتها.
- إظهار قيمة وأهمية ومكانة اللغة العربية.
- إبراز العلاقة الوطيدة التي تربط اللغة العربية بالدين الإسلامي.
- عرض بعض الأقوال التي تعلي من شأن اللغة العربية.
- تبيان المزايا المتعلقة بكون الفرد ناطق باللغة العربية.
- تنمية مشاعر الافتخار بالانتماء إلى الثقافة واللغة العربية.
- تنمية مشاعر التضامن مع الأمة العربية.

وفيما يلي، سنقوم باقتراح بعض التطبيقات التعليمية المتعلقة بهذا

المحدد:

---

١ . مقتبس من الغامدي، ماجد جعفر: الهوية والقيم.. موت اللغة العربية نموذجاً-٢، موقع: اللغة العربية صاحبة الجلالة، ٢٠١٠.

[http://www.arabiclanguageic.org/view\\_page.php?id=1960](http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=1960)

◀ إدراج حقائق معاصرة في المناهج توضح كيف أنّ الأمم القوية والحية تعتزّ بلغاتها وتحافظ عليها حفاظها على أوطانها وتستخدمها في كافة المجالات. والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

\*النموذج الإسرائيلي: قيام اليهود الصهاينة بإحياء لغة ميتة حيث إنهم جعلوها لغة رسمية تستخدم في كافة الميادين، حتى في تعليم العلوم لا سيما التخصصات الجامعية الدقيقة. أضف إلى ذلك، فإن السياسة الإسرائيلية لا يتحدثون في المحافل الدولية إلا باللغة العبرية اعتزازاً وافتخاراً بها... إلخ.

\*النموذج الفرنسي: اعتزازاً منه بلغته وادراكاً منه لحقيقة أنّها تشكل جزءاً من كيانه وكرامة شعبه، قام الرئيس الفرنسي السابق، جاك شيراك ذات مرة، عندما كان رئيساً للجمهورية الفرنسية، بمغادرة قاعة اجتماع القمة الأوروبية غاضباً إثر سماعه مواطنه الفرنسي -رئيس لوبي الأعمال الأوروبية- يلقي كلمته بالإنكليزية<sup>(١)</sup>.

◀ نظراً إلى أن الغالبية العظمى من العرب هم مسلمون وأن هناك ارتباط وثيق بين الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية - على اعتبار أنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - وأن الإسلام له أثر فاعل في تشكيل الهوية الثقافية للأمة العربية، فيمكن للمناهج أن تشدد على أن لهذه اللغة قدسية ورمزية بالنسبة لكل مسلم، وأن معرفتها ضرورية لممارسة هذا الدين ولفهمه فهماً

---

١. للمزيد من المعلومات المتعلقة بالنموذج الفرنسي، يمكن الاطلاع على سفيان موسى الحامد: فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها، المؤتمر الدولي بعنوان اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس (القسم الثاني)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١٢.

صحيحاً من مصدره، بل عليها أن تبين كيف أن الله - عزّ وجلّ - قد شرّفها في القرآن الكريم حيث ذكرها أحد عشر مرة، فمثلاً قوله تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ {الزمر: ٢٨}، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا...﴾ {الرعد: ٣٧}، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ {الشعراء: ١٩٥}. هكذا، فمن الممكن أن نقود الطفل العربى المسلم إلى أن يدرك أنّ علاقته مع اللغة العربية هى علاقة روحية وأن المحافظة عليها بمثابة المحافظة على الدين بعقائده وتشريعاته، بل على الطفل أن يسلم بأن الاعتزاز بهذه اللغة هو جزء مهم من الاعتزاز بهذا الدين نظراً إلى الارتباط الوثيق والمتلازم بينهما. ويصف الثعالبي<sup>(١)</sup>، فى مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية)، هذه العلاقة الحميمة بهذه العبارات: "من أحبّ الله تعالى أحبّ رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحبّ الرسول العربى أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية التى بها نزل أفضل الكتب كتاب القرآن الكريم {...}، ومن أحبّ العربية غنى بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام {...} اعتقد أن {...} العربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهّمها من الديانة، إذ هى أداة العلم ومفتاح التفقه فى الدين، وسبب صلاح المعاش والمعاد ثم هى لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار...".

◀ يمكن للمناهج أن تتناول، بغية جعل الطفل يزداد انتماءً إلى لغته واعتزازاً وتعلقاً بها، بعضاً من الأقوال التى تُعلي من شأنها وعظمتها، كأقوال

١. الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، (المقدمة)، تحقيق: السقا والإياري وشليبي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨.

الصحابة والسلف والعلماء والأدباء والمستشرقين ونحوهم. فعلى سبيل المثال  
لا الحصر:

\* قول الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : "عليكم بالفقه  
في الدين وحسن العبادة، والتفهم في العربية. وقال: تعلموا العربية فإنها تثبت  
العقول وتزيد في المروءة." (١) وقول الفاروق أيضاً: "تعلموا العربية فإنها من  
دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم." (٢)

\* قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "اللغة العربية من الدين، ومعرفة فرض  
واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا  
يتم الواجب إلا به فهو واجب." (٣)

\* قول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: "كيف يستطيع الإنسان أن  
يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب  
أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، فلقد اندفع  
الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغف، حتى

---

١. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد: تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق أحمد  
شودان، الطائف، مكتبة المؤيدة (د.ت)، ص ٢٢٥.

٢. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، الكتاب  
المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٩٨٩.

٣. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد  
الفتحي، بيروت، دار المعرفة (د. ت) ابن تيمية، ص ٢٠٧.

إن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة محمد {صلى الله عليه وسلم}.<sup>(١)</sup>

◀ من الممكن أن نسلط الضوء على المكانة التي تبوأتها اللغة العربية في التاريخ؛ حيث إنها كانت عالمياً، ولمدة عشرة قرون، لغة الدين والعلم والحضارة. لذلك، كان أبناء الأمم الأخرى يتسابقون إلى تعلمها، بل منهم من نبغ فيها وشارك على نحو مدهش في وضع قواعدها وجمع معاجمها. وإن نظرة سريعة للتراث المعرفي العربي والإسلامي والعالمي لتبين لنا عمق الدور الذي قامت به لغة الضاد في حمل جزء مهم من الحضارة الإنسانية. بل إنّ التمعن في تنوع مؤلفات الكتاب والشعراء والأدباء والعلماء العرب ليوحى بمدى إسهام العرب في ذلك. حتى إن لغة القرآن هي اللغة الرسمية السادسة في الأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية... إلخ.

هذه بعض الاقتراحات التي إذا طرحت بشكل مناسب لسن الطفل واستيعابه العقلي، فإنه لا يزداد إلا فخراً بلغته وبالآتي انتماءً إليها. فبعد التثقيف والتوعية وتحديد الهوية، على المناهج أن تعلم الطفل كيفية أخذ القرارات المتعلقة بالجانب اللغوي والثقافي.

#### ٤) تقرير المصير

تقرير المصير، كما يعرفه لوجندر<sup>(١)</sup>، هو العملية التي يكتسب الطفل من خلالها القدرة على اتخاذ القرارات وتنفيذها وتحقيق تطلعاته واحتياجاته

١. الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ٣٠٦.

الخاصة دون الاعتماد الزائد على الآخرين. وهذه القدرة تُسمى لدى الطفل، بحسب ديسي وريان<sup>(٢)</sup>، من خلال إشباع ثلاث حاجات أساسية: حاجة الاستقلالية والكفاءة والانتماء. فإذا عملنا على إشباع هذه الحاجات لدى الطفل، فإن ذلك يعزز من قدرته على اتخاذ القرارات. وبعبارة أخرى، إذا تُرك أمام الطفل خيارات عدة متعلقة بحاجاته، فإن ذلك يسهم في تدريبه على تقرير مصيره. وكلما رضي الطفل - إدراكياً وعاطفياً - عن قراراته، فإن ذلك ينمي شعور الكفاءة لديه ويجعله أكثر ثقة واستقلالية عندما يتعلق الأمر بتقرير مصيره في جانب من جوانب حياته.

هكذا، فبعد تثقيف وتوعية ومساعدة الطفل في تحديد هويته، علينا التركيز على تنمية قدرته على اتخاذ قرارات إيجابية تجاه لغته. ولبلوغ هذه الغاية، يمكن، وفقاً لروز ماري دوغي<sup>(٣)</sup>، الاعتماد على الأسس الآتية:

- أن نوعي الطفل بأنه فريد ومختلف عن الآخرين لغوياً وثقافياً.
- أن نحدّث إمكانات ومواهب الطفل في الأنشطة اللغوية والثقافية.
- أن نجعل الطفل يؤكد هويته اللغوية والثقافية وعلى مسؤوليته عن أفعاله.
- أن نتيح المجال للطفل أن يتخذ قرارات لغوية وثقافية وأن يتحمّل

١. الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ٣٠٦.

2. Déci, E. et Ryan, R. (1985). Intrinsic motivation and self-determination in human behavior. New York : Plenum Press.

٣. المرجع نفسه، ص ٣١.

## العواقب المرتبطة بذلك.

- أن نسمح للطفل أن يتخذ مواقف في المسائل اللغوية والثقافية.

نلاحظ أن عامل تقرير المصير يرتبط بشكل وثيق بعوامل التثقيف والتوعية وتحديد الهوية التي تناولته سابقاً، وهذه العوامل الثلاثة تؤثر بشكل كبير في عملية اتخاذ الطفل لقرارات تتعلق بلغته، حيث إن نوعية هذه القرارات تعتمد إلى حد كبير على نوعية التثقيف والتوعية وتحديد الهوية التي تلقاها ويتلقاها الطفل. ومع ذلك، فمن الممكن التركيز على تنمية قدرة الطفل في تقرير مصيره اللغوي، وذلك عبر إتاحة الفرصة له بتبني مواقف لغوية تتناسب مع ثقافته ووعيه وهويته. وعلى الطفل أن يدرك أن عليه، قبل اتخاذ أي قرار، أن يفكر في العواقب الناجمة عن اختياره ويحسب لكل خيار حسناته وسيئاته، وعلى ضوء ذلك يتخذ موقفه. والجدير بالذكر أن هذه الاستقلالية تسهم في بناء الحس النقدي لدى الطفل وتجعله يحدد معتقداته ويعبر عن آرائه ومشاعره وأفكاره فيما يخص لغته وثقافته. والأساليب التعليمية التي تساعد في بلوغ هذه الغاية كثيرة، فمن الممكن أن يُقدم للطفل - بشكل خاص - بعض المواقف أو القضايا اللغوية، وأن يطلب منه بعد ذلك أن يتخذ قراراً إيجابياً محدداً تجاه كل موقف، مبيناً العلة المرتبطة بقراره. ونكتفي بذكر أربعة أمثلة من هذه المواقف:

## ◀ الموقف الأول: يذكر بلال عبد الهادي<sup>(١)</sup>: "نحن أمة تثير السخرية

لأننا أمة تسخر من لغتها. ولقد سمعت بأذني فتاة تقول لزميلتها بشفتين متقرزتين: "يا ااع يُتْقري عربي؟" وكأن القراءة بالعربية، في هذا الزمن، ضرب من البغاء اللغوي!" فبعد قراءة الطفل لهذا الموقف، يمكن أن يُطلب منه: أن يبدي رأيه تجاه ذلك أو أن يكتب رسالة افتراضية - للفتاة التي قالت هذه العبارة - يعرب فيها عن وجهة نظره حيال ما قالته أو أن يضع نفسه مكان الفتاة - التي قيلت لها هذه الجملة - بحيث يقوم بالرد بشكل مناسب على قائلة هذه العبارة... إلخ.

## ◀ الموقف الثاني: روت سرى سبع العيش<sup>(٢)</sup>، هذه القصة:

"{...} تذكرت أنني قبل ستة عشر عاماً عندما ذهبت لشيكاغو لحضور المؤتمر المثوي للأكاديمية الأمريكية لطب العيون، وقابلت السيد بنجامين بويد، رئيس تحرير مجلة إضاءات في طب وجراحة العيون {....التي} تصدر بسبع لغات إضافة للأصل الإنجليزي، فاقترحت عليه أن تصدر المجلة باللغة العربية أيضاً لأننا عرباً نفضل ذلك، نظر إلي وشهق وقال لي حينها: سيدتي هذا مفاجئ لي، لأنني أعرف كثيراً من أطباء العيون العرب وبعضهم أصدقاء لي، ولم يسبق أن اقترح أحد منهم أن تصدر المجلة باللغة العربية، وأنا أرحب

١. عبد الهادي، بلال: حكي جرائد: التسويق اللغوي، جريدة الإنشاء، العدد، ٧٠٧١، ٢٠١١.

[www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7](http://www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7)

٢. سبع العيش، سرى: مرحى.. اللغة التركية والطربوش التركي، مقال صدر في صحيفة الرأي الأردنية

بتاريخ ١٠-٣-٢٠١٤.

بذلك، نعم لم لا تصدر بالعربية..؟ وزيادة على إصراري وتشجيعي له قلت إن جمعية تعريب العلوم الطبية في الأردن، وحيث كنت رئيستها في ذلك الوقت، ستقوم بترجمة النشرة للعربية مجاناً في السنة الأولى، ففي الترجمة إعزاز للغة العربية. ولكن بعد شهر من المراسلة أخبرني بأن رئيس المجلس العربي لطب العيون في ذلك الوقت مر عليه وعندما أخبره بلقائي به واقتراحي بإخراج طبعة عربية للمجلة وعرض عليه الفكرة، أقنعه بأن ذلك غير ضروري، لأن الأطباء العرب يفضلون اللغة الإنجليزية.. ولن يقرؤوا الطبعة العربية إذا أنجزت، وأن العربية لا تصلح لغة للطب..!". ومن الأسئلة التي يمكن أن تطرح حول هذه القصة بغية تدريب الطفل على تقرير مصيره اللغوي: ما ردة فعلك تجاه تصرف كل من هذين الطبيين العربيين تجاه اللغة العربية؟ لو طُلب منك أن تتبنى موقفاً من بين هذين الموقفين، فأيهما ستختار؟ ولماذا؟ هل تؤيد ما قيل في نهاية هذه القصة: "العربية لا تصلح لغة للطب؟"

### ◀ الموقف الثالث: كتب ربيعة الكواري<sup>(١)</sup>: "اللغة العربية من اللغات

العالمية الرسمية داخل مبنى منظمة الأمم المتحدة في مدينة نيويورك الأميركية بجانب اللغات الآتية وهي: - اللغة الإنجليزية - اللغة الفرنسية - اللغة الإسبانية - اللغة الروسية - اللغة الصينية. ولكن يتردد منذ فترة أن النية تتجه

---

١. الكواري، ربيعة: لماذا تُهمّش اللغة العربية في المدارس الأجنبية رغم أنها لغة الدولة الرسمية؟! مقال صدر في جريدة الشرق القطرية، تاريخ ٢٠٠٩/١١/٢.

نحو إلغاء اللغة العربية من بين اللغات العالمية الرسمية داخل منظمة الأمم المتحدة الدولية وذلك لأسباب عدة منها:

أولاً: عدم استخدام ممثلي "الدول العربية" اللغة العربية في الأمم المتحدة، لكونهم دائماً ما يستعملون اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية.  
ثانياً: عدم وجود مترجمين عرب على قدر من الكفاءة يجيدون اللغة العربية.

ثالثاً: عدم وفاء أغلب البلدان العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية داخل منظمة الأمم المتحدة."  
والأسئلة التي يمكن أن تطرح على التلاميذ حول هذا الموقف كثيرة، نذكر منها: لو كنت ممثلاً لدولة عربية في الأمم المتحدة وكنت تجيد على الأقل إحدى لغات هذه المنظمة بالإضافة إلى اللغة العربية، فأى لغة سوف تستخدم في عملك في هذه المنظمة؟ ولماذا؟ وهل ترى أنه من الضروري أن تبقى العربية لغة رسمية نابضة لها كينونتها في هذه المنظمة؟ علل إجابتك؟ ولو كنت مسؤولاً عربياً، فهل ستحث حكومتك على أن تفي بالتزاماتها المالية المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية داخل هذه المنظمة؟ ولماذا؟

◀ **الموقف الرابع:** كثير من العرب اتجهت أنظارهم نحو التعليم الأجنبي والهدف هو حصول الطالب على مستوى عال من اللغة الإنجليزية ودراسة المواد العلمية وخاصة الرياضيات والعلوم باللغة الإنجليزية. والسبب الرئيسي هو الصعوبات الكثيرة التي تواجه الطلاب أثناء الدراسة في الخارج. وقد يختار بعض الآباء إلحاق أبنائهم بمدارس داخلية في الخارج رغبة منهم في نوع مميز من التعليم يرافقه تنمية للمهارات الحياتية والفكرية التي تفتقدها استراتيجيات التعليم في مناهجنا ومدارسنا. والبعض الآخر قد يتوجه نحو التعليم في المدارس العالمية داخل الوطن التي تتبنى التوجه العلمي نفسه في

الخارج. والأسئلة التي يمكن أن تطرح حول هذا الواقع: ما رأيك بالإنسان العربي الذي يلحق أبناءه بمدرسة أجنبية؟ ولو أراد والدك أن يلحقك بمدرسة أجنبية، فماذا ستكون ردة فعلك وشعورك تجاه ذلك؟ وهل ستفعل الشيء ذاته مستقبلاً مع أبنائك؟

هذه بعض من الأمثلة التي تتيح للطفل أن يتخذ قرارات ذات طابع لغوي. وهذا الأمر يجعله يدرك أن رأيه فيما يتعلق بلغته مهم؛ مما قد يشعره بأنه مسؤول عنها وحام لها، وبالاتى تنشأ على الأغلب علاقة إيجابية بينه وبينها. وهذه العلاقة الإيجابية تعتمد، كما ذكرت سابقاً، على نوعية التثقيف والتوعية وتحديد الهوية التي تلقاها - ویتلقاها - الطفل. وبهذه الطريقة، سيكون الطفل أكثر حرصاً على الالتزام بقرارات لغوية كان هو جزءاً من عملية اتخاذها.

## ٥) الالتزام

الالتزام، كما يعرفه فرير و أالارد<sup>(١)</sup>، هو العملية التي تقود إلى العمل. والمقصود بالعمل هنا: تحديد الأهداف وصياغة النوايا والسلوك ووضع الخطط والتصرف كمواطن مسؤول فيما يتعلق بقضايا اللغة والثقافة. وانخراط الطفل في العمل اللغوي يعتمد على مدى فهمه للعوامل التي تؤثر على واقعه اللغوي والثقافي. ولا يلتزم الطفل لغوياً وثقافياً إلا عندما يتبنى معتقدات تحثه

---

1 . Ferrer, C. et Allard, R. 2002. La pédagogie de la conscientisation et de l'engagement: pour une éducation à la citoyenneté démocratique dans une perspective planétaire. Première partie: Portrait de la réalité sociale et importance d'une éducation à la conscientisation critique et à l'engagement. Éducation et francophonie, 30(2).

<http://www.acelf.ca/revue/30-2/articles/04-ferrer-1.html>

على إعلاء لغة وثقافة المجموعة التي ينتمي إليها. وآلية الالتزام مرتبطة بشكل وثيق بعامل التوعية، لأن الوعي بأمر ما يتبعه غالباً التزام به.

ولتوجيه الطفل العربي نحو الالتزام تجاه لغته، أقترح أن ندعوه إلى وضع أهداف وإعداد خطط والانخراط في مشاريع من شأنها أن تعيد للغة الضاد مكانتها وهبتها على كافة المستويات. ويُسمى سلوك الالتزام لدى الطفل بالموازاة مع تنمية وعيه النقدي بعلاقات القوة الإيجابية أو السلبية المرتبطة بمجموعته اللغوية والثقافية. وفي هذا السياق تذكر روز - ماري دوغي<sup>(١)</sup> أن هناك ثلاث درجات من الالتزام تجاه اللغة والثقافة: إبراز القيمة والتأكيد والمطالبة. ووفقاً لهذه النقاط الثلاث، فإنها تقترح بعض الأسس التي يمكن الاعتماد عليها بغية جعل الطفل يلتزم تجاه لغته وثقافته:

- يعطي، من خلال إجراءات ملموسة، قيمةً للغته وثقافته.
- يؤكد على هويته اللغوية والثقافية في مختلف السياقات.
- يحدد أهدافاً ويشارك في مشاريع ترمي إلى تغيير الواقع اللغوي لأُمته.
- يضع وينفذ استراتيجيات محددة تهدف إلى إصلاح الوضع اللغوي لأُمته.
- يطالب باستعادة الحقوق اللغوية لأُمته

١. المرجع نفسه، ص ٣٢.

عديدة هي الممارسات التعليمية التي يمكن لمناهج اللغة العربية اعتمادها بغية غرس شعور الالتزام لدى الطفل تجاه لغته، وأقترح منها ما يلي:

◀ بعد توعية الطفل بالأخطار والتحديات والتهديدات التي تواجه اللغة العربية على الصعيدين الداخلي والخارجي، يمكننا أن نطلب منه أن يتناول بعضاً من هذه الإشكاليات بحيث يضع خططاً ومشاريع لمواجهتها ويقترح استراتيجيات وحلولاً للتصدي لها. ويمكن حثه أيضاً على أن ينقل إلى أفراد محيطه الحلول التي وجدها للمخاطر التي تعصف بلغته بحيث يشارك في زيادة وعيهم اللغوي.

◀ أقترح أن تُقدم للطفل خبرات سابقة لأشخاص ضربوا - أو يضربون- أمثلة في الالتزام تجاه لغاتهم، وأن تطلب منه بعد ذلك الاستناد عليها من أجل إبداع أفكار جديدة واقتراح أفعال ملموسة وتبني تصرفات واقعية بغية النهوض باللغة العربية ونصرتها وإعلاء شأنها ومكانتها. والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن سأكتفي هنا بعرض مثالٍ واقعيٍّ ملموسٍ يبين كيفية التزام الأشخاص تجاه لغتهم، وهذا المثال متعلق بعائلة جزائرية (تقطن معنا في كندا): وعلى الرغم من أن جميع أفرادها يجيدون اللغة الفرنسية والإنجليزية وأن المحيط العام ناطق بالإنجليزية وأن أبناءها ملتحقون بمدارس فرنسية، إلا أن جميع أفراد هذه العائلة ملتزمون، رغم العوائق المحيطة بهم، بالتحدث فيما بينهم، طوال الوقت، باللغة العربية الفصحى فحراً واعتزازاً بها ووعياً دينياً

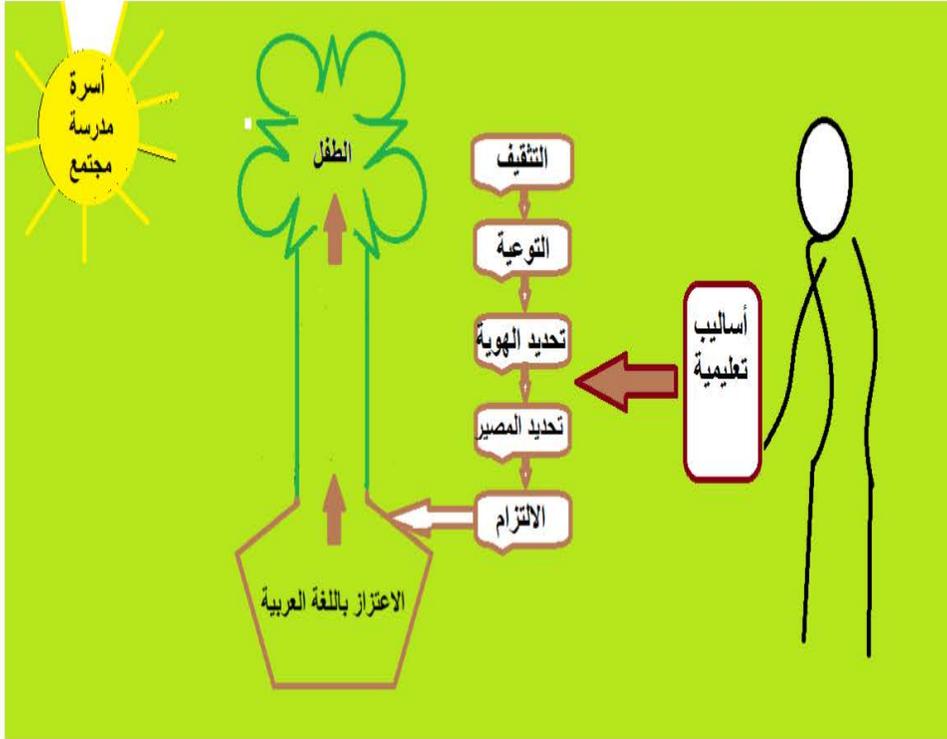
بأهميتها بالنسبة لهوية الإنسان العربي المسلم. والالتزام اللغوي لهذه العائلة اللغوية أضحى مثلاً يحتذى به بالنسبة لعائلات أخرى.

◀ يمكن تنظيم مناقشات صافية حول الأسئلة الآتية: ما هي حقوق اللغة العربية على كل إنسان عربي؟ أو ما هي واجبات العرب تجاه لغتهم؟ وما دور الطفل العربي في نهضة ونصرة لغته؟ فيمكن، على سبيل المثال، للمعلم، قبل ذلك، أن يطلب من تلاميذه أن يحضروا هذه المواضيع في البيت بمشاركة الأسرة بحيث يبحثوا عن أفكار وأمثلة واقتراحات... إلخ، ومن ثم يأتوا إلى حجرة الدرس لمناقشة هذه المواضيع مع أقرانهم، وذلك من شأنه أن يزيد من وعيهم والتزامهم تجاه لغتهم.

هذه بعض المقترحات التي يمكننا البناء عليها من أجل بث روح الالتزام لدى الطفل تجاه لغته. وهناك علاقة وثيقة بين الالتزام والاعتزاز، أي أن الالتزام يولد اعتزازاً والاعتزاز يحث على الالتزام. وأعتقد أن اعتزاز الطفل بلغته ليس كافياً، ولكن عليه أيضاً أن يتعلم كيفية توجيه طاقاته بشكل جدي نحو تغيير واقعها نحو الأفضل. وهذا الالتزام من شأنه أن يجعل الطفل العربي، في المستقبل، مفكراً لغوياً، بل سياسياً لغوياً يرسم الخطط الهادفة والوجيهة ويطبقها بغية الإسهام في إعلاء مكانة لغته، حتى ولو اقتصر ذلك على محيطه.

وقبل أن أحتتم، أود إجمال الأفكار الرئيسية التي وردت في هذا البحث

بالرسم الآتي:



## الخاتمة

نظراً إلى أن هناك أزمة حقيقية بين لغة الضاد وأبنائها فيما يتعلق بمشاعر اعتزازهم بها، وحرصاً مني على جعل العرب بارين بلغتهم الأم وبالآتي حامين وناصرين لها، قمت، في إطار هذا البحث، باقتراح أساليب تعليمية يمكنها المساهمة في غرس مشاعر الاعتزاز لدى الأطفال العرب - منذ نعومة أظفارهم - بلغتهم.

ولتحقيق أهداف هذا البحث، قمت بعرض بعض الأسس النظرية التي اعتمدت عليها لاحقاً بغية اقتراح تطبيقات عملية تسهم في بلوغ الغاية المرجوة، حيث ارتكزت بشكل رئيسي على خمسة محددات نظرية: التثقيف والتوعية وتحديد الهوية وتحديد المصير والالتزام. ونظراً إلى أن لكل محدد وظيفة أساسية تختلف عن تلك المرتبطة بالمحددات الأخرى، قمت بتناول كل واحد منها على حدة. وبعبارة أكثر دقة، قمت بوصف مقتضب لكل محدد مبيناً الأساس النظري المرتبط به، ووفقاً لذلك، اقترحت بعض التطبيقات التربوية والتعليمية لبلوغ أهداف هذه الدراسة. ولاحظت أن بعض هذه الممارسات التعليمية قد تداخلت فيما بينها، وذلك لأن المحددات ذات طبيعة ديناميكية وفي تفاعل مستمر.

وفي النهاية، أود التنويه إلى أن الهدف الأساسي من هذه الإسهامة المتواضعة هو إنشاء أرضية تُمكن لواعى المناهج والمعلمين والمربين والآباء والمهتمين بشأن اللغة العربية، في العالم العربي، الاستفادة منها والارتكاز والبناء عليها بغية العمل على بلوغ الهدف المنشود. ومن باب غيرتى على لغة القرآن الكريم والتزامى نحوها، فإنى أُهيب بنفسى، من جهة، وبالباحثين، من جهة أخرى، الاستمرار فى عمل مزيد من البحوث التى تسهم فى تطوير مكانة لغة الضاد لدى أبنائها. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هنا هو: كيف يمكننا تطبيق الأفكار الواردة فى هذه الدراسة على أرض الواقع، بحيث لا تبقى حبراً على ورق؟!

وهذا أقل شيء يمكننا فعله - من أجل الالتزام - تجاه لسان القرآن

الكريم.

## المصادر والمراجع

### أ) المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض: مكتبة الرشد، ط ١، ١٩٨٩.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، اقتضاء الصراط المستقيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة (د.ت).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد: تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق: أحمد شودان، الطائف، مكتبة المؤيدة (د.ت).
- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، (المقدمة)، تحقيق: السقا والإياري وشلبي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨.
- الجندي، أنور: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.
- الحامد، سفيان: فرنسا كنموذج يحتذى به في مجال دفاعها عن لغتها، المؤتمر الدولي بعنوان اللغة العربية ومواكبة العصر، المحور الخامس (القسم الثاني)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠١٢.
- الغامدي، ماجد جعفر: الهوية والقيم. موت اللغة العربية نموذجاً - ٢، موقع: اللغة العربية صاحبة الجلالة، ٢٠١٠.

[http://www.arabiclanguageic.org/view\\_page.php?id=1960](http://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=1960)

- الكواري، ربيعة: لماذا تُهمّش اللغة العربية في المدارس الأجنبية رغم أنها لغة الدولة الرسمية؟! مقال صدر في جريدة الشرق القطرية، تاريخ ٢-١١-٢٠٠٩.

<http://www.qataru.com/vb/archive/index.php/t-109766.html>

- بن حميد، صالح بن عبدالله: الدفاع عن لغة القرآن، خطبة جمعة/المسجد الحرام، مكة المكرمة، ٢٠٠١.

<http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=4418>

- سبيع العيش، سري: مرحى.. اللغة التركية والطربوش التركي، مقال صدر في صحيفة الرأي الأردنية بتاريخ ١٠-٣-٢٠١٤.

- صدار، نور الدين: دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة.

<http://conferences.ju.edu.jo/sites/Alin/Research/الدين%٢٠%صدار20%نور.pdf>

- عبدالهادي، بلال: حكي جرائد: التسويق اللغوي، جريدة الإنشاء، العدد، ٧٠٧١، ٢٠١١.

[www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7](http://www.al-inshaa.com/news.php?IssueAr=227&id=11505&idC=7)

#### ب) المصادر الأجنبية

-Allard, R., Landry, R. et Deveau, K. (2004). Conscientisation ethnolangagière et comportement engagé en milieu minoritaire. Texte d'une communication présentée au colloque La vitalité des communautés francophones du Canada. Montréal, P. Q.

-Déci, E. et Ryan, R. (1985). Intrinsic motivation and self-determination in human behavior. New York : Plenum Press.

-Duguay Rose-Marie, 2008, Identité culturelle, identité linguistique et sentiment d'appartenance: pillagers de l'apprentissage chez les jeunes enfants en service de garde. Rapport de recherche, Université de Moncton.

-Freire, P. (1974). Pédagogie des opprimés : suivi de conscientisation et révolution. Paris : Maspéro ; (2006). Pédagogie de l'autonomie : savoirs nécessaires à la pratique éducative. Ramonville Saint-Agne : Érès.

-Ferrer, C. et Allard, R. 2002. La pédagogie de la conscientisation et de l'engagement : pour une éducation à la citoyenneté démocratique dans une perspective planétaire. Première partie : Portrait de la réalité sociale et importance d'une éducation à la conscientisation critique et à l'engagement. Éducation et francophonie, 30(2).

<http://www.acelf.ca/revue/30-2/articles/04-ferrer-1.html>

-Legendre, R. 2005. Dictionnaire actuel de l'éducation. Montréal: Guérin

Statistique Canada-

[https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3\\_1-1-fra.cfm:](https://www12.statcan.gc.ca/census-recensement/2011/as-sa/98-314-x/2011003/tbl/tbl3_1-1-fra.cfm)

## الدلالة الوظيفية لـ"لعل" في القرآن الكريم ودور السياق في توجيه معانيها

الدكتور مراد حميد عبد الله العبدالله

### توطئة

يسلط هذا البحث الضوء على إحدى أحوات "إن واخواتها" وهي "لعل" وما لها من دور بارز في توجيه الدلالة السياقية للنص، لاسيما النص القرآني الذي وظف هذه الأداة في آيات عدة، فكان من شأنها أن تؤدي دلالات محددة وفق المنظور السياقي العام والخاص، في حين لم ننس استعمال العرب لها وما تؤديه من دلالات ومعانٍ خارج النص وداخله فضلاً عن صورها المتعددة وأشكالها التي ما نرى منها مستعملاً بكثرة، في حين الصور الأخرى لا نرى لها أي استعمال يذكر في القرآن خصوصاً وندرته في الشعر والكلام العربي، وقد قُسم البحث إلى قسمين رئيسيين، هما:

القسم الأول: الجانب النظري: الذي ركز على تتبع استعمالات "لعل" واستقراء معانيها وصيغها وصورها عند النحاة العرب القدامى، وقد اعتمدنا على أمهات كتب النحو في تتبع ذلك.

القسم الثاني: الجانب التطبيقي: الذي ركز على توظيف "لعل" وصورها في الآيات القرآنية وما تؤديه من معانٍ وفق السياق التوظيفي لها، ومن ثم اخترنا بعض النماذج التي وظفت هذه الأداة فضلاً عن التحاقها بالضمائر، وما قد يصاحب ذلك من تغير في دلالتها الوظيفية تبعاً لسياق الحال العام.

### القسم الأول

## المدخل النظري

### آراء النحاة حول "لعل" في التراث العربي القديم:

تعد "لعل" أحد الأحرف المشبهة بالفعل، وقد شبهت بالأفعال؛ لأنها لا تدخل إلا على الأسماء، وسميت كذلك لأنها تشبه الفعل التام المتصرف المتعدي معنى ولفظاً من حيث تكوينها الثلاثي لذلك كانت مشابهتها للأفعال أقوى؛ فكان عملها أقوى، فضلاً عن أن الحروف كلها مبنية وهي لا محل لها من الإعراب أي أنها لا تتأثر بالعوامل، وهذا يعني أنها لا تأخذ موقعاً وظيفياً من الجملة فلا تكون فاعلاً أو مفعولاً أو غير ذلك، في حين ذهب النحاة إلى تعريف الحرف أنه ما دل على معنى في غيره أي أنه ليس له معنى مستقل يقتضي أن يكون له موقع في الجملة لينتج عنه حالة إعرابية، وتنتهي "لعل" إلى فئة النواسخ العربية كونها إحدى أخوات "إن" الثمانية، أما وظيفتها النحوية فلا تتعدى وظيفة أخواتها وباتفاق أغلب النحاة، إذ تدخل على المبتدأ والخبر فتقوم بنصب المبتدأ اسماً لها وتبقي على رفع الخبر ليكون خبراً لها<sup>(١)</sup>، وقد اتفق النحاة على أن هذه الحروف قد عملت عمل الفعل

١- انظر: النحوي، ابن علي بن يعيش، شرح المفصل، مصر: إدارة الطباعة المنيرية، ٨٥-٨٦، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (١٩٩٤م)، المقتضب، تحقيق: محمد عبدالحالقي عزيمة، القاهرة: مطبعة الأهرام، ط ٣، ج ٤، ص ١٠٨-١٠٩، والرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النحفي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج ٤، ص ٣٣١، وعبد، داود، (١٩٩٨م) التطبيق النحوي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ٢، ص ٣٣.

فأشبهت وظيفتها وظيفه الفعل من جهتين هما: (١)

١- من جهة اللفظ: لأنها مبنية على الفتح وتركيبها من ثلاثة حروف

كالأفعال الماضية وإمكانية دخول نون الوقاية عليها.

٢- من جهة المعنى: ذهب بعضهم إلى أنها تحمل معنى الفعل

"ترجيت"، فضلاً عن أن هذه الأحرف تطلب الأسماء وتختص بالدخول

عليها، فتنصب المبتدأ تشبيهاً لها بما تقدم مفعوله على فاعله، نحو

قولنا: "ضرب زيداً عمرو"، وقيل: إنه قدّم المنصوب على المرفوع قصداً

إلى الفرق بينها وبين الأفعال التي هي أصلها.

ويمتاز خبر "لعل" الذي يكون إما اسماً أو فعلاً أو ظرفاً قياساً إلى خبر

"إن"، كما في قولنا "لعل زيداً صديقٌ لك، لعل زيداً في الدار"، ويلاحظ في

خبرها أيضاً أن يكون جملة فعلية فعلها مضارع أو ماض وهي على الشكل

الآتي "لعل الصديقُ قادمٌ، لعل زيداً يقدمُ، ولعل زيداً قام" في حين منع الرماني

والحريري وقوع خبر لعل فعلاً ماضياً<sup>(٢)</sup>؛ لأن ما تدل عليه "لعل" من معنى

---

١- انظر: ابن الأنباري، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله، (١٩٩٧م)، أسرار العربية، تحقيق:

محمد حسين شمس الدين، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية،

ط١، ٩٢-٩٣، وأبو المكارم، علي، (٢٠٠٨م)، الحذف والتقدير في النحو العربي، مصر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ص٧٣، وبابو، غياث محمد، (٢٠٠٩م)، الجملة

الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، (بحث دكتوراه غير منشور)، سوريا: جامعة

تشرين كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، ص٦١.

٢- انظر: السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (١٩٩٨م)، همع الهوامع،

تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،

ط١، ج١، ص١٣٥.

الإشفاق والطمع لا يمكن أن يكون إلا في المستقبل، بذلك لا يجوز أن يأتي خبرهما فعلاً ماضياً، وإن جاء ماضياً فإنه يؤول بالمستقبل<sup>(١)</sup>، في حين ذهب آخرون إلى جواز اقتران خبرها بـ"السين"<sup>(٢)</sup> واستشهدوا بقول الشاعر:

فقلوا لها قولاً رقيقاً      سترحمني من زفرة وعويل  
لعلها

وكذلك يمكن اقتران خبر لعل مع "إن" كما في قولنا "لعل زيدا إن أتيتَه أعطاك" لتسد مسد الخبر، وإذا تركبت "لعل" مع الجملة الاسمية فإنها ستغير المعنى الدلالي لها من جملة محتملة للصدق والكذب إلى جملة لا تحتمل ذلك، فضلاً عن ذلك حدوث تغيير في الصيغة والشكل النحوي لها، نحو لعل بكرةً خارجاً<sup>(٣)</sup>، وذهب المبرد<sup>(٤)</sup> إلى التفضيل في اقتران خبر لعل بـ"أن" من عدمه بقوله: "إذا ذكرت الفعل فهو بغير "أن" أحسن لأنه خبر ابتداء، قال عز وجل: ﴿لَعَلَّ اللّٰهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا﴾ "الطلاق" ١، ووافقه في ذلك ابن يعيش

---

١- انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (١٩٨٣م) معاني القرآن، بيروت عالم الكتب، ط ٣، ج ١، ص ٢٥، واللب، إبراهيم، وبابو، غياث أحمد، أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي، "بحث منشور" مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد ٣٠، العدد ٢، السنة، ٢٠٠٨م، ص ١٥١.

٢- انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، الكويت: السلسلة التراثية، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ٥٢٨.

٣- السابق نفسه، ص ١٥٢.

٤- انظر: المقتضب، المبرد، ج ٤، ص ١٢٨.

في عدم وقوع "إن" المشددة بعد "لعل" إذا كانت تحمل معنى الطمع والإشفاق لأنه يكون أمراً مشكوك في وقوعه، ف"إن" المشددة تكون دالة على التحقق واليقين فلا تقع إلا بعد شيء مؤكد، يضاف إلى ذلك يمكن اقتران خبر لعل بفعل مضارع مقترن بـ"سوف" يحمل معنى التسوية المباشر بوقوع الفعل في المستقبل واستشهدوا بقول الشاعر:

فقولاً له قولاً رقيقاً لعلها سترحمني من زفرة وعويل

وحكى ذلك الأخفش واستشهد بقوله: "لعل زيدا سوف يقوم"<sup>(١)</sup> فضلاً عن ذلك لا تدخل "لعل" على مبتدأ في خبره معنى الطلب؛ سواء أكان ذلك الخبر مفرداً أم جملة ولا يقترن خبرها بالفاء أبداً أيضاً<sup>(٢)</sup>، وذهب آخرون ومنهم قوم بنو عقيل إلى أن "لعل" ما هي إلا حرف جر زائد، نحو قولهم "لعل زيد قائم" واستشهدوا بقول كعب بن سعد:

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

فتعرب لعل في أعلاه حرف جر شبيه بالزائد وأنها ليست حرفاً أصلياً؛ لأنها لا تحتاج إلى تعليق، وفي لعل الجارة أربع لغات وهي: علّ ولعلّ بفتح اللام وأيضاً لعلّ وعلّ بكسر اللام وهو ما أكده ابن مالك أيضاً كونها لغة

١- انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٨، ص ٨٦.

٢- المبرد، المقتضب، ج ٤، ص ٧٣-٧٤.

عقيلية، في حين تكون لعل غير عاملة حين تتصل بها "ما" فتكفها عن العمل<sup>(١)</sup>، واستشهدوا لذلك بقول الفرزدق:

أعد نظراً يا عبد قيس لعلماء أضاءت لك النار الحمار المقيدا

وذهب صاحب الإيضاح إلى أنها ما أن تلحقها "ما" الكافة تنزلها عن العمل لأنها لا تدخل على الأفعال، وحين دخلت على ما يشبه الفعل أخرجتها عن العمل لأنها أصبحت كالجزم منها فكفتها عن العمل وهو البناء على الفتح<sup>(٢)</sup>، وذهب الفراء إلى أنه يجوز في اتصالها بـ"لعل" أن تبقى عاملة وعدم كفها عن العمل نحو قولنا: "لعل ما بكرةً قادمٌ"، وقد وجد ذلك شائعاً عن الكسائي<sup>(٣)</sup>.

### لغات لعل في التراث العربي القديم

انمازت "لعل" بتعدد لغاتها التي ورد سماعها عن العرب، فأخذت بعد ذلك حيزاً كبيراً من اهتمام علماء النحو والعربية على حد سواء، فبدأت عمليات التفسير والتأويل تأخذ مسارها في تفسير هذه اللغات فكانت هناك

---

١- انظر: سلطاني، محمد علي، الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم، "دمشق: دار العصماء، ط١، ٢٠١٠م"، ص١١٧، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص٥٨٦.

١- انظر: ابن الحاجب، أبو عمر عثمان، الإيضاح في شرح المفصل، ج٢، ص١٦٣.

٣- انظر: شرح الرضي على الكافية، ج٤، ص٣٣٩، والأندلسي، ابن حيان، (١٩٩٨م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي،

ط١، ج٢، ص١٥٨.

لغات ورد منها ما كان مستعملاً في كلام العرب وشعرهم ومنها ما كان مسموعاً نادراً لم يصلنا منه سوى أحاديث نادرة، وقد اختلف النحاة في أصل تركيبها هل هي "لعل" أو "عل" فكان الخلاف واضحاً بين نحاة المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية في شأن حذف اللام الأولى من عدمها فتصبح "عل" وتبقى بمعناها وبعملها، فكان الخلاف واضحاً حول أصالة اللام أو زيادتها فذهب نحاة الكوفة إلى عدها لاماً أصلية واحتجوا على أصالتها بأنها حرف ومكونات الحروف أصلية، وذهبوا إلى أن جميع حروف الزيادة "سألتمونها" تختص بالأفعال والأسماء أما الحروف فلا يدخلها شيء منها. وذهب النحاة البصريون إلى عدها لاماً زائدة جائز حذفها، واستدلوا على ذلك بكثرة ورودها وتواترها عن العرب واستشهدوا بأقوال عدة لشعراء عرب منهم:

ولا تُهينَ الفقيرَ عليك أن تركع والدهرُ قد رفعه  
فلما وجدوها مستعملة بهذا الشكل استدلوا على كونها لاماً زائدة، وقد وافق ابن الأنباري الكوفيين في كون اللام الأولى أصلية في "لعل" ورد البصريين فيما ذهبوا إليه<sup>(١)</sup>، في حين ذهب آخرون ومنهم المبرد إلى عدّ اللام الأولى لام ابتداء وقيل إنها زائدة جيء بها لمجرد التوكيد وهو مذهب

---

١- انظر: ابن الأنباري، أبو البركات، (٢٠٠٢م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك محمد جودة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط١، ج١، ص١٧٩-١٨٦.

سيبويه<sup>(١)</sup>، في حين لو فتشنا في القرآن الكريم عن ورود "لعل" على لغة أهل الكوفة فإننا لا نجد لهذه اللغة أي استعمال يذكر، ف"لعل" ورد استعمالها في القرآن دائماً مقترناً باللام ولم ترد بصيغة "لعل"<sup>(٢)</sup>.

لقد اتفق أغلب علماء النحو على أن في "لعل" اثنتي عشرة لغة، وهي

كالآتي:

"لعل، لعلت، عل، لعن، عن، لأن، أن، رعل، رعن، رغن، لغن، غن"، ويتضح من هذه اللغات أن الاختلاف فيما بينها لا يخرج عن خلاف القبائل في نطق الحروف، فاللغة المشهورة الاستعمال هي "لعل وعل"، في حين أبدلت اللام نوناً فليل "لَعْنٌ، وَعَنْ" ومن ثم أبدلت العين همزة فليل "لَأَنَّ" وأن"، وكذلك أبدلت اللام راء فليل رعل<sup>(٣)</sup>. لكن عند تصفحنا لأغلب كتب اللغة عند القدماء وتجوّلنا بين أبيات الشعر العربي القديم لم نجد استعمالاً واضحاً لهذه اللغات سوى ما وجدناه من استعمال "لعل وعل" على الرغم من إقرار النحاة بذلك، وإذا ما انتقلنا إلى القرآن وجدنا أنه يؤيد هذا الرأي فلم

---

١- انظر: المرادي، الحسن بن قاسم المرادي، (١٩٩٢م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ص ٥٨٠، وسيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (د ت)، الكتاب، لبنان: دار الجيل، ج ٣، ص ٣٣٢.

٢- انظر: الشريف، محمد حسن، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، ج ٣، ص ٩٢٨.

٣- السابق نفسه، ص ٥٨٢.

نجد سوى استعمال واحد<sup>(١)</sup> وهذا يجرنا إلى شيئين هما: إما أن تكون هذه اللغات قد اندثرت منذ وقت طويل حتى قبل العصر الجاهلي من جانب، وقد تكون موجودة في إحدى اللغات القديمة التي عُثر عليها في الألواح من جانب آخر.

## معاني "لعل" عند العرب

تتضمن الحروف والأدوات في اللغة العربية معاني عدة وهي منفردة، وهذه المعاني لا يمكن أن تتجلى إلا من خلال التركيب، إذ تبرز حدودها وتعين معالمها. وتوظيف الحرف في النص قد يؤدي دلالة مغايرة لينتج عنه اختلاف في الحكم المعد له سلفاً، هذا يعني أن لمقتضى الحال ومقام الكلام أهمية كبرى في تحديد المعنى المراد من هذه الحروف، ومن ثمَّ يكون السياق اللغوي هو الوسيلة الأنجح التي تستعمل لتحديد هذه المعاني، فالحروف ليس لها معنى معجمي؛ لأن ما يتضمنه الحرف من الدلالة إنما يحدده التركيب، غير أن هذه الدلالة غالباً ما تبقى ذات توجهات مختلفة ومحتملة حتى ينتظم الحرف في عبارة تجره لمقصد معين وتزيل ذلك الاحتمال<sup>(٢)</sup>، فالسياق اللغوي ما هو إلا بيئة لغوية للنص من مفردات وجمل

---

١- انظر: عزيمة، عبد الخالق، (د.ت) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث،

دار الحديث، ق ١، ج ٢، ص ٦٠٠-٦٠١، وشرح المفصل لابن يعيش، ج ٨، ص ٨٨.

٢- انظر: قباوة، فخر الدين، التحليل النحوي أصوله وأدلته، القاهرة، الشركة المصرية العالمية

للنشر، لونغمان، ط ١، م ٢٠٠٢، ص ٢١١.

وخطاب<sup>(١)</sup>، فكلما حاولنا أن نفهم معناها في نص محتمل الدلالة، وجدنا أنفسنا مضطرين إلى إعادة الربط السياقي بما قبله وما بعده مما يجعلنا نفهم قصد المتكلم بشكل محدد، فالكثير من القضايا الدلالية يتوقف فهمها على فهم الدلالة التركيبية التي يؤديها الحرف في النص، فالأصل في معرفة هذه الدلالات هو التأمل في الكلام، فضلاً عن أن دلالة الحرف في النص تؤدي إلى الاختلاف في الحكم، لذلك يُعتمد على النصوص القرآنية لفهم معاني الحروف واستنباط أحكامها<sup>(٢)</sup>، فالسياق يشكل الحجر الأساس الذي يُعتمد عليه في تحديد هذه المعاني التي يتضمنها النص اللغوي، فهو يجعل ما حُذف مذكوراً والمضمر ظاهراً والمجمل مبيناً والعام خاصاً والخاص عاماً وما اختلط أمره اتضح وما تعددت أوجهه، حددت بمعنى واحد<sup>(٣)</sup> فضلاً عن توفر مجموعة من القرائن التي تصاحب توظيف هذه الأدوات التي قد يصادف أن يكون للكلمة أكثر من معنى معروف أو متداول، لذلك يكون السياق أحد هذه القرائن، التي تعمل على التفريق والاختيار بين المعاني، ويمكن أن تقسم على قسمين هما<sup>(٤)</sup>:

- 
- ١- انظر: المناع، عرفات فيصل، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ٢٠١٣م، ص ١٣.
  - ٢- انظر: عرابي، أحمد، أثر حروف المعاني في تعدد المعنى، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٩٨، سنة ٢٣/آذار، ٢٠٠٣.
  - ٣- انظر: محمود، المثنى عبدالفتاح، نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية)، الأردن: دار وائل، ط ١، ٢٠٠٨م.
  - ٤- انظر: أثر حروف المعاني في تعدد المعنى، ص ٢٥٩، والسياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص ٢٣.

١- القرائن السياقية المعنوية.

٢- القرائن السياقية اللفظية.

فالأداة ما هي إلا وسيلة يستعان بها لتأدية معنى معين وهي عند المناطق لفظ لا يدل على معنى إلا عند اقترانه بغيره، فاختلف الباحثون في تحديد المفهوم النحوي لها فقليل ما هي إلا حروف المعاني وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، وقيل هي كلمات تستعمل للربط بين المفردات أو الدلالة على معنى غيرها، وقيل إنها تقتصر على حروف المعاني أو تشمل معها الظروف أو هي الحروف التي تحمل معنى نحويًا<sup>(١)</sup>، لذلك لجأ مجموعة من علماء النحو إلى تحديد معاني الحرف المشبه بالفعل "لعل" عبر المعنى العام الذي يحمله الحرف والمعنى السياقي الذي يُحدد معنى الحرف والأسلوب الذي ترد به، فكل أداة وهي مجردة تحمل معنى الفعل أو المصدر أو المشتق أي تحمل الحدث المضمن في أحد هذه العناصر الثلاثة، ثم ترى ذلك يتحقق حين تدخل هذه الأداة في سياق التعبير فتصبح حاضرة المقاصد مثل "كأن العلم نور" أي أشبه العلم بالنور "ليس الشباب دائماً" أي أنفي دوام الشباب، فهذه العبارات تبنت فيها معاني الأدوات من داخل التركيب، فإذا كل منها يمثل مهمة وظيفية نحوية تساعد على إنجاز مقاصد الكلام<sup>(٢)</sup>، قال ابن منظور: "قال الجوهري: لعل كلمة شك... وهي

---

١- انظر: أثر حروف المعاني في تعدد المعنى، ص ٢٠٨.

٢- انظر: التحليل النحوي أصوله وأدلتها، ص ٢٤٣-٢٤٥.

كلمة رجاء وطمع وشك وقد جاءت في القرآن بمعنى كي<sup>(١)</sup>، ومن جهة حاول علماء النحو تحديد معاني لعل عبر مجموعة من الآراء يمكن تلخيصها على الشكل الآتي<sup>(٢)</sup>:

١- التعليل: لقد اتفق كل من الأخفش والكسائي على المعنى العام الذي تحمله لعل وهو التعليل، كما في قوله تعالى: "لعلكم تشكرون، لعلكم تهتدون" أي لتشكروا ولتهتدوا.

٢- الإشفاق والترجي "التوقع": ذهب الفراء وتابعه الزمخشري وآخرون إلى أن "لعل" تحمل معنى الترجي والإشفاق؛ فالترجي هو حدوث أمر ما وارتقاب ويكون في الممكن وتوقع شيء محبوب نحو "لعل الله يرحمنا"، والإشفاق يكون في المكروه نحو "لعل العدو يقدم"<sup>(٣)</sup>، والترجي في اللغة هو الرجاء والأمل وهو نقيض اليأس، واختلفت ماهية معنى الترجي عن معنى التمني من جهة واحدة وهي استعمال التمني في الممكن حصوله أو المحال نحو "ليت الشباب يعود يوماً"؛ لأن ماهية التمني هي محبة حصول شيء سواء أكنت تنتظره وترتقب حصوله أم لا، والترجي لا يكون إلا في الممكن فقط فلا نقول "لعل الشباب يعود يوماً" أي ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، وذهب آخرون إلى أن "لعل" تحمل معنى الطمع والإشفاق، فالطمع هو

---

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د ت)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ج ١٤، ص ١٢٨.

٢- انظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٨٠-٥٨١، والفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٧٨-٢٨٠.

٣- انظر: الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٧٨-٢٨٠.

ارتقاب شيء محبوب نحو قولنا: "لعلك تعطينا" والإشفاق يحمل ارتقاب المكروه نحو قولنا: "لعلك تموت الساعة"<sup>(١)</sup>، وبين الرازي أن هذين المعنيين لا يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة<sup>(٢)</sup>.

٣- إظهار المستحيل في صورة الممكن وهي أن تدل لعل على إمكانية حدوث المستحيل لو توفرت بعض الأمور لإتمامه، واستشهدوا لذلك بقول الشاعر:

أسرب القطا هل من يعير لعلني إلى من قد هويت أطيئ

فذهبوا إلى أن الأمر يبدو قريب التحقيق لا يعيقه سوى استعارة جناح قطاة، وذهبوا إلى أن هذا المعنى نراه في قوله تعالى: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ غافر ٣٦<sup>(٣)</sup>.

٤- ذهب الكوفيون إلى أن لعل تحمل معنى الاستفهام واستشهدوا بتخريج ابن مالك لقوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يتزكى﴾، ﴿لا تدري لعل

---

١- انظر: شرح الرضي على الكافية، ج ٤، ص ٣٣٢، وهمع الهوامع، ج ١، ص ١٣٤، وابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، (١٩٨٠م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (القاهرة: دار التراث)، ط ٢٠٠٠، ج ١، ص ٣٤٦.

٢- انظر: فخر الدين، محمد الرازي، (١٩٨١م)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ج ٢، ص ١٠٠ و ١٢، ص ٢٢٥.

٣- انظر: محمد علي، الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم، ص ١١٨.

الله يحدث بعد ذلك أمراً)، وهذا ما رده البصريون، في حين نجد سيبويه يؤكد خروجها للاستفهام ويقول في "لعل زيدا قائم" أي هل هو كذلك؟<sup>(١)</sup>.  
نلاحظ من خلال تحديد هذه المعاني اعتماد أغلبها على بعض الأقوال والآيات التي حددت معاني معينة وفقاً لسياقات محددة، لكن ما أن تربط هذه الأداة بسياق موقف خارجي بيئي غير لغوي يمكن أن يعطينا معنى مغايراً لما حددته هذه المقولات والآيات، وهذه البيئة تُخضع الأداة بالقوة لما تريده من معاني توجهها حسب مقتضيات الكلام، وتتخلل هذا السياق وقت ومكان إطلاق النص، فضلاً عن العلاقة بين منشئ النص والعوامل المحيطة به سواء السابقة أم اللاحقة<sup>(٢)</sup>.

---

١- انظر: الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٨٠، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ٥٨٠-٥٨١، وابن هشام، مغني اللبيب في كتب الأعراب، ج ١، ص ٢٥٠، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق ١، ج ٢، ص ٦٠٤، وسيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٣٣٣.  
٢- انظر: المناع، عرفات فيصل، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص ٢٥.

## القسم الثاني الجانب التطبيقي

### الدلالة الوظيفية لـ"لعل" في النص القرآني:

تعد الدلالة الوظيفية للكلمات المفردة غير مجدية وليس لها قيمة دلالية مقارنةً مع الدلالة التركيبية، فمن المعروف أن لا دلالة بلا تركيب ولا تركيب بلا دلالة، فالتركيب هو من يفرز لنا الدلالات الوظيفية للكلمات التي لا يمكن تمييزها مع الأفراد، فالجملة وحدة تركيبية دلالية متكاملة حاملة معنى معين يرتبط بعضها ببعض، فضلاً عن ارتباطها بسياق حال خارجي أو بسياق ثقافي وهو العامل الأساس الذي ينشأ فيه النص، إذ يشكل السياق الثقافي عاملاً مساعداً في تمييز المعنى المراد، فلكل بيئة أو زمن ثقافة وعادات خاصة تتميز به؛ لأن اللغة تتأثر بكل الظواهر الاجتماعية والبيئية والثقافية تأثراً واضحاً؛ لذلك ذهب معظم علماء اللغة إلى عد دراسة اللغة بمعزل عن محيطها الثقافي الذي نشأت به فاشلة ولا يمكن أن نصل بها إلى نتائج مفيدة<sup>(١)</sup>، والمكونات التركيبية والدلالية في الجملة هي تلك الوحدات الدالة وغير الدالة التي تعد أصغر جزئيات الكلمة لتتركب هذه الكلمات مؤلفة وحدات كبرى دالة تتضمن معاني ودلالات حسب طبيعة التركيب اللغوي نفسه والغرض الذي لأجله سيقى الجمل، لتتفاعل مع بعضها مكونة الجمل، تجمعها علاقة نحوية ودلالية وبلاغية، وتعد هذه هي المكونات الرئيسة في

---

١ - انظر: المناع، عرفات فيصل، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص ٢٧.

إنتاج النص اللغوي<sup>(١)</sup>، وحين نلاحظ توظيف "لعل" في النص اللغوي فإننا نقوم بتوظيفها تبعاً لمعطيات تخص المتكلم نفسه، والمخاطب أيضاً لتؤدي أكثر من معنى، وهذا التعدد يتبع طريقة النظر والفهم والمراد في الوقت نفسه، فالحرف كما عرفه علماء اللغة بأنه ما جاء لمعنى، ومنهم من ذهب إلى تعريفه بأنه ما دل على معنى في غيره<sup>(٢)</sup>، أي أن المعنى ليس للحرف نفسه بل للكلمات التي تختص بالدخول عليه، لذلك بني عليه بأن الحرف ليس له معنى إفرادي، فإن كل منها لا يدل على المعنى، فكل من هذه الحروف لا تحصل على معانيها حتى تضاف إلى التركيب التوظيفي المناسب حسب المعايير المعدة لها مسبقاً، فالدلالة المعنوية للحرف ليست له بل للكلمات التي تختص به، فالمراد بـ"ال" حين ترد للتعريف أن الاسم المتصل بها هو المعرف وليس لـ"ال" نصيب في ذلك، فالحروف ترد لمعنى في الاسم والفعل فتكون إما لتوكيد الجملة أو نفي مضمونها أو عطف بعض الكلام على بعض، لذلك شاع عند المتأخرين أن دلالة الحرف على معنى في غيره يراد بها أن الحرف ليس له معنى إفرادي فلو قلنا "ال" لم يفهم منها معنى حتى إذا اقترنت بالاسم فأفادت دلالة "التعريف"، فالحرف لا يحمل في طياته معنى معجمياً؛ لأن ما يتضمنه من الدلالة إنما يحدده التركيب، فالحرف ذو دلالة معنوية ظاهرة، غير أن هذه الدلالة غالباً ما تبقى ذات توجهات مختلفة محتملة حتى ينتظم الحرف في عبارة تجرده لمقصد معين تزيل عنه ذلك

١- انظر: البب، إبراهيم، وبابو، غياث أحمد، أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي، ص ١٥٣.

٢- انظر: السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٧م)، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: غازي مختار

ظليمان، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ج ١، ص ٧-٨.

اللبس والاحتمال في بيان الدلالة لذلك سمي حرفاً لأنه طرف من المعنى لا يتم به وحده كحرف المبنى الذي هو عنصر من عناصر البناء للكلمة وجزء منها<sup>(١)</sup>، في حين لو نظرنا إلى توظيفها في النص القرآني فإننا حتماً سنعيد النظر في ذلك لأن المتكلم هو الذات الإلهية الذي لا يمكن أن يحمل معنى الترجيحي؛ فقد أظهر المفسرون على إختلافهم في المعاني التي تخرج إليها "لعل" وجدوا أن كلام الله لا تنطبق عليه أغلب هذه المعاني التي خرجت إليها "لعل" إذ لا يجوز أن يكون الخطاب القرآني شاكاً أو متمنياً أو متوقفاً بل كل كلامه سبحانه متحقق مقطوع العلم به<sup>(٢)</sup>، فالترجيحي والتوقع في كلام الله سبحانه وتعالى إنما يرجع إلى المخاطبين<sup>(٣)</sup> فمعنى "لعل" في قوله تعالى: ﴿لعل الساعة قريب﴾ (الشورى ١٧)، لا يمكن أن يكون توقعاً ولا حتى ترجيحاً من جانب الله سبحانه وتعالى وهو المعنى الذي يمكن أن ينطبق على المخاطب مضافاً إليه معنى الإشفاق، وقد يخرج معناها فتستعمل للتخويف، فإن الساعة قضية يتخوف منها كل مؤمن، وفي جميع المواضع التي فيها توقع أو ترجيحي التقوى أو الشكل أو الهداية أو التعقل أو التفكير أو غيرها باستخدام

١- انظر: التحليل النحوي أصوله وأدلته، فخر الدين قباوة، ص ٢٠٩-٢١١.

٢- انظر: الصغير، محمود أحمد، (٢٠٠١م)، الأدوات النحوية في كتب التفسير، لبنان: دار الفكر المعاصر، ط ١، ص ٦٨٢.

٣- انظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٦٧.

"لعل" فأن هذا التوقع أو الترجي يرجع إلى المخاطبين لا إلى الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

تبدو الآيات القرآنية ذات نسيج متناسق ومتين تشير إلى إعجاز الله سبحانه وتعالى، وهذا النسيج الذي تتميز به هذه الآيات، إنما تحكمه العلاقات السياقية التي تعد هي الأساس في عملية بناء النص، وبدونها يبدو النص مجرد مقاطع صوتية غير مفهومه، فضلاً عن أن هذه العلاقات تؤدي مجموعة من الوظائف النصية التي تسهم بشكل فاعل في إنتاج نص متماسك يمنحه صفة المقبولية، وهذا بدوره يضمن نجاح عملية الاتصال اللغوي وذلك لتحقيق معايير النصية أو الكفاءة النصية، التي تجعل من النص شبكة نسيجية من الصعب فك ارتباطها لأنها تعزز مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية التي تترايط فيما بينها لتشكيل النص<sup>(٢)</sup>، فأغلب الآيات القرآنية التي وظفت الحرف "لعل" تميز السياق الترابطي فيها بتوجيه معانيها، فقد اعتمد أغلب علماء اللغة إلى وصف النص الديني تبعاً لقائله، وهذا ما حيّد عملية تخريج المعاني التي خرجت إليها لعل، والتي حُددت أساساً من لدن علماء اللغة القدامى وكما بينا سابقاً، ومن ثمّ أصبحت المعاني التي خرجت إليها "لعل" حين توظيفها في النص القرآني

---

١- انظر: الشريف، محمد حسن، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، ج ٣، ص ٩٢٨.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، "الأردن: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٧، سنة ٢٠٠٩م"، "بحث منشور"، ص ١٥٧.

معدودة على الأصابع مبتعدة عن المعاني الأصلية، وهذا جعل عملية البناء الدلالي لهذا الحرف عملية معقدة نوعاً ما، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فهذه الآية لا تشير إلى ترجي الله سبحانه من فرعون ولا يمكن أن يقال ذلك على لسانه، بل يكون المعنى على الشكل الآتي: اذهبا أنتما على رجائكما وقولا له القول الذي ترجوان به<sup>(١)</sup>، فالمعنى النصي والسياقي الذي تخرج له "لعل" في آيات النص القرآني ليست معاني ناتجة عن علاقة لفظية بأخرى داخل الجملة، إنما هي علاقة جملة بأخرى، فمستعمل اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجملة بل على أساس البنية النصية ككل، فوجود المكون التداولي إضافة إلى المكونين النحوي والدلالي سيؤديان حتماً إلى تحديد مدى مناسبة الجملة والخطاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلاً ليؤدي في النهاية إلى التأثير الإيجابي في نفسية المستقبل مما يجعله يتفاعل ويستمر مع البنية النصية<sup>(٢)</sup>، فالبنية النصية عبارة عن إطار ذهني مجرد للكلمات المفردة؛ أي أن البنية مفهوم حرفي لا ينطق والكلمة مفهوم معجمي منطوق بينما اللفظ هو مفهوم استعمالتي تتحقق به الكلمة بالفعل بوساطة النطق أو الكتابة في محيط الجملة<sup>(٣)</sup>.

١- انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق ١، ج ٢، ص ٦٠٤، والمقتضب، ج ٤، ص ١٨٣.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، ص ١٥٧.

٣- انظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ص ٢٩.

في حين نلاحظ أن التوظيف النصي لـ"لعل" في القرآن قد أخذ أشكالاً متعددة من حيث التوظيف التركيبي وما يسبقها وما يليها، إذ تعد قرينة الرتبة الموقعية في التركيب القرآني قرينة نحوية فضلاً عن كونها قرينة على المعنى في حين تعد مؤشراً أسلوبياً ووسيلةً للإبداع وتقليب العبارة واستجلاب المعنى الأدبي<sup>(١)</sup>، فالعلاقات السياقية تعد من المرتكزات الهامة في الكشف عن طرق البناء النصي، إذ انشغل عدد كبير من علماء النص واللسانيين في بحث أدوات النص واتساقه وانسجامه، فالعلاقات النصية هي التي تدعم البنية النصية التي تقوم على التماسك والانسجام نظراً لأهميتها في تحقيق ما اصطالحوا على تسميته بالكفاءة النصية<sup>(٢)</sup>، فعند الوقوف على توظيف لعل في القرآن وتفاعلها السياقي مع تركيبها نلاحظ الآتي<sup>(٣)</sup>:

أ- وردت "لعل" في القرآن بشكل إجمالي ما يقارب مئة وثلاث وثلاثين مرة<sup>(٤)</sup>، في حين ذهب آخرون إلى أنها وردت مئة وتسعاً وعشرين مرة.<sup>(٥)</sup>

---

١- السابق نفسه، ص ٦٧.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، ص ١٥٢.

٣- انظر: الهاللي، هادي عطية مطر، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، "بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٦م"، ص ٨٥.

٤- انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الكتب المصرية، ص ٦٤٨-٦٤٩.

٥- انظر: محمد علي، الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم، ص ١١.

ب- وردت لعل وهي مجردة عن الاتصال بالضمائر وحروف العطف ثلاث مرات في الآيات الآتية.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الاحزاب ٦٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى ١٧).

قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق ١).

ج- يلاحظ ورود "لعل" في التركيب القرآني متصلة بياء المتكلم في ستة مواضع وهي كالاتي:

١- قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه ١٠).

٢- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا...﴾ (القصص ٢٩).

٣- قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر ٣٦).

٤- قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أُطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى﴾ (القصص ٣٨).

٥- قال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ٤٦).

٦- قال تعالى: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون ١٠٠).

يلاحظ في الآيات أعلاه أن ما جمع بينها هو اتصال "لعل" بياء المتكلم التي أظهرت حالة الترجي على لسان متكلميها، بإمكانية حصول النبي موسى "ع" على قبس من تلك النار أو يجد أناساً يرشدونه إلى الطريق ليس بالأمر المستحيل فهو في حدود الممكن، فما جاء على لسان النبي هو محاولة في الرجاء والأمل بعد أن ضل طريقه للحصول على ما يقيه من البرد وينير به طريقه؛ لذلك قال آنست ناراً ولم يقل رأيت ناراً<sup>(١)</sup>، في حين يلاحظ أيضاً أن أربع آيات منها تركزت على ذكر قصة النبي موسى عليه السلام مع فرعون ومحاولة إظهار الترجي على لسانهما، في حين ذهب السيوطي إلى أن "لعل" تفيد التمني "لعلني أبلغ الأسباب" وإعطائها حكم "ليت" وهو مذهب القزويني من البلاغيين الذي يذهب إلى أنها تفيد التمني<sup>(٢)</sup>، في حين كانت الآية الخامسة تصب في قصة فرعون أيضاً لكن ورد ذكرها في سياق ذكر قصة النبي يوسف عليه السلام، إذ نتبين في الآيتين الأوليتين بوجود استفهام تقريرى موجه من الله سبحانه إلى النبي الأكرم عندما يقص عليه قصة فرعون مع النبي موسى عليه السلام، فيذكر أن النبي موسى عندما أخبر قومه أنه ذاهب ليجلب لهم النار لم يخبرهم خبراً متيقناً أكيداً، بل تمنى فعل ذلك فقال: "لعلني آتيكم"

---

١- انظر: المناع، عرفات فيصل، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، ص ٢٣.  
٢- انظر: القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، (٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ١، ص ١٣١.

ولم يقطع القول لئلا يعد مالم يتيقن الوفاء به<sup>(١)</sup>، فيخرج المعنى النصي من خلال تتبع الآية كلها بأن هذا الاستعمال قد يشمل معنى آخر غير ما قرر له من علماء اللغة، فالتمني على لسان النبي موسى في استجلاب النار في ليلة باردة مظلمة كان هو ديدنه لذلك لم يعدهم وعداً قاطعاً بذلك بل استعمل "لعل" على لسانه مستعملاً بياء المتكلم ليجعل قومه يطمئنون أكثر بأنه هو من سيقوم بالبحث والاستجلاب وليس غيره وأن ربه سيكون في عونته وهذا ما يوضحه قوله تعالى في الآيتين الكريمتين أعلاه.

بينما في الآيتين الثالثة والرابعة نلاحظ أن الحوار الذي وظفت به "لعل" جاءت متصلة بياء المتكلم على لسان فرعون مخاطباً به وزيره هامان وهو يريد بناء صرح ليرتقي به إلى رب موسى ليثبت به كذب ادعاءه، لذلك دلت "لعل" في الآيتين على الأمر المباشر الممزوج بإظهار القوة والتحدي أمام وزيره، لذلك كان المعنى العام للحرف "لعل" في هذه الآيات هو الاستهزاء والتهمك للنبي موسى ﷺ ومن ربه أيضاً الذي ادعى بأنه موجود في السماء ويمكنه الوصول إليه<sup>(٢)</sup>، في حين نلاحظ في سورة يوسف ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يظهر الخطاب الإلهي الموجه إلى نبي الله يوسف ﷺ من لدن قومه بعد أن عجز السحرة في تفسير الرؤية، ويبين الخطاب وهم يستنجدون فيه

---

١- انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ١٥.

٢- انظر: الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، ج ٢٠، ص ٨١.

في تأويل رؤية الملك فنلاحظ أن الخطاب اشتمل على توظيف الحرف "لعل" في توجيه المعنى العام إلى الترجي الواضح في تفسير الرؤية؛ لأن الملك كان يعلم بخطورة هذه الرؤية بعد أن عجز الكهنة في تفسيرها، والترجي قد بولغ به بعد أن تكررت "لعل" مرتين في سياق الآية نفسها، فكانت "لعل" الثانية محاولة الملك لإظهار عظمة النبي يوسف عليه السلام لقومه؛ أي بمعنى لعلمهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبونك ويخلصونك من محتتك، فجاءت "لعل" الثانية لمعنى التعليل لقوله "لعلنا" الأولى<sup>(١)</sup>، وهذا المعنى خرج بعد قراءة سياقية نصية لتواردهما سوياً، ف"المعنى لا يتحدد عن طريق الجملة الواحدة وإنما عن طريق التعاقب بين مجموعة من الجمل، وإذا كان فهم المعنى يتحقق عن طريق تتابع جملتين فأكثر"<sup>(٢)</sup>، فمعنى النص العام للآية قد توجه إلى خروج "لعل" لمعنى الترجي خاصة بعد ارتباطها المباشر بياء المتكلم التي جاءت بطلب مباشر من الملك نفسه وهو يترجى التفسير والتأويل لرؤياه، في حين نلاحظ أن الآية الأخيرة التي امتازت "لعل" باتصالها بياء المتكلم قد ختمت ذلك على لسان البشر الذي يتوفاه الله سبحانه وهو

---

١- انظر: الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٨م)، تفسير الكشاف، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١، ج ٢، ٢٥٩-٢٦٠.

٢- انظر: الجراح، عبدالمهدي هاشم، العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، ص ١٦٧.

كافر فنرى خطابه للملائكة مترجياً<sup>(١)</sup>، وهو أمر محال بعد الموت؛ لذلك فنبرة الحزن في التركيب القرآني للآية قد سيطر عليها الترجي المتواصل في ثنايا الآية بعد توظيف "لعل" مسندة إلى ياء التكلم.

في حين وردت "لعل" متصلة بكاف المخاطب مرتين في التركيب القرآني كما في الآيات الآتية<sup>(٢)</sup>:

١- قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٢-٤ الشعراء).

٢- قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه ١٣٠).

فذهبت "لعل" في الآية الأولى إلى معنى الإشفاق، وبخع الرجل نفسه إذا قتلها غيظاً من شدة وجده بالشيء، وقال الأحفش أصل البخع الجهد يقال بخعت لك نفسي أي جهدتها، وهذا يعني في السياق النصي للآية بصعوبة تبليغ الرسالة إلى قوم معاندين، والآيتان فيهما "لعل" بمعنى الإشفاق

١- انظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١٨، ص ٦٣.

٢- انظر: الهلالي، هادي عطية مطر، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين

والبلاغيين، ٨٦.

على من يقتل نفسه ويعذبها من أجل إبلاغ رسالة السماء لقوم يولون الأدبار<sup>(١)</sup>.

وكذلك وردت "لعل" وهي مسبوقة بالفاء في موضعين هما:

١- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى﴾ (هود ١٢).

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ...﴾ (الكهف ٦).

في حين وردت "لعل" متصلة بهاء الغيبة في ثلاثة مواضع فقط في

القرآن، وهي في الآيات الآتية:

١- قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه ٤٤).

وخرجت لعل هنا إلى معنى الرجاء والطمع، فالله سبحانه لم يكن شاكاً في ذلك؛ لأن ذلك محال عليه، إنما المراد من خطابه للنبي موسى وأخيه "عليهما السلام"، فقولا له قولاً لئناً على أن تكونا راجين لأن يتذكر هو أو يخشى، أو ليرجع فرعون إلى نفسه في إنكاره للإقرار بالحق<sup>(٢)</sup>، في حين ذهب آخرون إلى أن معنى "لعل" هنا قد دل على الترجي والإشفاق فالمعنى المقدر هو اذهبا في رجائكما وطمعكما وهو ما اتفق عليه كل من سيويه والزجاج والزركشي<sup>(٣)</sup>.

---

١- انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ١١٩، والهاللي، هادي عطية مطر، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، ٨٦.

٢- انظر: الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ٥٩.

٣- انظر: سيويه، الكتاب، ج ٢، ص ٣١١، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (د.ت)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة دار التراث، ج ٤، ص ٣٩٢.

وكذلك وردت "لعل" متصلة بضمير المخاطبين الكاف الذي يعد من أكثر الضمائر اتصالاً بـ"لعل" إذ وردت حوالي ما يقارب اثنان وسبعون مرة والذي يقصد به عامة الناس، وهذا الاتصال جعل فيها تشبيه طلب الله سبحانه وتعالى برجاء الراجي من المرجو منه أمراً هين الحصول عليه كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة ١٨٥) أو قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ (البقرة ١٨٩)، في حين بلغ ورودها وهي مسبوقة بالواو تسع مرات كما في قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الجاثية ١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (غافر ٦٧). في حين ذهب السيوطي إلى أن المعتزلة يفسرون كل ما جاء في القرآن كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ، لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،...﴾ على الإرادة؛ لأن اعتقادهم بان الله لا يريد إلا الخير ووقوع الشر على خلاف إرادته<sup>(١)</sup>.

في حين اتصلت "لعل" بضمير الغائبين "الهاء" اثنتين وأربعين مرة بدون أن يسبقها حرف عطف، في حين وردت ثلاث مرات جاءت فيها متصلة بحرف العطف "الواو"، كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٦)، أي ليصيبوا الحق وبهتوا إليه، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٧) أي كي يتقوا، في حين جاءت متصلة بضمير المتكلمين "نا" لمرة واحدة فقط في قوله تعالى: ﴿لَعَلْنَا نَنْبَعِ السَّحَرَةَ﴾ (الشعراء ٤٠)، التي جاءت دالة على الطمع والإشفاق<sup>(٢)</sup>.

- 
- ١- انظر: السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، مراجعة: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١، ص ٣٣٤.
- ٢- انظر: الهاللي، هادي عطية مطر، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، ص ٨٤-٨٥.

ومما نلاحظ أعلاه أن جميع الآيات التي وُظفت فيها "لعل" جاءت محددة المعنى وذلك لحساسية النص القرآني المقدس، وهذا يخالف ما نصت عليه النظرية السياقية، فقد حاول علماء اللسانيات أن يميزوا القدرة السياقية في تحديد معنى الكلمة، إذ لا توجد أية عوائق يمكن أن تلوي عنق النص في تحديد دلالاته العامة سوى السياق الذي يُعين قيمة الكلمة في كل الحالات، فالسياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة نفسها في كل مرة تحديداً يعتمد بشكل أساس على الاستعمال الأفقي للكلمات لتكون القيمة الدلالية الأخيرة محكومة بفرض قيمة واحدة بعينها للكلمة على الرغم من المعاني المتعددة التي تحملها الكلمة، فالنمط التركيبي يصبح بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة والنص، وهي ما تعرف بسياق الحال التي ترتبط بشكل مباشر مع المرجعيات الدلالية للنص نفسه، التي من خلالها يمكن تحديد توجهات النص بشكل عام والأداة أو الحرف بشكل خاص، وهذا ما لم يتم اعتماده توظيف "لعل" في النص القرآني، إذ على الرغم من أنه نص لغوي إلا أنه بقي محبوساً في القدسية الإلهية التي تحيطه، وبذلك بقيت دلالة "لعل" محكومة بإلهية النص فلم يكن تحركها الدلالي حراً بل كان تقييدها بأن الذات الإلهية لا يمكن أن تترجى البشر في أي شيء، وهذا المعنى جعلها محبوسة وقاصرة باتجاه معين فلا يمكن تفسير النص الذي يحوي هذه الأداة بحرية كما هي بعض الآيات الأخرى، وذلك لحساسية دلالة هذا الحرف.

في حين يلاحظ التنوع على اسمها وخبرها بين الجملة الفعلية والاسمية وغيرها، فقد ورد في اسمها أن يكون ظاهراً كما في قوله تعالى: ﴿لعل الله

يحدث بعد ذلك أمراً) (الطلاق ١) أو قد يرد ضميراً متصلاً كما في قوله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ (الشعراء ٣)، في حين ورد خبرها مفرداً في خمسة مواضع فقط كما في قوله تعالى: ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ (الأنبياء ١١١)، لكنه ورد مركباً كجملته فعلية فعلها مضارع في سائر مواضع ذكره، أي في مئة وأربعة وعشرين موضعاً كما في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل ٧٨)، وتكون الجملة الفعلية موزعة على الشكل الآتي:

١- خبر لعل جملة فعلية وفعلها مضارع لجماعة الغائبين، فقد احتوى

النص القرآني على ما يقارب ٣٢ موضعاً، كما في الآيات الآتية: ﴿لعلهم يرشدون﴾ (البقرة ١٨٦)، ﴿لعلهم يرجعون﴾ (آل عمران ٧٢).

٢- خبر "لعل" جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع للمفرد المتكلم، إذ

تناول النص القرآني هذا النوع في ثلاثة مواضع وهي على الشكل الآتي:

أ- قال تعالى: ﴿لعلي أعمل صالحاً...﴾ (المؤمنون ١٠٠).

ب- قال تعالى: ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى...﴾ (القصص ٣٨).

ج- قال تعالى: ﴿لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات...﴾

(غافر ٣٦-٣٧).

٣- ورود خبر لعل جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع للمفرد الغائب في

مكان واحد كما في قوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يُحدثُ بعد ذلك

أمراً...﴾ (الطلاق ١).

٤- خبر "لعل" جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع من الثلاثي المجرد الصحيح، وقد احتوى النص القرآني على ما يقارب ٢٣ موضعاً من هذا النوع من الخبر كما هو موضح في بعض الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ...﴾ (البقرة ٧٣).

ب- قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ...﴾ (البقرة ١٦٨).

ج- قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ...﴾ (آل عمران ٧٢).

٥- خبر "لعل" هو جملة فعلية وفعلها مضارع من الثلاثي المزيد فيه من باب "أفعل يفعل" وقد ضم النص القرآني هذا النوع من الخبر ما يقارب على "١٣" موضعاً، كما الآيات الآتية:

أ- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾ (البقرة ١٨٩).

ب- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ...﴾ (النحل ٨١).

ج- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ بَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ...﴾ (الرعد ٢).

٦- خبر لعل جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع من الثلاثي المزيد فيه من باب "افتعل يفتعل".

إذ اشتمل الأسلوب القرآني على هذا النوع من الخبر في "١٣" موضعاً، منها:

أ- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ...﴾ (البقرة ٢١).

ب- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ...﴾ (البقرة ٥٣).

ج- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ...﴾ (النمل ٧).

٧- خبر "لعل" جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع من الثلاثي المزيد فيه من باب "تَفَعَّلَ يَتَفَعَّلُ" وقد احتوت النصوص القرآنية على ما يقارب من ١٢ موضعاً، منها:

أ- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ...﴾ (البقرة ٢١٩).

ب- قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ...﴾ (البقرة ٢٢١).

ج- قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ...﴾ (الأعراف ٩٤).

٨- خبر لعل جملة فعلية متصدرة بفعل مضارع مبني للمجهول إذ اشتمل النص القرآني على ما يقارب عشرة مواضع، منها:

أ- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ...﴾ (آل عمران ١٣٢).

ب- قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ...﴾ (ياسين ٧٤).

ج- قال تعالى: ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون...﴾ (الأنبياء ١٣).

٩- خبر لعل جملة اسمية مبدوءة بـ"تكون"، فقد تضمنت لعل خبراً وهو جملة اسمية في موضع واحد فقط وهي في قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً...﴾ (الأحزاب ٦٣).

في حين جاء خبر لعل مفرداً على الصيغ الآتية:

١- خبر لعل مفرداً مشتق اسم الفعل في أربعة مواضع، وهي كالاتي:

أ- قال تعالى: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا...﴾ (طه ١٠).

ب- قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ...﴾ (الكهف ٦).

ج- قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ...﴾ (الشعراء ٣).

د- قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ...﴾ (هود ١٢).

٢- ورود خبر لعل اسم مصدر في موضع واحد وهو في قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ...﴾ (الأنبياء ١١١).

٣- مجيء خبر "لعل" مشتق وهو كصفة مشبهة في موضع واحد

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾

(الشورى ١٧)<sup>(١)</sup>.

في حين لوحظ أن خبرها لم يقترن بـ"أن" أو "التسوية" بينما لم يكن

خبرها مقترناً بجملة فعلية فعلها ماضي البتة، وأما لعل فقد وردت في القرآن

على لغة واحدة فقط، ولم ترد على بقية اللغات الأخرى وهي لغة "لعل"

بالعين المهملة بين لامين وهذا رجح صواب رأي الكوفيين في إفرادها وأصالة

لامها<sup>(٢)</sup>.

---

١- انظر: عبدالمجيد، أبو سعيد محمد، الأحرف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم،

دراسة صرفية ونحوية، ماليزيا: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا،

ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٠٣-٣٠٧.

٢- انظر: سلطاني، محمد علي، الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم، ص ١١٩.

## الخاتمة

- وفي نهاية البحث المستفيض والدراسة اللازمة لاستعمال "لعل" في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم، توصل البحث إلى النتائج الآتية:
- ١ - أن استعمال لعل في التراث العربي بشكل عام لم يتجاوز توظيف لغتين فقط من لغات لعل وهي "عل ولعل".
  - ٢ - أن توظيف لعل في القرآن الكريم اقتصر على استعمال لغة واحدة لها، وهي "لعل".
  - ٣ - أن استعمال لعل في القرآن اقترن بخروج معناها إلى معان مجازية أخرى بينما بقيت لعل تحمل المعنى نفسه في استعمال الشعر والنثر.
  - ٤ - أن للسياق دوراً بارزاً في توجيه معنى لعل في النص القرآني لتؤدي دلالات متعددة لا تحملها في طياتها.

## المراجع والمصادر

- ابن الأنباري، أبو البركات، (٢٠٠٢م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك محمد جودة، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١.
- ابن الانباري، عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله، (١٩٩٧م)، أسرار العربية، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط ١.
- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، (د ت)، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، بغداد، مطبعة العاني، سلسلة إحياء التراث الإسلامي رقم ٥٠، وزارة الأوقاف بغداد.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د ت)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- أبو المكارم، علي، (٢٠٠٨م)، الحذف والتقدير في النحو العربي، مصر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١.
- الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي.
- الأندلسي، ابن حيان، (١٩٩٨م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١.

- الأنصاري، ابن هشام، ( ٢٠٠٠م)، المغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، الكويت: السلسلة التراثية، ط ١.
- بابو، غياث محمد، (٢٠٠٩م)، الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، (بحث دكتوراه غير منشور)، سوريا: جامعة تشرين كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية.
- البب، إبراهيم، وبابو، غياث أحمد، (٢٠٠٨م)، أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي، (بحث منشور)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد ٣٠، العدد ٢.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله، (١٩٨٠م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: دار التراث، ط ٢٠.
- الجراح، عبدالمهدي هاشم، (٢٠٠٩م) العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية، الأردن: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٧٧، "بحث منشور".
- حسان، تمام، (١٩٩٣م)، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، القاهرة: عالم الكتب، ط ١.
- الرضي، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي، (د.ت)،

شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، (د.ت)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة دار التراث.
- الرمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٨م)، تفسير الكشاف، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي معوض، الرياض: مكتبة العبيكان، ط ١.
- سلطاني، محمد علي، (٢٠١٠م) الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن الكريم: عرض وتحليل، دمشق: دار العصماء، ط ١.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (د.ت)، الكتاب، لبنان: دار الجيل.
- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن، (د.ت)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، مراجعة: أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (١٩٩٨م)، همع الهوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط ١.
- السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٧م)، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: غازي مختار طليمات، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية

بدمشق.

- الشريف، محمد حسن، (١٩٩٦م)، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: مفهوم شامل مع تحديد دلالة الأدوات، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١).
- الصغير، محمود أحمد، (٢٠٠١م)، الأدوات النحوية في كتب التفسير، لبنان: دار الفكر المعاصر، ط ١.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، (د.ت) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- عبد المجيد، أبو سعيد محمد، (٢٠٠٤م)، الأحرف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم، دراسة صرفية ونحوية، ماليزيا: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط ١.
- عبده، داود، (١٩٩٨م) التطبيق النحوي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ٢.
- عرابي، أحمد، (٢٠٠٣م)، أثر حروف المعاني في تعدد المعنى، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق العدد ٩٨، سنة ٢٣/آذار.
- عضيمة، عبد الخالق، (د.ت) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، دار الحديث.
- فخر الدين، محمد الرازي، (١٩٨١م)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر

- والتوزيع، ط ١.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (١٩٨٣م) معاني القرآن، بيروت، عالم الكتب، ط ٣.
- قباوة، فخر الدين، (٢٠٠٢م)، التحليل النحوي أصوله وأدلتها، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط ١.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، (٢٠٠٣م)، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت لبنان: منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط ١.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (١٩٩٤م)، المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة، القاهرة: مطبعة الأهرام، ط ٣.
- محمود، المثنى عبدالفتاح، نظرية السياق القرآني (دراسة تأصيلية دلالية نقدية)، الأردن: دار وائل، ط ١، ٢٠٠٨م.
- المرادي، الحسن بن قاسم المرادي، (١٩٩٢م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١.
- المناع، عرفات فيصل، (٢٠١٣م)، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، لندن: مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،

- النحوي، ابن علي بن يعيش، (د.ت)، شرح المفصل، مصر: إدارة الطباعة المنيرية.
- الهاللي، هادي عطية مطر، (١٩٨٦م)، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، بيروت: عالم الكتب، ط ١.



ثانياً: أخبار جمعية

الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع  
عضواً بمجلس أمناء جائزة خليفة التربوية

قرر ولي عهد إمارة أبو ظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس المجلس التنفيذي لجائزة خليفة التربوية، تعيين رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور خالد الكركي عضواً في مجلس أمناء الجائزة.

وجاء في القرار الذي صدر في ٢٦ تموز ٢٠١٦م، تعيين منصور بن زايد آل نهيان رئيساً للمجلس، ونهيان بن مبارك آل نهيان نائباً للرئيس، وعضوية كل من المهندس حسين الحمادي، والدكتور علي راشد النعيمي، والدكتور خالد الكركي، والدكتور محمد الظاهري.

ويبين القرار أن مدة هذا المجلس ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

المجمع يستضيف ندوة علمية متخصصة بعنوان:

(الإمام مكي بن أبي طالب وجهوده في خدمة القرآن الكريم)

استضاف المجمع، يوم السبت الموافق ٢٠/٨/٢٠١٦م، ندوة علمية متخصصة بعنوان (الإمام مكي بن أبي طالب وجهوده في خدمة القرآن الكريم)، عقدتها جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

وقال نائب رئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم رئيس اللجنة التحضيرية الدكتور أحمد شكري بحضور رئيس رابطة علماء الأردن الدكتور بسام العموش، ومجموعة من العلماء والباحثين الأردنيين والعرب والأجانب: "إن هذه الندوة التي تتزامن مع احتفالات الجمعية بمرور ربع قرن على تأسيسها، تأتي تقديراً لأهل العلم، وتكريماً لهذا العلم وإحياءً لسيرته، وللدور العظيم الذي قام به الإمام مكي في خدمة القرآن وعلومه، بمناسبة مرور ألف عام على وفاته".

وتم خلال الندوة التي شارك فيها مجموعة من العلماء من العراق ولبنان وأستراليا والسعودية وتركيا صدور كتابين هما: جهود مكي بن أبي طالب في رسم المصحف مع تحقيق الرسالة المنسوبة إليه في الرسم، والمقدمة إلى هذه الندوة من المشاركين فيها، إضافة إلى توقيع الجمعية اتفاقية تعاون مع الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)، ومقرها الرياض.

وفي نهاية الندوة تم عرض فيلم عن أبرز برامج عمل الجمعية وإنجازاتها خلال ربع قرن إضافة إلى عرض أهم النشاطات والأعمال التي تقدمها مراكزها، البالغ عددها ألف مركز منتشرة في أنحاء المملكة.

وقدّم الدكتور بسام العموش رئيس رابطة علماء الأردن درعاً تكريمية للمجمع في نهاية الحفل.

## ندوة "اللغة العربية في الإعلام العربي"

ضمن سلسلة لقاءات المجمع الشهرية التي يعقدها في رحابه، ألقى الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مساء الثلاثاء الموافق ٦ / ٩ / ٢٠١٦م، محاضرة بعنوان: "اللغة العربية في الإعلام العربي"، وأدار اللقاء الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع بمشاركة جمهور من المثقفين والمفكرين والإعلاميين.

وفي البداية قال رئيس المجمع: "فهذا مساء طيّب في الذكرى الأربعين لتأسيس المجمع/مجمع اللغة العربية الأردني، وإرث مجمع فيصل بن الحسين في عاصمة الدولة العربية في دمشق ١٩١٩، ومجمع عبدالله بن الحسين في عمّان سنة ١٩٢٤.

والمساء طيّب بالضيف الكبير، الشاعر والإعلامي والمجمعي والمثقف العربي الجذري الممتد في زمان لغتنا الجميلة منذ خمسين عاماً عبر الإذاعة وأثير مصر، حتى أننا نتمنى أن يكون الضيف الأول على إذاعة مجمع اللغة العربية التي ستبدأ بعد أسابيع". وأضاف: "وهذا مساءً للعربية في أعلى تجلياتها لمجمع الأمة الكبير في القاهرة، لزمان طه حسين وحكيم ولفاروق وصحبه، وهي تصدّ عن روحها وفصاحتها غزو الأميّة، والعاميّة، والإعلام البائس، والسياسة التائهة... العربية التي كان من أجلها قانون المجمع الجديد، وقانون حماية اللغة العربية، واللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية، والقادم من العمل المجمعي والجامعي والشعبي، حتى تستقيم لنا الأمور".

وفي مستهل المحاضرة أكد الأستاذ فاروق شوشة أنه: "لا يمكن النظر إلى لغتنا العربية العصرية أو المعاصرة، من غير إشارة واجبة إلى أنها بنت الإعلام. ذلك أن نشأة الصحافة العربية فى ختام القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، أدت إلى اصطناع لغة جديدة مختلفة، لا تشبه لغة المحسنات البديعية والبلاغية، والاستطرادات الطويلة المتداخلة، والمفردات والتراكيب التى لا تنتمى إلى روح العصر". وأضاف: "لم تكن هذه اللغة التى اصطنعتها الصحافة العربية بعيدة عن الكتابات التى كتبها الرحالة العرب فى أزمنة سابقة، وكانت كتاباتهم تزخر بمادة إعلامية وحضارية هائلة عن شعوب العالم القديم، فيما يتصل بالتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والأساطير والمأثورات الشعبية وغرائب الكائنات والمخلوقات". وقال: "إن لغة الإعلام العربى، المعبأة بذخيرة هذا العصر المعرفية، ليست منفصلة أو بعيدة عما يسود المجتمعات العربية الآن، من محاولات لإحلال عامياتها أو لهجاتها فى المكان الذى تنهض به الفصحى، وقد ساعد تدنى التعليم، وشيوع الأمية الثقافية، وقيام بعض الدعوات العنصرية التى تدعو إلى التفكيك والبعثرة، فى إيجاد مجالات أرحب لهذه العاميات واللهجات".

واختتم: "إن اللغة العربية فى الإعلام العربى شرط هوية، ودعامة مستقبل، وجسر تقدم وحضارة، ووصل لهذه الأمة بترائها العريق، وركيزة لانطلاقها الراهنة والقادمة، لتأخذ مكانها ومكانتها بين كل اللغات والشعوب".

وفى نهاية اللقاء سلم الأستاذ رئيس المجمع درعاً تكريمية للأستاذ فاروق

شوشة.

# البيان الختامي وتوصيات الموسم الثقافي الرابع والثلاثين لمجمع اللغة العربية الأردني "اللغة العربية في التعليم"

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي الرابع والثلاثين هذا العام ٢٠١٦م، في رحابه، بعنوان: "اللغة العربية في التعليم" في المدة (٨ - ٩ صفر ١٤٣٨هـ)، (٨ - ٩ تشرين الثاني ٢٠١٦م).

وجاء اختيار هذا العنوان حرصاً من المجمع على المشاركة الفاعلة في كل المشروعات والتوجهات الأردنية والعربية التي تسعى للحفاظ على اللغة العربية، وإعلاء شأنها ودعمها، تعزيزاً للهوية القومية والتنمية المجتمعية، والعمل على وضع سياسة لغوية تعليمية واضحة المعالم والأهداف.

## حفل الافتتاح

بدأ حفل افتتاح الموسم الساعة التاسعة صباحاً بآي من الذكر الحكيم، ثم ألقى الأستاذ الدكتور خالد الكركي، رئيس المجمع، كلمة الافتتاح، وألقى كلمة المشاركين الأستاذ الدكتور يحيى عبابنة.

وقد اشتمل الموسم على اثني عشر بحثاً، توزعت على خمس جلسات علمية وجلسة ختامية في يومين، وذلك على النحو الآتي:

اليوم الأول: الثلاثاء ٨/١١/٢٠١٦م

الجلسة الأولى ومحورها حماية اللغة العربية

عُقدت في الساعة العاشرة صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور عبداللطيف عربيات، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وقدم في هذه الجلسة بحثان:

- البحث الأول أعده الدكتور فياض القضاة، عميد كلية الحقوق - الجامعة الأردنية بعنوان "الحماية القانونية للغة العربية".

- البحث الثاني أعده الدكتور عبدالله الطوبالة، نائب المدير العام لهيئة الإعلام الأردنية، بعنوان "حماية اللغة العربية".

### الجلسة الثانية: ومحورها اللغة العربية في التعليم العام (المناهج)

عُقدت في الساعة الثانية عشرة ظهراً، برئاسة الأستاذ الدكتور إسحق فرحان، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي في هذه الجلسة بحثان، هما:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور عبدالكريم مجاهد، الجامعة الهاشمية، بعنوان "اللغة العربية في التعليم العام (المناهج)".

- البحث الثاني أعده الدكتور عبدالكريم الحيارى، الجامعة الأردنية، بعنوان "اللغة العربية في التعليم العام (المناهج)".

### الجلسة الثالثة: ومحورها اللغة العربية في التعليم العام (المعلم)

عُقدت في الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة ظهراً، برئاسة الأستاذ الدكتور محمد حمدان، نائب رئيس المجمع، وألقي في هذه الجلسة ثلاثة بحوث:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، مجمع اللغة العربية الأردني، بعنوان "المعلم ودوره الكبير في نهوض الأمة وتقدمها".

- البحث الثاني أعده الأستاذ الدكتور يحيى عباينة، جامعة اليرموك، بعنوان "اللغة العربية في التعليم العام (المعلم)".

- البحث الثالث أعدته الأستاذة سهام الغويّين، نقابة المعلمين، بعنوان "دور معلم اللغة العربية في تعليم اللغة العربية".

اليوم الثاني: الأربعاء ٢٠١٦/١١/٩م

الجلسة الأولى: ومحورها اللغة العربية في التعليم العالي (أقسام اللغة العربية)

عُقدت في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور محمد حوّر، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي فيها بحثان:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، بعنوان "اللغة العربية في التعليم العالي، اللغة العربية في الجامعة الأردنية (نموذجاً)".

- البحث الثاني أعدته الدكتورة خلود العموش، الجامعة الهاشمية، بعنوان "اللغة العربية في التعليم العالي / أقسام اللغة العربية".

الجلسة الثانية: ومحورها اللغة العربية في التعليم العالي (متطلباً جامعياً)

عُقدت في الساعة الثانية عشرة صباحاً، برئاسة الأستاذ الدكتور عودة أبو عودة، عضو مجمع اللغة العربية الأردني، وألقي فيها بحثان:

- البحث الأول أعده الأستاذ الدكتور محمد عصفور، جامعة فيلادلفيا، بعنوان "اللغة العربية مُتَطَلَّباً جامعياً".

- البحث الثاني أعده الأستاذ الدكتور فواز الزبون، نائب رئيس جامعة الطفيلة، بعنوان "اللغة العربية في التعليم العالي من منظور التخطيط اللغوي".

وقد نتج عن بحوث هذا الموسم ومناقشات المشاركين فيه جملة من الملاحظات والتوصيات نظرت فيها لجنة الندوات والمحاضرات والإعلام، وعرضتها على المشاركين، وتم إقرارها على النحو الآتي:

١- ضرورة التزام الوزارات والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة والبلديات ومؤسسات المجتمع المدني بأحكام قانون حماية اللغة العربية رقم (٣٥) لسنة ٢٠١٥م.

٢- المتابعة القانونية لكل من يسيء الى اللغة العربية بأي شكل من أشكال الإساءة فحماية اللغة العربية يجب أن تكون عملاً من أعمال السيادة بالمدلول العميق؛ لأن الحفاظ عليها حماية وحفظ للأمن القومي.

٣- أن يعمل المجمع على التعريف بقانون حماية اللغة العربية رقم (٣٥) لسنة ٢٠١٥م لدى الجهات المعنية به بشتى الوسائل، ومتابعة تنفيذ أحكام القانون، وخاصة في مجال اللافتات الاعلانية العامة والخاصة ووسائل الإعلام.

٤- إن مسؤولية النهوض باللغة العربية في التعليم هي مسؤولية جماعية ولا يتحملها المعلم فقط، فهي مهمة مشتركة بين جهات كثيرة، منها وزارات التربية والتعليم، والتعليم العالي، والثقافة، والأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، والإعلام والاتصال، وفي طليعة ومقدمة هذه الجهات جميعها، البرلمانات والمجالس التشريعية عموماً، التي ندعوها لتطوير التشريعات الخاصة بالحفاظ على سلامة اللغة العربية وتطبيقها بشكل شامل، وبإنزالها المنزلة التي تستحقها في الحياة العامة.

٥- الحرص على أن نكون في مقدمة الدول التي تحتفي وتحتفل بإنجاز المعلم، وتعمل على إكرامه ورفع منزلته مادياً ومعنوياً.

٦- المحافظة على المستوى الرفيع لاختيار العاملين في التدريس وأن نرفع من مستوى إعدادهم وتدريبهم وتأهيلهم للعمل من خلال تزويدهم بالكفايات المهنية والثقافية واللغوية التي تجعلهم مُعَدِّين ومُؤَهِّلِينَ تأهيلاً كاملاً .

٧- يتوجه المشاركون إلى وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع مجمع اللغة العربية ونقابة المعلمين للعمل على تأهيل المعلمين عامة في جميع مراحل التعليم تأهيلاً تربوياً وعلمياً ولغوياً كافياً.

٨- بناء الخطط الدراسية وفق رؤية كلية شاملة لتحقيق أهداف واضحة وبجهود جمعي يفيد من الخبرات المتميزة في هذا الوطن، وانفتاح

هذه الخطط على العلوم الإنسانية الأخرى لصلتها الوثيقة باللغة، وتحديد الإطار الثقافي والمعرفي المساند لتخصص اللغة العربية من خلال تطوير متطلبات الكلية في هذه الخطط.

٩- الإفادة من التكنولوجيا في تعليم اللغة وتطوير مدقق نحوي وآخر إملائي في الحاسوب، وأن تقوم أقسام اللغة العربية بدورها في تعظيم المحتوى العربي على شبكة الإنترنت.

١٠- تطوير امتحان الكفاية الجامعية بتضافر جهود كل العاملين في الميدان وتطوير قدرات أعضاء هيئة التدريس، ورفع سوية برامج الدراسات العليا بحيث تشكل علامة فارقة في البحث العلمي.

١١- تطوير وسائل تعليم العربية وطرائقها على أساس الموازنة بين الكفاية والأداء مع تطوير عمليات التقييم لتكون متنوعة وشاملة.

١٢- النهوض باللغة العربية في التعليم الجامعي يجب أن يقوم على ركيزتين: تأهيل الأستاذ الجامعي في اللغة العربية، والاهتمام بتعريب الكتب الجامعية في شتى التخصصات.

١٣- إعداد خطة وطنية وقومية متكاملة لترجمة الكتب الجامعية في التخصصات المختلفة، تراعي الشمولية والمواكبة لأهم المراجع العالمية، وذلك بالتعاون مع المجامع اللغوية والعلمية العربية.

## وفد من جائزة خليفة التربوية يزور المجمع

في إطار التبادل الثقافي والتربوي والانفتاح على المؤسسات المحلية والعربية والعالمية زار المجمع صباح يوم الأربعاء الموافق ٩ تشرين الثاني ٢٠١٦م، أمين عام جائزة خليفة التربوية أمل العفيفي، وعضو مجلس أمناء الجائزة محمد سالم الظاهري، وعضوا اللجنة التنفيذية الدكتور خالد العبري والدكتور محمد قنديل، ومنسق الجائزة في الأردن الدكتور عبدالرحيم الحنيطي.

والتقوا رئيس المجمع الأستاذ الدكتور خالد الكركي والأمين العام الدكتور محمد السعودي، وجرى حديث حول أهمية اللغة العربية ودورها الحضاري في ترسيخ الهوية العربية، والتحديات التي تواجهها، كما تحدث رئيس المجمع حول إنجازات مجمع اللغة العربية الأردني ودوره في تطوير اللغة والحفاظ عليها؛ من خلال تحقيق التراث العربي الإسلامي ونشره، وحركة التأليف والترجمة والتعريب، وانطلاق دراسات لواقع اللغة في الجامعات، ووضع عشرات الألف من المصطلحات في شتى ميادين المعرفة وعمل معاجم متخصصة في اللغة العربية، كما بشر بانطلاقة قريبة لإذاعة اللغة العربية للمجمع، وفي نهاية الزيارة سلم مندوب الجائزة درعاً تكريمية للأستاذ الدكتور خالد الكركي الذي بدوره قدّم درعاً تكريمية لمندوب الجائزة معبراً عن خالص مشاعر الاعتزاز بهذه الجائزة المتمثلة في دعم التعليم، محلياً وإقليمياً ودولياً، والارتقاء بالعمل التربوي في دولة الإمارات العربية المتحدة ودول الوطن العربي، وحفز المتميزين والممارسات التربوية المبدعة.

## ندوة "التفكير بالدولة: السياسة والسياسة الشرعية في المجال الإسلامي"

استضاف مجمع اللغة العربية الأردني ضمن سلسلة لقاءاته الفكرية والثقافية المفكر العربي الأستاذ الدكتور رضوان السيد من الجمهورية اللبنانية مساء يوم الأحد الموافق ٢٠ / ١١ / ٢٠١٦م، الذي حاضر حول التفكير بالدولة: السياسة والسياسة الشرعية في المجال الإسلامي، فتناول التسلسل التاريخي الذي ظهرت فيه معالم لفظة السياسة من حيث تعريفها من المفرد إلى المصطلح، واستخدامها في المجال الإسلامي في التعبير عن فنون إدارة المدنية أو الدولة أو الشأن العام، مورداً تعريفات العلماء والمفكرين لها عبر التاريخ بدءاً بأفلاطون وأرسطو ومروراً بالكندي وابن رشد وانتهاءً بالفارابي. إلى أن يصل إلى مفهوم السياسة الشرعية التي دار نقاش العلماء حولها في القرنين الرابع والخامس، فقال: "إنّ هذا النقاش الذي دار في القرنين الرابع والخامس بين الفقهاء، أي الشافعية من جهة، والحنابلة والمالكية والحنفية من جهةٍ أخرى، يبدو في ظاهره نقاشاً في أمرين اثنين: كيف يمكن تحقيق العدالة والمصلحة معاً، ومن الذي يحدّد ذلك القضاء أم موظفو الدولة - ومدى حرية السلطة في التصرف عندما يتعلق الأمر بوجود نصٍّ أو حُكمٍ شرعيٍّ أو عدم وجوده. وفي الظاهر أيضاً أنّ الاختلاف كانت له أصول فقهية وقانونية ليست لها علاقة مباشرة بالمسائل السياسية والعامة. فالأحناف لديهم

أصل الاستحسان، والمالكية والحنابلة لديهم أصل المصلحة ويمكن لهم التوسُّع في اعتبارهما، وما كانت لدى الشافعية إحدى الإمكانيتين باعتبار أصولهم للاستنباط والاجتهاد حتى مطلع القرن الخامس الهجري".

وأضاف: "ولذلك لا بُدَّ من رؤيةٍ جديدةٍ من الطرفين: القضاة والسياسيين لمسألتي مهمات السلطة الشرعية، وطرائق تحقيق العدالة".

ومضى في تعريف المفاهيم المتعلقة بالسياسة الشرعية كالملك السياسي والسلطنة بالسياسة الشرعية وتطور مدلولاتها، وفق آراء أئمة الأمة ومفكريها، فقال: "لقد كانت مقولة "السياسة الشرعية" في المصطلح والمفهوم إنجازاً مشتركاً بين المتفلسفة وكُتَّاب الديوان وكُتَّاب نصائح الملوك والفقهاء. وهي تعبّر عن مزيدٍ من الانسجام والتنسيق بين الفقهاء ورجالات الدولة. وقد ظهر تدمير الفقهاء في القرن الرابع من تغوُّل الوُلاة وأهل السلطة على الناس بما يتجاوز ما تطلبه الشريعة من عقوبات".

وأضاف: "وقد أدّت "السياسة الشرعية" إلى تقوية التنسيق وانتظامه بين السلطات والفقهاء في الأزمنة الجديدة التي تضاءلت فيها الخلافة، وارتفع شأن السلطنات. ولا ينبغي أن ننسى أنّ المماليك اعترفوا رسمياً بالمذاهب الفقهية (السنية) الأربعة، وعيّنوا

منها فُضاةً في سائر الأمصار، إضافةً إلى تَوَلَّى هؤلاء التدريس بالمدارس والإشراف على أوقافها. لقد توازت مقولة السياسة الشرعية إذن مع السيطرة الفقهية على المدارس والأوقاف. ثم في مقابل توارى الخلافة تماماً، جاء الاعتراف المملوكي بالمذاهب الفقهية الأربعة. وهكذا فإنّ فكرتي الفصل بين الشأنين الديني والسياسي استقرت تماماً، وظلت السياسة لأرباب السيوف، مع ضرورات التنسيق مع أرباب الأقلام فيما يخصُّ ممارسة أعمالهم، والعلائق مع المجتمع والعامّة".

وتابع: "أما عودة السياسة الشرعية إلى عناوين كتب نظام الحكم في العقود الأخيرة وبالطريقة الجديدة القاطعة فيعود لأمرين: نشوء علاقة وثيقة بين الإحيائيتين الإسلاميتين المسيطرتين الإخوانية والسلفية. ومن المعروف أنّ الإحيائية السلفية تفضّل العنوان تبعاً لتراثها. والأمر الثاني أو السبب الثاني إيثار بعض المؤلفين العقائديين لهذا العنوان على سبيل الاحتجاج والمقابلة بين السياسات العلمانية والسياسة الشرعية".

وانتهى إلى مفهوم السياسة الشرعية في الأزمنة الحديثة، فقال: "أما اليوم؛ فإنّ الأمة تَعَصُّ بمَدْعَى الإمامة من ذوي الشوكة والسكّين، كما تَعَصُّ بفقهائ الفضائيات والميليشيات. أمّا الغائب الأكبر عن المشهد فهو الجماعة والأمة، والتي كانت الإدارة الصالحة والعادلة

لشؤونهما السياسية هي الهمُّ الأكبر لسياسيي وفقهاء السياسة  
الشرعية. فيا للعرب ويا للإسلام!"

## مجمعي في ذمة الله الأستاذ فاروق شوشة

نعى مجمع اللغة العربية الأردني الشاعر المصري فاروق شوشة، الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة، الذي انتقل إلى رحمته تعالى صباح يوم الجمعة ١٣ محرم ١٤٣٨هـ، الموافق ١٤ تشرين الأول ٢٠١٦م. عن ثمانين عاماً بعد حياة إعلامية وأكاديمية وإبداعية حافلة.

ولد شوشة في ٩ كانون الثاني ١٩٣٦ بقرية الشعراء إحدى قرى دمياط في أقصى شمال مصر وتخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٥٦.

التحق بالإذاعة المصرية عام ١٩٥٨، وتدرج في الوظائف إلى أن تولى رئاسة الإذاعة في ١٩٩٤ ومن أشهر برامجه (لغتنا الجميلة) الذي بدأ في تقديمه عام ١٩٦٧.

وفي التلفزيون كان من أبرز ما قدم برنامج (أمسية ثقافية) الذي استضاف خلاله عدداً كبيراً من المثقفين والأدباء والمفكرين، من بينهم توفيق الحكيم ويوسف إدريس ونجيب محفوظ وأمل دنقل وعبدالرحمن الأبنودي.

اتسمت أشعاره بالدفء والرومانسية كما اتسمت كلماتها بالبساطة والعدوبة مع الحفاظ على قوة المفردات وفصاحتها؛ إذ كان من أشد المدافعين عن اللغة العربية.

ومن أشهر دواوينه (إلى مسافرة) و(لؤلؤة في القلب) و(سيدة الماء)  
و(وقت لاقتناص الوقت) و(الجميلة تنزل إلى النهر).

شغل شوشة مناصب عدة منها عضو مجمع اللغة العربية في مصر وعضو  
لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة ورئيس لجنة النصوص باتحاد الإذاعة  
والتلفزيون، كما كان يلقي محاضرات في الأدب العربي بالجامعة الأميركية في  
القاهرة.

كرمت الراحل دول ومهرجانات ومؤتمرات كثيرة في مصر وخارجها،  
وكانت آخر الجوائز التي حصل عليها جائزة النيل في الآداب في حزيران  
الماضي، وهي أبرز جائزة سنوية تمنحها مصر في مجال الثقافة والفنون.

## إطالة مجمعية

أصدر المجمع العدد الأول من النشرة الإخبارية الفصلية بعنوان "إطالة مجمعية"، واحتوى الإصدار كلمة العدد للأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع، وشخصية العدد التي تناولت الأستاذ الراحل الدكتور أحمد سعيدان بقلم عضو المجمع الأستاذ الدكتور عبدالمجيد نصير، كما تضمن العدد مجموعة من الأخبار المجمعية، وبعض ملخصات بحوث العدد التسعين من مجلة المجمع، وعناوين أخرى مثل: أنت تسأل والمجمع يجيب، ومبادرات لغوية، ومبدعون، وعين على المجمع، وسوف تصدر الأعداد تباعاً من هذه الإطالة بإذن الله.

## الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية

في إطار احتفالات المجمع باليوم العالمي للغة العربية صباح يوم الأحد الموافق ٢٠١٦/١٢/١٨م، عقد ندوة بعنوان: "تعزيز انتشار اللغة العربية"، أدارها عضو المجمع الأستاذ الدكتور محمد حور، وحاضر فيها: الأستاذ الدكتور يوسف بكار عضو المجمع في بحث عنوانه: "تعزيز انتشار اللغة العربية للناطقين بغيرها في العالم الإسلامي" ضمّ اثني عشر بنداً لثلاثة محاور:

الأول: تمهيدّي حول أهميّة اللّغة العربيّة في العالم بشهادة عدد من الأجنب، وعن مدى الإقبال عليها الآن لغير غاية.

الثاني: توثيقيّ موجز لموقع العربيّة ومكانتها في المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز العامّة، بتفاوت نسبي، وما تحظى به من إقبال على تعلّمها ومدى الاهتمام بتعليمها في دول العالم الإسلامي في الوقت الحاضر: باكستان، وأفغانستان، وتركيا، وإيران، وبروناي، وماليزيا، وأندونيسيا؛ ناهيك بمسلميّ الهند والفلبين.

والأخير: تنبيهيّ تعزيزيّ، ينبّه على الحفاظ على ما للعربيّة من حُظوة ومكانة في ديار الإسلام، ومساندة يدعوها الباحث "الاستعراب الإسلامي"، ويكشف عن بعض المشكلات وجوانب الضّعف في تعليمها وتعلّمها، ويخلص إلى اقتراح سُبُل تُسَعِف على تعزيز العربيّة وتساعد في حلّ المشكلات والصّعاب ونقاط الضّعف، وتزيد من

وهج العربية وازدهارها، هي باختصار: السعي إلى تأسيس منظمة باسم "المنظمة الدولية للعربية"، وإنشاء مراكز عربية عامة وخاصة ومعاهد وكراسٍ للغة العربية في الجامعات الكبرى، ومدارس عربية ذات مستوى، وتفعيل دور المستشاريات الثقافية في السفارات العربية، وإبرام الاتفاقيات الثقافية والعلمية، والمشاركة في الندوات والمؤتمرات والدورات التي تعقد للغة العربية في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وتأليف الكتب التعليمية الميسرة والتعليم باللغة العربية الفصيحة، وأن يكون لمجامع اللغة العربية دور فاعل.

كما حاضر الأستاذ الدكتور سمير استيتية عضو المجمع يبحث عنوانه: "تعزيز انتشار اللغة العربية في بلادها- المعايير اللغوية والمسؤولية المشتركة"، هدف إلى وضع تصور علمي قائم على مبادئ التخطيط اللغوي، من أجل العمل على تعزيز انتشار اللغة العربية في أقطارها. ويقوم هذا التخطيط على معرفة المعايير اللغوية التي على أساسها نحكم على المرء إن كان يمتلك ناصية أو كان بخلاف ذلك. يقع البحث في مبحثين هما: المعايير اللغوية والتخطيط اللغوي، والثاني هو: التخطيط والمسؤولية المشتركة. أما في المبحث الأول فقد اتبع الباحث أربعة معايير أساسية هي:

**المعيار الأول:** الكفاية اللغوية التي هي في الحقيقة امتلاك القدرة على

أن يتكلم المرء لغته بصورة صحيحة على النحو الذي يمارسه المجتمع.

**المعيار الثاني:** الأداء، وهي الكيفية التي يتكلم بها الإنسان لغته بصورة صحيحة. وهذا المعيار له ثمانية مؤشرات تدل عليه هي:

**المؤشر الأول:** أداء المهارات اللغوية أداءً صحيحاً. وقد ناقش البحث مفهوم المهارة وكيفية اكتسابها والمحافظة عليها، وأنواع المهارات وضرورة إقامة الخطط والبرامج اللغوية على أساس علمي صحيح.

**المؤشر الثاني:** اللغة تعبر عن الذكاء وتعززه، وبها ينتقل أثره إلى التصرفات الحياتية الأخرى.

**المؤشر الثالث:** اللغة مواقف وتعبير عن المواقف.

**المؤشر الرابع:** اللغة فكر وتعبير عن الفكر، وتطوير له.

**المؤشر الخامس:** اللغة ثقافة وتعبير عن الثقافة وتطوير لها.

**المؤشر السادس:** اللغة منطق.

**المؤشر السابع:** اللغة جمال وتعبير عن الجمال.

**المؤشر الثامن:** اللغة إبداع وتساعد على الإبداع.

**المعيار الثالث:** الحدثة اللغوية والتراث، وإقامة توازن بينهما.

**المعيار الرابع:** الانتقال من الازدواجية إلى حضن العربية.

أما المبحث الثاني فقد درس المسؤولية المشتركة على جميع المستويات، ابتداءً من المؤسسات الحكومية والشعبية، ووضح مسؤولية كل جهة. وقد

درس هذا المبحث قضية الأمن اللغوي، وكيف أن هذا الأمن جزء أساسي من الأمن الشامل للأمة.

أما النتائج التي توصل إليها البحث ففي كل معيار ومؤشر أفكار جديدة ينبغي أن يؤخذ بها عند بناء استراتيجية شاملة لإعادة العربية إلى ساحتها.

وانتهت الندوة ببحث للدكتور إدهام حنش بعنوان: "الخط العربي - حيوية اللغة وتحدياتها المعاصرة"، بدأه بمقدمة حول مقومات بنية اللغة العربية المتمثلة بالمعنى وهو جوهر اللغة وروحها المقاصدي، واللفظ والكتابة وهما قسيما اللغة الأساسيان في تصوير المعنى، وعلاقة كل منها بالحروف بوصفها مادة اللغة التكوينية.

وتناول الخط من حيث اللغة والفن والمعرفة والهوية والوظيفة والمنجز، وفصل في علوم الخط العربي العشرة، وتحدث عن التحديات اللغوية والمعرفية والثقافية والفنية التي يواجهها الخط العربي.

وأشار في نهاية بحثه إلى أهمية رعاية مبادرات ثلاث:

أولاً- أكاديمية الخط العربي:

التي تقوم فكرتها على البحث العلمي والدراسات المتقدمة لعلوم الخط العربي:

● المتعلقة بتعليم الخط؛ مثل: أدوات الخط ومواده، قواعد الكتابة الخطية، خط المصحف الشريف.

● المتعلقة بجمالية الخط؛ مثل: علم الصورة، هندسة الخط، أنواع الخط، حسن الخط.

● المتعلقة بثقافة الخط ومعرفته؛ مثل: النقد الفني، المصطلح الخطي، خطاب الخط وتواصله الوظيفي.

● المتعلقة بالمعرفة الخطية العامة؛ مثل: اللغة والنصوص، الكتابات والخطوط، الآثار والنقوش، المخطوطات.

ثانياً- موسوعة الخط العربي:

وتقوم فكرة الموسوعة على تأليف كتاب معجمي مرجعي رصين بكل ما يتعلق بالخط العربي:

● الألفاظ والمفاهيم والمصطلحات اللغوية والفنية.

● الأفكار والنظريات والفلسفات والحركات والمدارس اللغوية والفنية.

● المؤلفات والكتب والمصادر (المطبوعة والمخطوطة) اللغوية والفنية الأساسية.

● الأعلام والشخصيات والنخب اللغوية والفنية.

● الأشكال والأساليب والتقنيات والأعمال اللغوية والفنية.

● المعالم والمراكز والمؤسسات والمتاحف والأكاديميات اللغوية والفنية.

ثالثاً- المسابقة الثقافية لفن الخط العربي:

وتقوم فكرة هذه المسابقة على التأليف والنشر (كتب ومقالات) في

مسارين معرفيين رئيسيين متكاملين هما:

● قواعد الخط وصناعته الجمالية والفنية.

● ثقافة الخط وصناعته المعرفية والوظيفية.

وعلى هامش الحفل كرم الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع، أعضاء المجمع المؤازرين وأعضاء الشرف الجدد، بتسليمهم شهادة العضوية. كما كرم الفائزين في مسابقات المجمع التي أعلنت نتائجها مؤخراً، وجاءت على النحو الآتي:

١- فازت عن مسابقة أفضل كتاب مترجم المرحومة خديجة القاسم والدكتورة إخلاص قنانة بالجائزة الأولى، وقيمتها (٥٠٠٠) خمسة آلاف دينار.

٢- فاز عن مسابقة فن الخط العربي كل من: رفعت محمد البوايزة وسليمان إسماعيل ناصر بالجائزة الثانية، وقيمتها (٤٠٠٠) أربعة آلاف دينار.

وفاز كل من: فيصل صبحي أبو عاشور ومحمد إبراهيم أبو عيشة بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف دينار.

٣- وعن مسابقة (أحب لغتي العربية/ فئة القصة القصيرة) للأطفال، فازت:

- أنفال بسام بداينة بالجائزة الأولى، وقيمتها (٥٠٠) خمسمئة دينار.
- ورد محمود الديكي بالجائزة الثانية، وقيمتها (٤٠٠) أربعمئة دينار.
- فرح عمار السليمان بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٠٠) ثلاثمئة دينار.

- لجين أشرف أحمد بالجائزة الرابعة، وقيمتها (٢٠٠) مئتا دينار.  
- ليمار عمر المومني بالجائزة الخامسة، وقيمتها (١٠٠) مئة دينار.  
وَمُنحت جائزتا ترضية، قيمة كل منها (٥٠) خمسون ديناراً، لكل  
من:

- راما عصام عبدالقادر.

- لين مهدي الشماسين.

٤. وعن مسابقة (أحب لغتي العربية/ فئة الرسم والخط العربي) للأطفال،  
فازت:

- سارة صبرى داوود بالجائزة الأولى، وقيمتها (٥٠٠) خمسمئة  
دينار.

- بشرى أحمد عطية بالجائزة الثانية، وقيمتها (٤٠٠) أربعمئة دينار.

- دانا رسمي السعد بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٠٠) ثلاثمئة دينار.

- راما عبدالله بواعنة بالجائزة الرابعة، وقيمتها (٢٠٠) مئتا دينار.

- حنين سرحان الشلول بالجائزة الخامسة، وقيمتها (١٠٠) مئة  
دينار.

كما وُزِعَ المجمع في هذا اليوم ما يزيد على أربعين ألف نسخة من ملصق  
صممه خصيصاً، احتفاءً بهذه المناسبة، اتخذ شعار "لغتي هويتي".

## رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد أُجريت في قاعة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

### رسائل الدكتوراه في كلية الآداب:

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالب إياد فتحي موسى العسيلي، عنوانها: "نظرية الحدس اللغوي: وجهة عربية في خطاب اللسانيات"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد ياسين موسى المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء والأستاذ الدكتور مرتضى جواد باقر، وذلك يوم الاثنين الموافق ٨/٨/٢٠١٦م.
- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة نور حسمي بنت محمد سعد، عنوانها: "القصة القصيرة لدى الكاتب يوسف إدريس العربي والكاتب سيد عثمان كلنتان الماليزي: دراسة مقارنة"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور عوني الفاعوري

والدكتور سامي عباينة والدكتور سمير بدوان قطامي، وذلك يوم الأربعاء الموافق ١٦/١١/٢٠١٦م.

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة بيان محمد جمال عايش عمرو، عنوانها: "البناء الفني للرواية العربية في العراق بعد سقوط بغداد"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين والأستاذ الدكتور محمد أحمد القضاة والأستاذ الدكتور إبراهيم خليل، وذلك يوم الأربعاء الموافق ٢٣/١١/٢٠١٦م.

#### رسائل الماجستير في كلية الآداب:

- رسالة ماجستير مقدّمة من الطالبة آلاء محمود محمد تيم، عنوانها: "فن الرثاء في صدر الإسلام: دراسة في الرؤية والتشكيل الفني"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور حمدي منصور المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور جهاد شاهر المجالي والأستاذ الدكتور عبدالحميد المعيني، وذلك يوم الأحد الموافق ٧/٨/٢٠١٦م.

#### رسائل الدكتوراه في كلية الشريعة:

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة ريما مصباح موسى القريوتي، عنوانها: "أثر الحاجة في المعاملات المصرفية الإسلامية"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الكيلاني المشرف/ رئيساً، وعضوية: الدكتور أحمد أبو سرحان والدكتور

إسماعيل البريشي والدكتور عبدالناصر جابر، وذلك يوم الأربعاء الموافق ٢٠١٦/٨/٣ م.

● رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة إيمان عبدالمنعم شجراوي، عنوانها: "محل الحكم عند الأصوليين"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عارف حسونة المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الكيلاني والدكتور أحمد القرالة والدكتور وليد الشاويش، وذلك يوم الخميس الموافق ٢٠١٦/٨/٤ م.

● رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة تهاني عفيف يوسف جابر، عنوانها: "دلالات القراءات القرآنية في الجوانب العقديّة"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور مصطفى المشني المشرف/ رئيساً، والدكتور محمد نبيل العمري مشاركاً في الإشراف، وعضوية: الأستاذ الدكتور بسام العموش والدكتور حاتم تميمي، والدكتور محمد محمد بني دومي، وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٦/٨/٩ م.

● رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالب عمر عبدالكريم خليل الزعبي، عنوانها: "مسائل المجاز في حاشية الإمام الطيبي على الكشاف"، وتألّفت لجنة المناقشة من الدكتور سليمان محمد الدقور المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد حازر

المجالي والدكتور جهاد نصيرات والدكتور منصور أبو زينة، وذلك يوم الأحد الموافق ٦/١٠/٢٠١٦م.

● رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالب سالم ابخيت عبدالله جرادات، عنوانها: "منهج القرآن الكريم في معالجة الفساد السياسي"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور أحمد شكري والدكتور أحمد نوفل والدكتور سليمان الدقور، وذلك يوم الخميس الموافق ٣/١١/٢٠١٦م.

● رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالب عبداللطيف حمدان بشير العوفي، عنوانها: "الولاية القضائية في الخصومات العمالية"، وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور علي عبدالله أبو يحيى المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل البريشي والأستاذ الدكتور أسامة الفقير والدكتورة ردينة الرفاعي، وذلك يوم الخميس الموافق ٢٢/١٢/٢٠١٦م.

● رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة إسراء حسين محمد مصطفى، عنوانها: "أثر النقد الحديثي في الترجيح الفقهي لباس المرأة نموذجاً"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد عيد صاحب المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور أمين القضاة

والأستاذ الدكتور عباس الباز والأستاذ الدكتور محمد الطوالبة،  
وذلك يوم الخميس الموافق ٢٢/١٢/٢٠١٦ م.